



كلية الآداب



جامعة الفيوم
Fayoum University

مجلة كلية الآداب جامعة الفيوم



مجلة كلية الآداب. جامعة الفيوم

دورية علمية نصف سنوية محكمة

رقم الإيداع 2014/18953

الترقيم الدولي ISSN 2357-0709

العدد الحادي عشر

يناير 2015م - المجلد الثاني

مجلس إدارة المجلة

أ.د/ عبد الحميد حسين حمودة (عميد الكلية) رئيساً لمجلس الإدارة

أ.د/ مجدي أحمد توفيق (وكيل الكلية لشئون الدراسات العليا) رئيساً للتحريير

أ.د/ محمد الخزامى عزيز (الأستاذ بقسم الجغرافيا) عضواً

أ.د/ إبراهيم محمد صقر (الأستاذ بقسم الفلسفة) عضواً

أ.د/ حامد أمين شعبان (الأستاذ بقسم اللغة العربية) عضواً

أ.د/ عادل عبد العزيز (الأستاذ بقسم التاريخ) عضواً

أ.د/ إيمان محمد صبري (الأستاذ بقسم علم النفس) عضواً

هيئة التحرير

أ.د/ عبد الحميد حسين حمودة رئيساً لمجلس الإدارة

أ.د/ مجدي أحمد توفيق رئيساً للتحريير

د/ سيد أحمد محمد الوكيل مديراً للتحريير

د/ محمد عيد سعيد محرراً للنص العربي

د/ على عبد التواب محرراً للنص الإنجليزي

أ/ أحمد شمبولية سكرتيراً للتحريير

الهيئة الاستشارية

| الاسم | الرتبة الأكاديمية |
|----------------------------|---|
| أ.د. إبراهيم محمد صقر | أستاذ بقسم الفلسفة كلية الآداب جامعة الفيوم |
| أ.د/ أحمد محمد عبد الخالق | أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة الإسكندرية |
| أ.د/ أحمد محمد بقوش | أستاذ بقسم اللغة الفارسية كلية الآداب جامعة الفيوم |
| أ.د/ سامية محمد جابر | أستاذ بقسم علم الاجتماع كلية الآداب جامعة الإسكندرية |
| أ.د/ سيد جاب الله السيد | أستاذ بقسم علم الاجتماع كلية الآداب جامعة طنطا |
| أ.د/شعبان جاب الله رضوان | أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة القاهرة |
| أ.د/ توفيق محمد عبد المنعم | أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة البحرين |
| أ.د/ بدر سليمان الأنصاري | أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة الكويت |
| أ.د/ عزة أحمد صيام | أستاذ بقسم علم الاجتماع كلية الآداب جامعة بنها |
| أ.د/ معتز سيد عبد الله. | أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة القاهرة |
| أ.د/ عبد الحميد حمودة | أستاذ بقسم التاريخ كلية الآداب جامعة الفيوم |
| أ.د. يماني احمد رضوان | أستاذ بقسم التاريخ كلية الآداب جامعة الفيوم |
| أ.د/ مجدي أحمد توفيق | أستاذ بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الفيوم |
| أ.د/ عادل كمال خضر | أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة بنها |
| أ.د/ هناء أحمد شويخ | أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة الفيوم |
| أ.د/ عبد الرحمن الشرنوبى | أستاذ بقسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة الفيوم |
| أ.د. محمد الخزامي عزيز | أستاذ بقسم الجغرافيا كلية الآداب جامعة الفيوم |
| أ.د. صبري عبد الله شندي | أستاذ بقسم الفلسفة كلية الآداب جامعة الفيوم |
| أ.د. محمد محمد عناني | أستاذ بقسم اللغة الإنجليزية كلية الآداب جامعة القاهرة |
| أ.د. مصطفى رياض | أستاذ بقسم اللغة الإنجليزية كلية الآداب جامعة عين شمس |
| أ.د. محمد دياب | أستاذ بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الفيوم |
| أ.د/ محمد حسن غانم | أستاذ بقسم علم النفس كلية الآداب جامعة حلوان |

قواعد النشر:

- 1- مجلة كلية الآداب بجامعة الفيوم دورية علمية محكمة تعني بنشر الأبحاث والدراسات الأكاديمية التي تتميز بالأصالة والجدية وتساهم في التقدم المعرفي للعلوم الإنسانية وتقبل النشر فيها الأبحاث المكتوبة باللغة العربية واللغات الأخرى شريطة ألا يكون البحث منشورًا من قبل.
- 2- تقدم البحوث التي يراد نشرها بالمجلة مكتوبة على برنامج ميكروسوفت ورد بخط Simplified Arabic نوع الصفحة B5 والهوامش 3سم في الأربعة جوانب بينط 14 للمتن والهوامش بنط 12 والعناوين الجانبية بنط 16. والمسافة بين الأسطر 1.15سم.
- 3- في حالة رغبة الباحث نشر الصور أو الخرائط أو الأشكال البيانية ملونة يلتزم دفع تكاليفها.
- 4- يقدم الباحث إقرارًا كتابيًا مهورًا بتوقيعه بأن البحث المقدم لم يسبق نشره في أي مجلة علمية أو غيرها.
- 5- يرفق الباحث مع البحث سيرة علمية مختصرة مطبوعة باللغتين العربية والإنجليزية تشمل أهم مؤلفاته وأعماله.
- 6- الأبحاث التي ترد للمجلة ليست لها أغراض دينية أو سياسية وإنما أبحاث علمية في مجال العلوم الإنسانية بمختلف فروعها. وكل ما يرد من أبحاث تعبر عن وجهة نظر الباحث وتحت مسؤوليته.
- 7- يشترط عمل ملخص للبحث باللغة العربية والإنجليزية.
- 8- يراعي الباحث عند كتابة هوامش البحث ومصادره ومراجعته أن ترتب أرقام التوثيق بطريقةٍ مُتسلسلة حتى نهاية الفصل، ويجب أن تعتمد الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة.
- 9- تقدم ثلاث نسخ من البحث إلى الأستاذ الدكتور رئيس التحرير مع سي دي CD بالبريد المسجل أو تسلّم بيد الباحث.
- 10- أصول البحوث التي ترد إلى الدورية لا ترد ولا تسترجع سواء قبلت للنشر أو لم تُقبل.
- 11- يحصل صاحب البحث على 10 مستلّات من بحثه بالإضافة إلى نسخة من العدد بعد طبعه.

تُرسل البحوث بريدياً على العنوان التالي:

جمهورية مصر العربية، الفيوم، كلية الآداب – جامعة الفيوم، رمز بريدي: 63514

فاكس: 0846379325

ت: 0846379326

البريد الإلكتروني:

mat03@fayoum.edu.eg

sae11@fayoum.edu.eg

فاعلية المهجر في الخطاب الروائي قراءة سيميولوجية سرديّة

إعداد

د. محمد سليم محمد عبد الصمد شوشة
مدرس الأدب العربي - جامعة الفيوم

يناير ٢٠١٥

فاعلية المهجر في الخطاب الروائي قراءة سيميولوجية سردية

د. محمد سليم محمد عبد الصمد شوشة

مدرس الأدب العربي - جامعة الفيوم

ملخص البحث

هذا بحث في قيمة المهجر، المكان والقيمة الدلالية، بوصفه نسقا ممتدا في الأدب العربي، انتقل في رسوخه من الشعر إلى الرواية، فبقي خيطا إنسانيا ممتدا وفاعلا في الخطاب الأدبي، ودليلا على وجع الإنسان العربي واغترابه في أحوال كثيرة، ويقصد البحث إلى كشف أثر المهجر في بعض نصوص الرواية وكيف يكون تيمة فاعلة وحاسمة في توجيه هذه النصوص الروائية دلاليا وجماليا، فتأخذ مسارا فنيا بعينه قائما على التوزع بين ذكريات الماضي والحنين إلى الوطن وبين آلام الحاضر ومعاناته ومحاولات الصمود فيه. ويقوم البحث على قراءة ثلاثة أصوات روائية معاصرة هي طارق الطيب في ثلاثيته بيت النخيل ومدن بلا نخيل والرحلة ٧٩٧ المتجهة إلى فيينا، وميرال الطحاوي في روايتها بروكلين هايتس والروائي الإيريتري حجي جابر في روايته سمرائيت، محاولا أن يكون على قدر من الاستقصاء في تتبع الظاهرة ورصدها في إطار سردي متنوع، وأن يكون كاشفا عن عمقها وأنها لم تكن مجرد حال فردية غلبت على صوت روائي واحد.

تمهيد

بعد تأسيس السرديات علما قائما بذاته كثرت النظريات التي تصدت للتعامل معها نقديا، «وتتميز نظرية غريماس عن باقى النظريات الأخرى في المجال السردى بخاصية أساس يمكن تحديدها في صيغة بسيطة: مشكلة المعنى. فمقاربة نص ما لا يكون لها معنى إلا في حدود طرحها للمعنى كهدف وغاية لأي تحليل. فالتعرف على المعنى وتحديد حجمه لا ينفصل عن الميكانيزمات التي أنتجته. من هنا فالتحليل هنا لا يعنى تعيين المعنى بشكل حدسى دون تحديد لسيرورة نموه وموته»^(١). إذ بالمعنى تتحدد الصور الأيديولوجية والقيم الدلالية التي يمكن تفكيك التجربة الإبداعية إلى وحداتها، ويمكن كذلك عبر المعنى استقصاء ما يشكل ظاهرة منها أو مقارنة القضايا التي تمثل ألما مشتركا/لذة مشتركة في عدد من النصوص وتكشف عن حال مهيمنة أو مركزة في تكوين هذا الخطاب الأدبي.

يبدو أن حركة الإنسان دائما ما تتوزع بين قطبين متناقضين من النزوع إلى التجديد والانطلاق فيحدث الاغتراب، وبين السكون والألفة والاستقرار في الأوطان. «ومن هذا المنطلق نجد في الكتابات العربية الحديثة الكثير عن الحنين إلى الأوطان، وأن الإنسان يتعلق بوطنه وبالأهل والأصدقاء ولا يريد أن يبرحه، أو يتركه، وإذا فعل شعر بالجزع والفجعة، ويظل يشتكى من الغربة والوحشة حتى يعود إلى مستقره. وفي القطب الآخر نجد الرغبة في الاستكشاف والتطلع إلى الآفاق المختلفة والتعرف على بلاد أخرى وناس آخرين، مدفوعا بروح المغامرة والهروب من الرتابة والتكرار والملل والعادات والتقاليد»^٢. ليمثل

النزوع إلى الحركة والاعتراب عن الأوطان جزءا ثابتا من حركة الإنسان العربي الذي تنعكس آثار غربته على خطابه الأدبية بشكل تلقائي كاشف عن كثير من القضايا والقيم القارة في هذا الخطاب المعروف بأدب المهجر.

طارق الطيب: اغتراب النخيل واستعادة الوطن بالحلم

النخيل من الأشجار الاستوائية التي ربما تعد علامة على المنطقة العربية والشرق الأوسط، وهو عند طارق الطيب يصبح البطل المغترب الذي يعاني الصقيع في فيينا، ويتكسر بهذه الصورة ويأخذ هذا الموقع البارز ابتداء من العناوين، فحين يقع البصر على غلاف رواية (بيت النخيل) تحضر إلى الأذهان سريعا روايته الأخرى (مدن بلا نخيل) ليتجذر النخيل ابتداء من العناوين معادلا للإنسان الذي يعاني الغربة وألم الفقد في بلاد الثلج/المهجر، ويكاد يبلغ الأمر أحيانا حد عدم القدرة على التفرقة بين البطل والنخيل الذي يتماهى تماما مع الذات المغتربة في المهجر ويصبحان شيئا واحدا، ويتبلور من البداية سؤال حول هل النخيل هو الممثل للبطل أم أن البطل هو المتحدث باسم النخيل ويحكى معاناته؟

تحتوي الأحلام منظومة من العلامات لا يمكن فصلها عن بنية علامات النص الروائي، " ويجب ألا ننسى أن تحليل الأحلام كان يشكل جزءا من تقنيات الوجود، فيما أن صور النوم كانت تعتبر، على الأقل بالنسبة لبعضها، علامات عن الواقع أو رسائل عن المستقبل، فإن فك رموزها كانت له قيمة ثمينة"^٣. ومن ثم فإن معطيات الأحلام ورموزها في رواية بيت النخيل تستدعي قدرا من التأمل والعناية التأويلية.

في بيت النخيل (المكان العام في قلب فيينا^٤) تتضاعف قوة حمزة بطل الرواية المهاجر السوداني إلى أوربا، ويقدر على استعادة الأحلام المنسية والمفقودة، فكأن النخيل بالنسبة له مصدر القوة في الصحو والحلم. (المكان ساكن، فأروح في إغفاءة متقطعة تنتهي بدخولي في الحلم المنسي. ها هو يعود الآن هنا في بيت النخيل. كأن كل ما مر بذاكرتي كان تحضيراً له^٥).

وحين يلصق ورق حائط في حجرته شديدة البرودة في فيينا فإن ورق الحائط هذا يكون عليه رسومات لأشجار النخيل تخفف عنه وتمنحه بعض الدفء، (الشقة تكاد تصلح كمتحف من القرن الماضي، لولا ورق الحائط الذي غيرته لينقلني نفسياً إلى مكان آخر أحبه^٦). وحب النخيل هو أول ما تلاحظه ساندرنا حبيبته حين تدخل شقته لأول مرة، (تتطلع ساندرنا حولها للحوائط ثم تبتسم، أسألها مستفسراً: لماذا تبتسمون؟ فتجيب: أرى كل ورق الحوائط لصور نخيل حتى السقف. نسيتم الأرضية!... وتسأله: أتعشقون النخيل إلى هذا الحد؟^٧). فصورة النخيل على الحوائط تمنحه الدفء وتشعره بالأنس وتخفف حدة غربته. فكأنه الأهل أو جزء منهم. وتصير أعلى هدية يحصل عليها من حبيبته ساندرنا تذكرة سنوية لزيارة بيت النخيل، وهو كذلك المكان الأقرب للنفس والشاهد على ميلاد حب عمره وارتباطه العاطفي بساندرنا التي تعرفه على المكان وتعتاد التقاءه فيه.

والنخيل عنده يصير ذا قبور تضم بقايا جذره وأثاره، وتوضع على القبر العلامات التي تجعله لا يضل طريقه إليها ولو في الحلم، فهو في حلمه يعود إلى قريته البائدة (ودّ النار) ليحفر في الموضع الذي علمه جيداً ويبحث عن

جذر النخلة التي صارت مثل أختيه، فقيدة متوفاة، وأخرى غائبة، صارت ذكرى ومجرد قبر. (وضعتُ القرية وسببت الخوص بعيدا عنى. عند نتوء مستطيل بارز عن الأرض، خمنت أن يكون جذع النخلة مردوما هناك. شمّرت عن ساعدي وخلعتُ جلابيتي عنى وبدأت أحفر بيدي تارة وبالقرعة تارة، وبدأت أحفر والتراب يصعد إلى وجهي وأنا غير عابئ... لم يمر كثير وقت حتى ارتطمت يدي بجذع النخلة، نبشت سريعا مثل الخلد حتى ظهر جزء من حراشف جذع النخلة متربا، بدا مثل شَعْر مغمور في تراب قديم، كان هذا الجزء مغطى بحصيرة كبيرة، رفعتها مرة واحدة فبان الجذع واضحا.. أحسست بعرق غزير ينزل من وجهي ويسح من عيني^٩).

والنخلة في الحلم تصير المرتكز للروح، فتدور حولها وتترع إليها، وتتمو في رحابها، (أراني لا أزال أدور حول النخلة حتى يصيبني الدوار فأستلقى إلى جوارها وأنام. حين أفيق لا أجد أحدا جوارى.. أصير شابا يافعا)^٩.

لتكون النخلة رمزا للوطن أو المكان المفقود في مقابل المكان الآني/المهجر الذى تحضر إليه بصورة رمزية أو بشكل فنى تعويضي في محاولة من الذات للانتصار على الغربة والمهجر، وقد كانت منذ القدم عند كثير من الشعراء القدماء والمعاصرين علامة ثرية بالدلالات لأنهم أدركوا قدرتها الرمزية. «هذه الشجرة الهوية/ الحلم الخلاص، والتي ما فتئت معينا ملهما لشعراء الحداثة بنسغها العجائبي الخلاق، قد تغنى بها المتصوفة بعد أن أدركوا أسرارها واستشرفوا كراماتها مستحضرين هاجس الهوية ومعضلة الحقيقة، فابن

عربي مثلا في الفتوحات المكية يرى النخلة خلقت من فضلة عجينة آدم وهي
عمة البشر»^(١٠).

ليتشكل عبر هذا الإلحاح على تصوير خاص للنخيل سؤال عن قصدية
جعله رمزا للعروبة أو الوطن في سرد طارق الطيب. فنخيل التمور علميا من
الأشجار التي تكاد تقتصر على المنطقة العربية وتتركز فيها، ولعل من
المعلومات العامة التي تفيض بها السجلات الرقمية أن ترتيب إنتاج التمور في
العالم يأتي ترتيبا عربيا خالصا، وقديما قال الشاعر العربي عبد الرحمن الداخل
وهو غريب في الأندلس:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن وطن النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى وطول التناي عن بنى وعن أهلي
فهل كانت النخلات التي رآها أو بالأحرى صحبها حمزة في بيت النخيل
في فيينا مثل تلك النخلة التي رآها عبد الرحمن الداخل في الأندلس؟ هذا سؤال
يفرض نفسه بقوة، وإجابته تتبدى ملامحها الأولى مع معرفة الصلة بين
الشاعرين أولا، فطارق الطيب شاعر روائي، وله مجموعات شعرية منشورة سابقة
على رواية بيت النخيل، واحتمال قراءته لشعر الداخل وشعر الأندلسيين قوى
تتبع قوته من علامات دلالية كثيرة في هذه الرواية. أولها صورة النخيل المعادلة
للذات، وليس آخرها اعتماد النخيل عنوانا لخطابه الروائي، ليثير سؤالا آخر حول
قصديته، هل هي غربة النخيل في وطن الثلج أم هي غربة حمزة المهاجر
السوداني الذي وجد في النخيل نفسه؟

وتسهم اللغة في انزياحها وصورها في تكوين هذا الدور المعادلي للنخيل الذي هو الذات وترسيخ هذا المعنى، فحراشف جذع النخلة المدفونة أو ليفها، يصبح بعد نبش التراب عليها مثل الشَّعر، لتصير النخلة إنسانا كاملا وتتجاوز حقيقتها التي هي مجرد بقايا شجرة، ولم تكن مغطاة في التراب هكذا دون تكفين، بل مكفنة في الحصيرة الكبيرة، ثم يأتي الأثر النفسي عليه بعد كشف جسد النخلة - إذا جاز التعبير - متمثلا في تصيب العرق وربما الدموع التي تسح من عينيه ليتوج هذا المعنى في التحول بالنخلة إلى الإطار الرمزي في الدلالة على النموذج الإنساني الذي عانى من الحنين إليه ومن ذكره، وصار لا يختلف عن الأب أو الأم أو الأختين وسائر من فقد أو فارق.

وتتداخل القبور، فيصبح قبر النخلة الذي وجد فيه الجذع مردوما هو ذاته القبر الافتراضي الذي شاء حمزة أن يكون قبر أمه حبيبة بنت نور الدين الشيلاني وأخته كريمة وحليمة، يقول: (اصطدمت يداي بحجر أول مغبر ثم ثان ثم ثالث. كانت هي الحجارة الثلاثة التي دفنتها. إذ يقع تحتها الآن القبر الافتراضي الذي شئت أن يكون لحبيبة بنت نور الدين الشيلاني وكريمة وحليمة، كان العرق مازال يسح من كل وجهي ومن عيني)^{١١}.

وفي الخطاب الروائي المهجري إن جاز التعبير تبدو بوضوح ثنائية المكان الدافئ والمكان البارد، الوطن والمهجر. «فهناك تعارض شاسع بين المكان المتسع الذي يرتبط بالفقر والفراغ والبرودة، وهو مكان يوحى بذوبان الكيان وتلاشيهِ حيث إن الإنسان يتيه فيه ويفقد نفسه، وبين المكان الضيق الذي يطوقنا بالدفء والألفة والحماية»^{١٢}. وهنا حركة دائبة من الذات لتقليص المكان

في المهجر وتضييقه لجعله أكثر دفئا، مثلما يصف حمزة دائما شقيقته والأماكن في الغربية يحسها بضيق ومحدودية بعيدة عن الانفتاح الذي يمارسه مع أماكن الوطن بوصفها بامتدادها واتساعها وانفتاح زاوية الرؤية بخلاف سلوكه مع المهجر.

وتعتمد الرواية في إنتاج الدلالة وتكوين رسالتها تقنية المفارقة المشهدية أو التحول من النقيض إلى النقيض؛ من الوطن إلى المهجر/ من صهد الشمس المتوهجة إلى جمود الثلج والصقيع القاتل^{١٣}، من الصحراء التي تبتلع القرى وتقضى عليها إلى المدينة المزدهمة المكتظة بالحركة ليلا ونهارا. التحولات أو المفارقة من دفء الأسرة وحضن الأم إلى صقيع الوحدة وبرودة الغياب. الشمس أو بالأحرى الشمس في مقابل الثلج والصقيع والبرد الشديد، فصورة الشمس غير غائمة أو مذبذبة، بل تبتلع ظله. (الشمس فوق رأسي تماما قد ابتلعت ظلي بالكامل وأكملت هز المعالم أمام عيني. جعلتها مهترئة ناقصة)^{١٤}.

ويراها في اللحم وفي قرط المرأة التي رآها في القبر شموسا وليست شمسا واحدة^{١٥}. وهذا المعنى - التحول من الدفء إلى الصقيع - يلح عليه خطاب الرواية فيتكرر في أكثر من موضع حتى في مشاهد اللحم الهلامية تصوير الشمس الحقيقية الأقوى والأوضح (الشمس الآن قوية سافرة في هذه الساعة على غير عادة، مبالغ في خلع حجابها ولو لوهلة. كان هذا كافيا ليضع في داخلي طاقة هائلة، ستكون قوتي وزادي في برد بعض الأيام الهاجمة)^{١٦}.

وفي اللحم كذلك حين يدخل في إغفاءة وهو جالس في (بيت النخيل) ويكون أول ما يرى (أرى نفسي طفلا صغيرا يلعب بالشمس. هي بين يدي كرة

ذهبية خفيفة صغيرة، أدرجها أمامي وأضحك، عند ناصية الطريق أجد صيبا في مثل عمرى، لا ملامح في وجهه، يتأبط قمرا، ويريد أن يستبدل به شمسي. أرفض. أقول له: لا لا أريد أن أستبدل قمرك بشمسي. يمكنك أن تلعب معي إن شئت. يوهمني أنه وافق ويلعب معي، يترك القمر على الأرض، ثم يغافلني ويأخذ الشمس ويهرب^(١٧).

ليكون الحلم وظيفيا - في هذا المشهد - مسهما في إنتاج دلالة فقد الدفء، ومن ثم ترسيخ معنى الغربة، ومن ثم يكون الحنين إلي الوطن/الشمس في الحلم طبيعيا وجزءا من حركة الذات في اتجاه العودة أو التعويض لا إراديا مثلما يأتي الحلم لا إراديا. ولتكون الشمس قد فرضت هيمنتها على عقل منتج الخطاب الروائي، أو على عقل البطل ونفسيته وتحتل مساحة هائلة من السلطة داخلها.

ليصبح الحلم نوعا من العودة إلى الوطن والخروج من المهجر بما فيه من الموت الرمزي أو حال الموات المجازي التي تهيمن على المغترب الذي يبدو كما لو ترك روحه وراءه في وطنه مع ما ترك من الأهل والذكريات، فحال الغربة تبدو أقرب للموت الذي يخرج منه المغترب بالحلم فيرى الأهل ويسترجع مفردات الوطن وأشياءه المفارقة تماما لمفردات المهجر وأشياءه، ولعل النخلة أبرز هذه المفردات التي رآها في الحلم لكنها كانت نخلة ميتة، لكن مجرد البحث عنها وعن قبرها كان فيه اختزالا لكل ما مضى أو لكل مفردات الوطن الذي هجم عليه التصحر وابتلعته المجاعة. فكأنه يخرج من الموت إلى الموت، ليمعن في بؤس التجربة ويكرس لألم البطل في أوج غربته وأولها قبل المرحلة التي يتمكن

فيها من التأقلم والاندماج مع المجتمع الجديد. لكن يبقى اللحم بوصفه حدثاً روائياً نوعاً من مقاومة حال الموت أو المرض التي يعانيتها حمزة في مهجره بغض النظر عما إذا كانت هذه المحاولة ناجحة أو فاشلة. فهو فعل مقاومة واصطدام سواء بالمهجر الذي أضحى واقعا يفرض قانونه أو سواء بما وراء المهجر من أسباب دفعت للهجرة وتركها وراءه في وطنه. «فالحلم دائماً يصطدم بالسلطة، أيا كانت، ومن ثم تكون نتيجة هذا الاصطدام حضور الموت الجسدي أو الرمزي، لكن الإنسان لا يكفّ - ولا يمكنه - أبداً عن الحلم، ومن ثم يحاول دوماً الخروج من دائرة الموت إلى فضاء الحياة متسلحاً بالحلم»^{١٨}.

هيمنة الحلم على فضاء الخطاب الروائي لطارق الطيب تمثل طريق العودة وقطع الغربة، وسبيلاً من سبل العودة إلى الوطن برغم آلامه ومساوئه، وليتأكد حال النزوع الدائم إلى الماضي، إلى الجذور، إلى الأم والأختين وإلى أرض النخيل. والطريف أن هذه الأحلام عادة ما تكون في بيت النخيل في فيينا، وليس في أي مكان آخر في أرض الغربة. والطريف كذلك أن هذه الهيمنة للأحلام وتوظيفها دائماً في العودة إلى الوطن تخرج بها عن طبيعتها اللاإرادية إلى الأفعال الإرادية، فكان حمزة يختار أحلامه أو بالأحرى يختار طريق عودته، بالإضافة كذلك إلى أنه يكاد يختار أوقاتها أو يتحكم فيها بدرجة ما، ويختار توزيعها في فضاء يومه وبين أحداث حياته. (ما زلت أشعر بخمول ونعاس، ولا يزال هناك وقت حتى تصل ساندر، أنعس فعلاً)^{١٩}. ويأتي النعاس هنا محملاً بحلم جديد أو مستكملاً لآخر قديم.

يمزج الكاتب في نسيج روايته بين الذكرى والحلم والواقع، ليخلق قدرا من التنوع، ويتجاوز الرتابة والنمطية، والسير في خط زمني واحد. فالحلم حينما يكون المفر من جمود الواقع في الغربة وقسوة البرد أو بالأحرى قسوة الجليد. ثم تأتي الذكرى وكأنها تجيب عن سبب الهروب أو الخروج من الوطن إلى أرض الجليد والقسوة، وافتقاد الدفء وافتقاد شمس الأسرة والأهل. وقد يستخدم هذا التداخل أو المزج بين الذكرى والحلم والواقع - كذلك - في إنتاج طرافة التحول أو يضيف قيمة بلاغية تعلى من جمالية النص، فهي مصدر الإثارة والتشويق أحيانا، لأنها تركز على التقطيع المشهدي، ففي الوقت الذي ينتظر القارئ اكتمال المشهد، يكمله السارد بطريقة مغايرة أو غير حقيقية عبر التحول إلى الخيط الآخر من الذكرى أو الحلم أو الواقع، فعلى سبيل المثال حينما يستبد به العطش وهو في إطار الذكرى يسترجع المشهد العسكري حينما سقط بأيدي الجنوبيين يتحول به السارد إلى الواقع ويمنحه قبلة من حبيبته النمساوية ساندرنا التي تأتي بالرى وتدفع عنه قسوة الظمأ الذي ترسخ في الذاكرة وحضر عبرها لحظته الآنية. ففي نهاية مشهد الأسر في ص ٥٢ من الرواية نجد (كنت أشعر بمخلاتي تدق ظهري برجات منتظمة وأنا في طريقي إلى مجهول جديد ينتظرني، كانت الرجات تصدر مثل دقات القلب. شعرت بشيء دافئ عند وجهي وبشيء ما يمس شفتي. كنت في أشدّ الظمأ). ليتحول في المشهد التالي مباشرة إلى (أستيقظ على وجه ساندرنا التي تقفاني بشفتيها الناعمتين بهدوء).

لتصبح ساندرًا بعد ذلك الشريك في الألم يقتسم معها الذكريات وتصبح
المبرر لاستدعاء تلك المشاهد المسترجعة من أيام الوطن قبل الهجرة، وتصبح
كذلك الأنيس والنخلة التي يحتمى في ظلها من الجليد.

ويبقى مشهد الأسر مبتورا هكذا أو متداخلا مع مشاهد الواقع الذي
يجلس فيه في بيت النخيل في فيينا، ليعود إليه أو إلى جزء آخر منه في موضع
آخر، حين تحين فرصة الذكرى أو فرصة حكايتها لرفيقته، أو بالأحرى حين
يأتي المبرر لسردها واسترجاعها مرة أخرى.

اللغة تحت وطأة معاناة المهجري المغترب تكتسب ملامح الشعرية
الناجمة من الحنين ووحدة الألم ومعاناة المهجر وافتقاد الأهل والأرض، وهذه
الحال تمنح الخطاب السردى لطارق الطيب نوعا من الوحدة العضوية والتماسك
السردى الناتج عن الروح الشعرية التي تسرى في الخطاب السردى من بدايته
لنهايته. كذلك ذاتية الضمير المستخدم في السرد (المتكلم) وهو كذلك له دور
شعري، من حيث واحدية المصدر أو زاوية الرؤية، فالأشياء كلها يراها بعيني
حمزة، وتمر عبر إحساسه وألمه وحنينه في أرض المهجر لتراب وطنه وذكريات
أهله.

تمثل كذلك صورة الحيوان في هذا السرد ظاهرة لها خصوصيتها، فعبر
خطاب الرواية الممتد نجد دلائل للألفة مع الحيوان، حتى يصير هنا رمزا للألفة،
ويتحول مصدرا للدفع والفرحة والنشاط والغناء، وموضعه غالبا في الصدر
بجانِب القلب ليمنحه بعض الحرارة في الصقيع أو الألفة في وحشة الصحراء
الشاسعة^{٢٠}.

ويشكل كذلك خطابُ الرواية صورة لرجل الدين بسلبياته، ليتكون سؤال حول إذا ما كان رجل الدين معادلاً لثقافة كاملة؛ هي ثقافة الشرق التي يختلط فيها الدين بالأسطورة والخرافة وبالموروث الشعبي أم أنها تتجرد من هذه الظلال الدلالية؟ فالشيخ على الفكي تمثل فتواه أو بالأحرى خرافاته خيطاً طويلاً ممتداً بطول الرواية، مثل فتواه عن شرب الماء من الجردل الذي يغسل فيه الصبية ألواحهم التي يحفظون فيها القرآن، أو فتواه عن اليد اليسرى وعلاقتها بالشیطان أو فتواه عن الكلاب وعلاقتها بسوء الطالع والشیطان، والمرأة التي تلد مسخاً إذا تعرت أمام الكلاب فتتقد أجنتها تباعاً^{٢١}. ولا ينفصل الأب في هذه الدلالة عن الشيخ الفكي رجل الدين، فهو يرتبط به حد التتابع ويمضى في ركابه ويصدق، وهو مصدر السلطة على الابن، وهو الذي يعاقبه بالضرب مراراً مثل الشيخ في الكتاب كما ضرب كلبه (سمح) فأصاب عينه، ثم تخلص منه بعد ذلك بمعاونة الشيخ، فغاب تماماً عن البطل الذي يبدأ الخطاب في التكريس لحال الفقد عنده وخسارة مصادر الدفاع من بداية مبكرة، تسبق الرحيل إلى المهجر بمآسى الوطن الكثيرة والمتلاحقة.

والصورة السلبية للأب ورجل الدين - الشيخ على الفكي - تصبح قيمة دلالية ثابتة سواء في بيت النخيل أو مدن بلا نخيل، فحمزة حين يتذكر شيئاً عن أبيه بعد هجره لهم يكون هذا الشيء هو نفاقه الديني الذي يصبح راسخاً في ذهنه ويأتي سلساً دون انفعال، بل بعاطفة مستوية تجعل هذه الصورة السلبية أمراً عادياً أو حقيقة سلسة مثل شروق الشمس وغروبها مثلاً، أو مثل تناوله وجبة من

وجبات طعامه، وهذا ما يعكسه هذا المقتبس من رواية مدن بلا نخيل: يقترب

الشيخ الفكي منى محبياً: كيف حالك يا حمزة؟

وكيف يكون حال مثلى في قريتنا؟

يقترب منى وهو ينظر إلى الأرض باحثاً عن قُرْش، أدرك أنه يريد أن يثرثر كعادته وأن يشرب كوباً من الشاي. أمدّ يدي إلى فروة خروف كان يستعملها أبى للصلاة أمام البيت، فقط في الأحيان التي يرغب فيها إظهار تقواه لأهل قريتنا^{٢٢}.

فيلجّ خطاب الرواية على إظهار أسباب الغربة ودوافعها، فهذا التشوه الواضح الذي يرصده حمزة في مؤسسة السلطة المشوهة في موطنه وتمتج بشكل تام مع العمّة الدينية بخلطها وتخبثها يستولى على عقله وذكرياته، وتصبح أسباب الهروب وخزا مؤلماً يأتي من حين لآخر بشكل منجم داخل فضاء النص. وحين يسقط في فخ الأسر عند الجنوبيين وقبائلهم البدائية أو الأقرب إلى البدائية يتذكر - أول ما يتذكر مما عرف عنهم من عاداتهم - النمط السياسي الأقرب إلى الديمقراطية في نضج قد يبدو غريباً بالنسبة لهذا المجتمع الأفريقي القبلي. (قال الكبير إنه تنازل في كبره لمن رآه جديراً بالقيام بالمهمة من أولاده، واحتفظ لنفسه بمركزه الاستشاري. وأنهم قرروا منذ ما يقرب من عشر سنوات أن يقوموا في كل خريف باختيار ميرم جديد مع بقاء الميرم القديم كمستشار. وأنه ليس من الضروري أن يكون الميرم كبيراً في السن، بل من المتزنين المتصفين بصفات طيبة حكيمة تقبلها الجماعة)^{٢٣}. ويكمل (قال لى إن الاختيار يجري بطريقة قديمة سهلة ورثوها أبا عن جد وجدّة؛ ففي اليوم المحدد للاختيار، يذهب الناس صباحاً إلى دور المتنافسين كيفما يرون. فإن رأوا أن

فلانا من القوم جدير بالمنصب يقفون في طابور أمام داره، ويقوم عدّادون بالعد والإحصاء، وفي المساء يتم التنصيب لمن وقف أمام داره أكبر عدد من الناس في احتفال جميل يشترك فيه جميع المتنافسين)^{٢٤}.

وتتصافر مظاهر الرجعية الحضارية الناتجة - غالبا - عن فلكلور ديني غريب مع فساد النظام السياسي في تجسيد أزمة المهاجر السوداني وإثبات منطقيتها. ليكون خطاب الرواية ملحا بشكل كبير على هذه السلبيات التي تشكل رسالة النص الأيديولوجية وأهم محاور الإضافة المعرفية التي تهدف إليها الرواية، فالشيخ الفكي بفتاواه وأفكاره الرجعية لا ينفك عن هذا الواقع المتردي، بل يشكل ألما نفسيا للبطل عبر امتزاجه بالألم واتحادهما بشكل تام في هذا النسق الفكري الصادم للبطل. وتتشكل صورة الشيخ الفكي/ رجل الدين مأساة في عقل البطل وذاكرته من وقت مبكر ودون سبب أحيانا، ويضع نفسه في خصومة مع أشياء لم يخترها البطل مثل كونه أعسر لا يجيد الكتابة باليد اليمنى الجديرة بأن يكتب بها كتاب الله دون اليسرى، وإذا ما رآه يكتب في طفولته باليد اليسرى يعاقبه. (فكنت حين أكتب في اللوح بالطباشير أو بالأحبار بيدي اليسرى ويلحظني الشيخ الفكي من بعيد يأتي كالنسر رافعا عصاه الخيزران الطويلة لاسعا ظهر يدي اليسرى بها، شاخطا: هذه يد الرجس ويد الشيطان لا يكتب بها القرآن)^{٢٥}.

ولكونه أعسر كذلك أنتج ألما للألم/رمز التمرد على الرجعية، فتبكي حين يعنفها الأب لأن ابنها (الولد به مس من الشيطان، فهو يستعمل يده اليسرى، وأنه استعملها في حياته فسيقل الله عليه من بركة الدنيا)^{٢٦}. وتكرر مأساة الفكي

حين يجبرهم على الشرب من الجردل الذى يغسلون فيه ألواحهم التي يكتبون بها القرآن، فتفسد كُليّة زميله - عثمان ضَرَبَ سدرو^{٢٧} - ويفقده صغيرا ويكون أول الراحلين من حوله، أو بالأحرى تتعمق علاقته مع فقد والموت. وحين يرفض أن يشرب من ماء الجردل ويهرب أو يدلّقه تنصب عليه لعنات الشيخ وعقاب الأب^{٢٨}. حتى حينما يكبر وتنتهي علاقته بكتاب الشيخ الفكي أو خلوته التي يحفظهم فيها القرآن يستمر الصدام وتتعمق المأساة حين يقف ضد اقتنائه كلبا جميلا شعر بألفة معه، ثم يتحايل مع الأب على التخلص منه تماما. كما لو كان الشيخ الفكي/رجل الدين - من البداية - ضد البطل نفسه، وضد الحياة وضد كل قيمة جميلة، وكان مصدرا للمعاناة والألم والبكاء لاسيما بسيطرته على عقل الأب مركز السلطة في الأسرة.

وتأخذ الأم/المرأة موقع المجابهة للرجعية بخلاف الأب، وكأنها بمفردها في مجتمع الوطن المهجور المتمرد الوحيد، الذى تكون على كاهله كل المواجهة بقدرتها المحدودة المتاحة للمرأة في هذا المجتمع الشرقي المتمزمت كثيرا. (رت أمي من الداخل على الاثنتين بصوت مسموع كلام الله ما في الجردل يا شيخ الفكي! كلام الله في الكتب وفي العقول! كلام الله يدخل الدماغ ما يدخل البنطن)^{٢٩}.

في الغربة تصبح الحبيبة كذلك معادلا للوطن، أو تصبح وطنا صغيرا وجديدا يستمد منه الدفاء. (جسدي الآن يزوب في جسدها. نصير شخصا واحدا وتضيع الحدود. أشعر بارتياح لا يمكنني وصفه. أتمنى أن أبقى في عالم ساندرال الدافئ هذا)^{٣٠}. ساندرال/الحبيبة هي بداية العودة إلى الذات وبداية الاستقرار، معها

ينسى غربته، ويصبح قادرا على مواجهة ذكرياته القديمة المؤلمة بدلا من الهروب منها. أصبحت ساندر الحنون الملاذ له والمدافع عنه وسط هذا الكم من القسوة وألم الغربة، فتصير له وطنا يلجأ له، ولعل هذا ما جعلها ترتبط في النص بشكل واضح ببيت النخيل، فأغلب لقاءاته بها تتم في هذا المكان المحبب الذي عرفته هي به، أو بالأحرى اكتشفته له وتكفلت بشراء تذاكره لأعوام وقدمتها له هديةً وحبا. اختزلت حياته في المهجر في قطه التي ماتت لمرض مفاجئ وفي حبيبته التي قتلها السرطان، ليعود مرة أخرى إلى نقطة الصفر/ افتقاد الذات واكتشاف الغربة وتعمقها من جديد بعد أن كانت قد تلاشت قليلا وخفت حدتها في ظل الحب. ليكون الحب وطنا معادلا ومهريا أو سبيلا للعودة المعنوية.

(أشعر بفرحة عارمة تتناوبي، فهي زوجتي الأزلية. منذ اليوم الأول وأنا أحس بأنها زوجتي وحبيبتي ورفيقتي وكل أهلي. أقبل أصابع يدها في رفق ويعلو وجهي الحبور. كأني أرى وجهها يضيء. كأن الأصابع التي أقبلها من نور. لكنى أشعر برجفة خفية؛ فلم أكن أتخيل يوما أنني سأتزوج لكثرة من فقدت في هذه الحياة. لكم تمنيت أن تكون لى أسرة لكنى كنت أخشى في آن أن أفقدها)^{٣١}.

يلاحظ أن اجترار الذكريات يتم بشكل كامل من بداية علاقته بساندرا، أي مع بداية الحب، فيبدأ حمزة مواجهة ماضيه بشجاعة بتأثير من قوة الحب، فيتجرأ عليه، فيستعيده في أحلامه وفي حكاياته التي يحكيها لحبيبته من هذا الماضي، تحت مبرر معلى نصيا وهو سؤال ساندر عن أهله وعائلته، وفي الحقيقة إنما تتم استعادة الماضي والعودة إليه بعد العودة إلى الذات وبعد الاستقرار النفسي الذي حققه مع حبه لساندرا. وحين اندمج مع ذاته مرة أخرى،

تمكن من أن يكون إنسانا طبيعيا أو شبه طبيعي قادرا على مواجهة آلامه ويستطيع مطالعة نفسه بعين موضوعية فيها قدر من التوازن، فيضع الماضي في مقابل الحاضر، وكأنه يبحث في حياته ويراجعها، أو يضعها في ميزان العقل. فيبحث في أسباب تلاشى قريته ود النار، ويبحث في إخفاقات الوطن ويقرأ ما كان غامضا عليه فيما سبق، فيرى طفولته في السودان بصوتها وبظلامها، ويرى شبابه في مصر وأسباب سفره أو إخفاقه في الاستمرار فيها، يرى نقاط الضوء في الصحاب، والعم ركابي، وحبیب أمه القديم الذى ساعده على السفر ومنحه بعض المال دون مقابل وغير راغب في استرداده.

والحبيبة رمز الأمان تتحد تماما مع القطة (حكيمة) رمز الدفاء، يصير الاثنان شيئا واحدا يعوضه عن الأهل والوطن ويجد فيه ذاته، ومن بداية تعارفه على ساندرا تكون علاقتها بحكيمة/ القطة علاقة حب خاصة، وتستمران على هذا النحو حتى ينتهيا معا، فكأنه في علاقته بوجه يتوحد مع الأشياء ومع الآخر ومع الحيوان، معوضا من فقد في الوطن من الأهل والأحبة والأصدقاء والشمس التي غابت تماما وحل محلها الصقيع. وتصبح القطة حكيمة نقطة اجتماع له بحبيبته حتى في الاتصالات الهاتفية. «عند البوابة الخارجية أتصل من كابينة تليفون بساندرا. تفرح باتصالي فلا أتكلم كثيرا لأنني أنا الذى يفرح بصوتها. أول أسئلتها عادة بعد السؤال عنى وعن أحوالي يتجه إلى حكيمة. تسألني عما تفعل حكيمة في اللحظة الراهنة وعمّا فعلت اليوم، وعمّا إذا كنا في بيت النخيل اليوم»^{٣٢}.

مقابلة الماضي البعيد مع الحاضر/ مقارنة صورتني الوطن عبر الزمن/
 صورة يمثلها العم ركابي بذكرياته الطيبة عن حياة السودان الجميلة في القديم
 تأخذ وضع المقابلة مع صورة الحاضر الذي عاناه، والصورة السيئة التي هي
 مصدر الألم وسبب الهجرة. وتتمثل في حكايات العم ركابي عن السودان^{٣٣}.
 ليكون خطاب الرواية المهجرية عند طارق الطيب قد اتخذ وضعيات خاصة في
 تعامله مع الزمان والمكان والأحلام وشخصية الحبيبة والحب والحيوانات،
 والمرجعية الدينية ومظاهر السلطة وتشكيل صورة الوطن وصورة الحياة المقابلة
 في المهجر وكل ذلك بتأثير من فكرة الهجرة والاغتراب التي صنعت تشكيلا
 خاصا للخطاب الروائي ومنحته هويته السردية.

بروكلين هايتس: المقابلة المشهدية وتوزع الذات بين الوطن والمهجر

بسهولة كبيرة يمكن كذلك الكشف عن القيم الدلالية والجمالية التي
 أنتجتها مفارقة المشهد في رواية بروكلين هايتس لميرال الطحاوي، وهي الرواية
 التي تمثل قمة إنتاجها الروائي ومرحلة مهمة في خطابها، ويوضح المقصود
 بمفارقة المشهد وكيف أن الكاتبة اعتمدت عليها في تكوين رسالة خطابها الروائي
 وإنتاج جماليته، حتى تصبح مفارقة المشهد في الرواية بمثابة الخيط التقني
 الممتد من البداية للنهاية، ويسهم في صنع خصوصية هذا الخطاب الروائي الذي
 منحت عليه جائزة نجيب محفوظ في الرواية والممنوحة من الجامعة الأمريكية في
 القاهرة، كما أنها وصلت إلى القائمة القصيرة في جائزة البوكر للرواية العربية.
 فيحاول البحث استجلاء ملامح الخصوصية في خطاب ميرال الطحاوي الناتجة
 عن هذه التقنية الفنية وكيف أن مفارقة المشهد تمثل رغبة الخطاب الروائي في

مقارنة مجتمعين أو حياتين متباينين عند العرب وغيرهم، وكشف مقدار الفجوة الحضارية في عدة مستويات لهذين النموذجين من الحياة.

فثمة جديلتان تتسج منهما ميرال الطحاوي مشاهدها وترتبها؛ جديلة من أقصى الأرض في أمريكا الباردة وأخرى من مصر، قلب الأرض. لتكون في مزجها وتضفيرها لهاتين الجديلتين منتجة المقابلة المشهدية التي تكثف رسالة النص، وتبرر الانتقال بين الماضي والحاضر وتعلو فيها شعرية الخطاب الروائي؛ لأن المقابلة أحيانا ما تتطوي على التناقض بين المشهدين وتكشف الفروق الشعورية بين هند الطفلة التي تستكشف الحياة، وهند المرأة البائسة الوحيدة الباحثة عن الدفء في أرض البرد، ومن ثم يكون البوح مبررا، ويتعمق الإحساس بتناقضات الحياة وبفرصها الضائعة.

ثمة مستويان لمقابلة المشهد في بروكلن هايتس؛ مستوى يكشف الاختلاف والتناقض ويكشف أثر السنين من التغير والتطور الذي انعكس على هند وعلى حياتها، ومستوى آخر توكيدي، يؤكد خيطا قديما من الشعور بالعزلة أو الوحدة، ففي الوقت الذي انفضت عنها فيه صديقاتها مبكرا وتركتها وحيدة تجلس في الفصل دون أنيس أو من يشاركها لعبها؛ فهي أيضا تعاني من الأمر ذاته في أمريكا؛ فالجميع سريعا ينفضون عنها؛ رجالا ونساء، وتبقى الوحدة والعزلة هي الجامع بين المشهدين المتقابلين اللذين يختلفان من الناحية الزمنية والمرحلة العمرية، ومن ناحية المكان أو اختلاف الثقافة تماما بين المشهدين؛ فالأول في مصر، والثاني في أمريكا. ليبدو هذا الشعور المخيف بالعزلة هو الخيط الذي ينتظم مشاهد حياتها عقدا تتلون حباته بالحنين إلى الماضي والرغبة

الملحة في تغيير الحاضر الذي يشبه الماضي بألمه ووجعه وسكونه. «تجلس هند في مدرسة مقاوي بلا أصدقاء. وتبقى هي البنت الوحيدة في الفصل الذي اختقت كل طالباته بسرعة محزنة»^(٣٤). ثم يكون الانتقال والمشهد التالي مباشرة في فضاء الرواية، «لم يعد يشاركها الآن أحد غرفتها وتنتظر أن يرن الهاتف أو تبتسم لها امرأة لا تعرفها في طريقها اليومي، ولم تعد ترى فاطيما أيضا»^(٣٥).

تكشف كذلك مفارقة المشهد عن قيمة دلالية تتمثل في بقايا العز العربي الذي يزول تدريجيا (البيت القديم الذي انخفض عن كل البيوت من حوله، حتى يصير الأمل في تعليته حلما وهاجسا لا يهدأ لدى الأم). الأغاني العربية المفاخرة والأهازيج التي تفاخر برفعة الأصل وعلو الحسب ومكانة البيت. (ودي بنت مين في البلد ياللى انشباك شالك.. أنا خدت شيخ العرب ياللى الأمير خالك)^(٣٦).

المقابلة المشهدية مكانيا: (تلال فرعون)^(٣٧) في مصر و(بروكلين هايتس) في أمريكا، والتشابه أحيانا يكون هو الثغرة التي تتسل منها الساردة إلى مساحات البوح واسترجاع ملامح المكان الذي يبدو ممتزجا بالشخصية المحاصرة به أو المحبوسة بين جدرانها.

كذلك فإن المفارقة تكرر لبناء ثنائية العرب والآخر، والتزاوج بين العربي والآخر، فهناك مستويان من التزاوج، مستوى قديم فيه القبط الطرف الثاني مع العرب، ومستوى حديث يتمثل في علاقة العرب الوافدين على أمريكا بغيرهم من الأم الأخرى، سواء كانوا أمريكيين أو روس أو إسبان أو مكسيكيين.^{٣٨}

وتلعب الاقتباسات من الفلكلور الغنائي البدوي دورا مهما في إنتاج دلالة الفقد وألم الاغتراب، (لو كان بيت أبويا قريب)^(٣٩) هو صوت الغريب المفعم بالحنين إلى الجذور، صوت هند التي امتصّها الهروب في أمريكا وحضارة الآخر المشبعة بالسكينة والهدوء وصوت الجدة القبطية التي اقترنت بالعربي وأنجبت له الذرية. إذن يضع السرد غربة (هند) التائهة في جمال حضارة الآخر ونعيمه في مقابلة غربة الجدة التي اقترنت بالعربي الفاتح صاحب النفوذ والقوة والمال والحسب والنسب.

في حين أن ترتيب مفردات المكان في صورة تقابلية يبرز القوة والضعف ويبرز الفروق الحضارية، فتصبح المشاهد كاشفة وتشف عن رسالة النص التي يلح عليها في إبراز الوضع الحضاري الراهن ومقدار الفجوة الحاصلة بين حضارتين وانعكاسها بالضرورة على ملامح المكان ومقدار انتظامه وتأنقه. (فلات بوش) و (الجرين وود) و (الأفنيو الرابع). تلال فرعون، مدرسة مقاوي، بيت الأب.

وبذلك تتحول المقابلة المشهدية في الرواية - في مستوى من مستوياتها - إلى مقابلة بين حضارتين أو حضارات، بين ثقافات كاملة؛ بعاداتها وتقاليدها في اللبس والطعام والشراب والمسكن والبوح والتكتم والعمل والراحة والتنزه. ومن أبرز المفارقات المشهدية تلك التي تركز على وصف الثياب وتدور حول السؤال عن الثياب الشرعية وملابس المرأة، بين ثقافتين متقابلتين ومجتمعين يبدوان في هذا الأمر على النقيض من بعضهما، « في محاولاتها لتحقيق بطولاتها، كانت هند أول بنت ارتدت في المدرسة هذا الحجاب المسدل

الطويل^(٤٠).... ثم كانت أول من لبس قفازا أسود، وقالت بتواضع: أنا لا أصافح. لعن الله المصافح والمصافحة^(٤١)». ثم يكون التحول مباشرة في مشهد تال مباشرة إلى النقيض « لكنها مثلما لبست هذا الإسدال الأسود الطويل كانت أول من خلعتة. وقالت إن الستر لا يتنافى مع الجمال.. .. ها هي الآن في (فلات بوش) مكشوفة الرأس ولا أحد ينظر إليها^(٤٢)». ليكون السرد عبر المقابلة محاولا طرح أسئلته التي تمثل له هاجسا فكريا، ومحاولا عبر هذه المشاهد المتقابلة أن يبني حوارا الذي يظل مفتوحا على الكثير من الأسئلة والإجابات حول جوهر الحضارة وعلاقتها بأسئلة الدين الملحة عن العفة أو الجوع الجنسي. يرتكز السرد أحيانا إلى تقنية المقابلة المشهدية لينتج التنامي الزمني والاسترجاع المفعم بالحنين وينتج قدرا من الشعرية التي يتسم بها الخطاب الروائي، فالصورة الحاضرة تبعث الصور القديمة، والمشاهد الحاضرة تثير المشاهد الماضية ويبدو استرجاعها منطقيا للمقارنة. مثل مشهد رؤيتها لجسدها في صالة تعليم الرقص، ورؤيتها لجسدها أو بالأحرى تركيزها مع تفاصيل الجسد والمستجدات التي طرأت عليه، ومن هنا تكون مشروعة العودة إلى الوراثة زمنيا واجترار مشاهد قديمة تؤرخ لهذا الجسد، «أحست بلذة أن ترى وجهها في المرايا الكثيرة مبتسما وراضيا، تتأمل جسدها الذي لم تعرفه، ولم تره في المرايا....حينما جاءت دورتها كانت متأخرة عن الجميع»^(٤٣). ثم تأتي الصورة المقابلة التي يعلن فيها الجسد عن مرحلة مغايرة فينبهها لتطوراته، «اختفت دورة الهرمونات من جسد هند مبكرا، لأسباب صارت تعرفها»^(٤٤). وتكشف المقابلة المشهدية عن تطورات الجسد وتغير الملامح وما جدّ على الوجه وعلى جرحه الذي يضيف إلى

هواجسها هاجسا آخر، «في طفولتها كانت تخبئه. أمام صورتها في المرآة واطعة يدها على خدها لتبدو صورتها أجمل بدونه»^(٤٥).

وعبر المقابلة يتضح أن حياة هند صارت مجرد رقصة مثل الرقصة التي يحاول تشارلي أن يعلمها لها، وتبدو سهلة وساذجة ولكنها تخطئ فيها كل مرة، ولا تتعلم بسهولة، مثل أخطائها في حياتها الماضية التي تشعر أن كل ما مضى هو الحياة ولا ترى المستقبل إلا في أخطائها الفائتة أو بالأحرى صارت لا تراه تماما. الرقصة مثل حياتها تماما، لم تستطع في الحقيقة أن تقبض على توازن الحركة، وظلت تتعثر في لعبة القرب والبعد... لم تحب تلك اللعبة في الحياة ولا في الرقص»^(٤٦). ليكون مشهد الرقص فرصة لطرح أهم السمات الشخصية لهند وتكوينها النفسي وعلاقتها بالآخر الحبيب، وكيف أنها لم تُجد صنع العلاقات الناجحة، وأن علاقتها بالحبيب تشبه حركات الرقصة بين البعد والقرب الذي يكون على وتيرة موسيقية منسجمة، بخلاف ما عاشته من علاقات مضطربة لم تحسن إدارتها.

إذن فالمقابلة بين عناصر القصة من شخصيات ومكان ومفرداته من أشياء وجمادات كلها من التقنيات التي تيسر كشف الاختلاف والتطور الذي ينتج عن حركة الزمن ومرور الأيام والسنين، والمقابلة تيسر طرح دلالات النص وتسرع في اتجاه تحديد رسالته، وتجعلها دلاليا أكثر وضوحا، فبضدها تتمايز الأشياء. فالفروق بين الحبيب الذي كان وبين الحبيب الحالي لا تتضح إلا بمشاهد المفارقة التي تجعل الاسترجاع مشروعا، ويبدو استدعاء المخزون القديم من الذاكرة مباحا بهذا المبرر الفني. وفي جوهر المفارقة يوجد وجه الشبه الذي

يبررها من الأساس، والمفارقة تتبني على التشابه والتناظر في آن، فلدينا شيآن يجمعهما رابط ويختلفان كذلك لأسباب غالبا ما تكون هي سؤال النص الذي تركز عليه رسالته. فالحبيب القديم والحبيب الحالي يجمعهما الرغبة في الرجل والعلاقة به، ويفرق بينهما الاختلاف في الزمن وفي الطباع وطبيعة العلاقة التي تأسست بينهما، ما بين قوية أو هشة أو يضع الزمن عليها بصمته بفعل مستجدات المعرفة لدى الشخصية وتنامي خبرتها.

والمفارقة المشهدية كذلك هي الوسيلة الأيسر لأن تتكشف ملامح الشخصية وتقران بين ذاتها وبين تحولاتها النفسية الناتجة عن التقدم العمري أو مرور الزمن.

مشهدان آخران؛ مشهد مشاركة سعيد السائق القبطي في الطعام وسندوتش الهامبورجر، ومشاركتها (إنجيل) الفتاة القبطية في سندوتش الحلاوة الطحينية في مصر قبل الهجرة^(٤٧).

ومن المفارقات المشهدية كذلك، الأب الذي يعكف على أصوله ويعتز بها ويرفض السفر، في مقابل الجيران من بقية القرية الفارين إلى بلاد النفط حيث المال والنعيم، وما ينتج عن هذين المشهدين من تداعيات أخرى، فبيته يتهاوى ويتداعى في مقابل بيوتهم التي تزداد ارتفاعا بمرور الأيام وبطول غربتهم^(٤٨).

وقد تمثل الشخصية كذلك مصدرا من مصادر المفارقة التي تركز للتناظر والفروق الفردية بين البشر؛ فالأم تنزع دائما إلى نقيض ما يريده الأب من السكون والاتكال على العز القديم الذي ورثه عن أبيه، وتبدو مادية أكثر منه،

وتتمنى أن يلين عقله لإلحاح الكثيرين عليه ويقبل السفر مثلهم بحثا عن فرصة لتحسين الأوضاع المادية التي تتهاوى يوما بعد الآخر.

ليتضح أن حال الانقسام بين الوطن والمهجر عند البطل في الخطاب الروائي المتسم بهذه السمة صنعت شكلا خاصا من المقارنة والمقابلة بين مشاهد الوطن الآتية عبر الذاكرة ومشاهد الواقع الآني في المهجر المحملة بالألم ومعاناة الغريب وحدود استكشاف الحياة في المكان الجديد الغريب ثقافيا وشعوريا ومجرد من كل أنساق التواصل الروحي والألفة المفقودة غالبا وراء البطل في الوطن.

سمرائيت: إعادة رسم وجه الوطن بألوان المهجر

في روايته سمرائيت يؤكد الروائي الأريترى حجي جابر على حال الانقسام التي يعانها البطل من بداية خطاب روايته، كما لو كان يحدد نقطتي انتقاء مشاهده. يحدد حركة هذا البطل بين نقطتي المهجر والوطن من البداية ليكون المتلقي ماسكا بطرف الخيط وجامعا لحال الشعور بالتقاطع بينهما من بداية خطاب الرواية حتى نهايته، وهو ما يؤكد أن حال الوجد والاعتراب تمثل مرتكزا لرسالة هذا الخطاب الروائي ومعناه. « في السعودية لم أعش سعوديا خالصا، ولا إريتريا خالصا. كنت شيئا بينهما.. شيء يملك نصف انتماء، ونصف حنين ونصف وطنية. ونصف انتباه.. أنصاف لم يكن بمقدورها أن تنمو لتكتمل، ولم يتح لها أن تجد ما يماثلها انتماءً وحنينا ووطنية وانتباها».^{٤٩} فكان الغربة خلقت منه إنسانا جديدا، شكلت إنسانها المختلف تماما عن ذلك الطبيعي الذي كان يتوجب أن يبقى خالصا مستقرا في وطنه. لا هذا المزيج الجديد. فيبدو

وكأنه لم يغترب فقط عن وطنه وإنما اغترب كذلك عن نفسه فصار مختلفا بملامح جديدة منقسمة بين الوطن والمهجر .

ووجع الغربة والمهجر عند حجي جابر يتحول إلى جوقة جماعية وحال عامة أكثر هيمنة من الناحية العددية وكأنها صوت جماعي عام وليس مجرد حال فردية، ليتمكن الخطاب الروائي من بلورة قضيته في صوت الجماعة أو جعلها ألما كونيا عاما يحياه المكان والزمان وكل شيء حوله، وذلك حين يصف حى النزلة في جدة وهو مكان الاغتراب والمهجر . «النزلة إرتري الهوى، وكأنه نسخة مصغرة من ذاك الغائب، تزدهم شوارعه بالآباء الطاعنين في الغربة، يلونون ببعضهم عقب كل صلاة، وكأنهم في صلاة أخرى. وهذه المرة كي لا ينسوا. في المقابل كان الأبناء سعوديين إلا قليلا، فلم تكن الغربة لتعكر يومياتهم العامرة بالشقاوة، رغم تعرضهم للفحات من ريح الوطن حيناً بعد آخر»^{٥٠}. فهنا يرصد أثر المهجر في الآباء والأبناء ليغطي زمنا ممتدا بألم المهجر والاغتراب، وينصهر الجمع المغترب مع بعضه في جمعة خاصة أو صلاة خاصة بهم كيلا ينسوا الوطن الذي يأتيهم عبر الذاكرة من حين إلى آخر.

ويهيمن الصوت السردي المأزوم في غربته على الزمان عبر تعدد الأجيال وعلى المكان بانتقاله وربطه بين المكانين المتناقضين (المهجر - الوطن) في نفس واحد وحال شعورية واحدة ويجعل المكان الآني (المهجر) صورة من ذاك الغائب (الوطن)، ومن الذكاء استخدام اسم الإشارة (ذاك) التي هي للقريب وليس (ذلك) التي هي للبعيد؛ لأن الوطن برغم البعد المكاني مازال قريبا في داخلهم ويحيا في قلوبهم وعقولهم ولهذا صنعوا من حيّ في الغربة

صورة من وطنهم شبه مطابقة ليستعيده فيها. ولتختلف صور العودة بين الفرد والجموع، ففي حين يرجع الفرد عبر الذاكرة فقط، فإن قوة المجموع وقدرته على الرجوع تكون أقوى بأن يلتفوا حول بعضهم في المكان الجديد ليصبغوه بصورة الوطن وكأنهم يلونونه ويشكلونه من جديد.

وتصبح العودة إلى الوطن أو البحث عنه في رواية سمرائيت حالا من المشاركة بين أكثر من شخصية أو صوت واقع في دائرة الألم والاغتراب. تتشارك الشخصيات الألم وحال البحث ويصبح بعضها هاديا أو معينا للآخر على تشكيل صورة الوطن الجديد في الغربية وعلى تجميع فتات الوطن في الغربية وتكوين المعادل والبديل الجديد له. «لم يدخلني أحمد دائرة الانتباه للوطن الغائب وحسب، بل مع الوقت قريني من وطن آخر. كان على الدوام يقوم بما أتمناه سرا، ويصرخ بما يظل حبيس الهمس عندي.. خصوصا حين يتعلق الأمر بالنساء»^{٥١}.

وبينما يكون بحث المغترب في المهجر عن المحبوب بديلا لبعض دفع الوطن فإن التقاء عمر المغترب الإريتري في جدة بمواطنته سمرائيت المغتربة في باريس تحت مظلة الحب يمثل نقطة العودة الحقيقية لا البديلة، ويمثل كذلك نقطة النور والحلم المأمول في خطاب روايته الذي يبدو أكثر تقاؤلا من الخطابين الروائيين لطارق الطيب وميرال الطحاوي اللذين يمكن عدما أكثر قتامة وتشاؤما.

وفي رواية حجي جابر يترسخ الانقسام بين الوطن والمهجر من العنوان الذي يمتزج فيه ويتداخل الأبيض والأسود، فاسم الحبيبة (سمرائيت) الذي هو

عنوان الرواية يتكون من مقطعين (سمرا) و (ويت)، الأسمر بالعربية، والأبيض بالإنجليزية، ليتم التداخل بين اللونين المتناقضين واللغتين المختلفتين ليكون ناتجه علامةً على هذا التجزؤ والانقسام بين المكانين المتقابلين (الوطن/المهجر)، وليكون خطاب الرواية من ناحية البنية الشكلية - كما الرسالة والدلالة كذلك - يتركب من مشاهد هذه المقابلة الممتدة في المكان وفي اللغة وفي الثقافة ولتكرس لحال الازدواجية والانقسام الروحي والنفسي عند البطل أو الشخص المعتربين والمتوزعين بين المكانين.

ويوزع حجي جابر مشاهد روايته وفق ترتيب زمني غير خطي اعتيادي، فينتقل بين الماضي والحاضر ويمزج بينهما في فضاء خطاب روايته فينتقل بين مشاهد آنية والذكريات القديمة ليكسر الخط الاعتيادي أو النمطي للزمن السردي من ناحية، ومن ناحية أخرى يؤكد امتزاج الوقت بداخله وتجاور الماضي سواء في الوطن مع الحاضر في المهجر أو العكس. فبعد أن يلتقي سمراويت ويتنظر لقاءها في اليوم التالي ينتقل في فضاء خطاب روايته إلى مشهد من الذكرى أو الماضي حيث حفلة السفارة الإريترية في جدة^{٥٢}، وتكون السفارة علامة مكانية يمتزج فيها الوطن بالمهجر إلى أقصى درجات التداخل والامتزاج، ليكون هذا هو النسق الفاعل باستمرار في كل البنية السردية التي تعتمد هذا التداخل والامتزاج سواء المكاني أو الثقافي أو تداخل الحال الشعورية وتقسماها بين هذين النقيضين (الوطن - المهجر).

وإلى جانب المفارقة المكانية تحضر في فضاء رواية سمراويت المفارقة المنطقية أو العقلية التي ينتج منها مواقف كوميدية يمكن عدّها نوعاً من

الكوميديا السوداء التي تكشف تركيز المأساة وتكرس لحال الانقسام أو الافتراق عن الوطن ومفرداته، مثلما حدث مع عمر بطل الرواية في سفارة وطنه حين سمع النشيد الوطني فتحدث بصوت مرتفع وقال إنه يتذكر هذه الأغنية ويعرفها جيدا لكنه نسي اسم المطرب صاحبها فينفجر الناس ضاحكين من حوله^٣. ويشعر صاحبه بالخجل لأن عمر يجهل النشيد الوطني لبلده وهذا هو الجدير بمغترب ولد ويحيا في المهجر ولا يعرف الوطن إلا عبر ذكريات الآباء والسفريات المتباعدة القليلة.

وفي السفارة العلامة المكانية المكرسة لحال الانقسام - فهي دائما قطعة من الوطن في قلب المهجر - يمارس المغتربون طقوسهم الوطنية من أغان ورقص^٤ ويلتقون حول بعضهم في محاولة للعودة إلى الوطن بشكل أكثر واقعية، وإن كانت واقعية بديلة، لكنها مختلفة تماما عن طريقة العودة عبر الأحلام والذكريات التي اعتمدها خطابات روائية أخرى.

يصدر حجي جابر فصول روايته بمقتبسات شعرية كلها في معاني الغربة والاعتراب والمهجر من عند شعراء كبار، أبرزهم الشاعر السعودي محمد الثبيتي، الذي يقتبس منه البيت^٥:

هاتها كالشمس تمتاح انتظاري وتذيبُ الوجدَ في عمقِ اغترابي

ليمثل هذا التناص والتقاطع مع أصوات أدبية أخرى إطارا موسيقيا عاما يلفُّ الحال التي يحاول أن يعكسها ويعبر عنها الخطاب الروائي بما فيها من الألم والوجد والحنين للأصول ولمفردات الوطن وأشياءه التي تتغلغل في الروح فتصنع نوعا من الانقسام والتجاذب بين الواقع المهجري وبين هذا القديم الذي

تركه وراءه الآباء حينما اغتربوا تاركين أصولهم لأسباب مختلفة، إما الحرب وتهدم السلطة السياسية في الأغلب الأعم أو الفقر والتهدم الاجتماعي والرغبة في البحث عن لقمة العيش.

حين يعود المهاجر إلى وطنه ولو في زيارة سريعة فإنه يعيد اكتشاف ذاته ويعيد اكتشاف العالم بين ثنائية المكان، فكأنه يتغير بتغير المكان؛ تتبدل ملامحه وعقيدته وأفكاره حين يكون في الوطن بعيدا عنها أو حين يكون في المهجر والعكس، ويرى الأشياء بصورة مختلفة. فكأنه في غربته شخصان وليس شخصا واحدا، شخص يعيش المهجر ومفرداته وعقيدته ونظامه السياسي وشخص آخر يعيش الوطن ومفرداته وعقيدته ونظامه السياسي والاجتماعي، فالصلاة الثابتة تبدو كما لو كانت طقسا جديدا في رحاب الوطن، وكذلك تلاوة القرآن، كما أحسها عمر حين عاد إلى وطنه في زيارة وصلى في مسجد العاصمة الجامع الذي هو أثر تركي شاهد على الاحتلال وسرقة الثروات ولا يخلف إلا الفقر وبعض العلامات الماحية والمشوشة للهوية الأصلية. (أقيمت الصلاة بصفوف ممتلئة. انسابت تلاوة عربية متقنة ومسحة إفريقية تشتهر بها الدول التي تقرأ برواية ورش. ظللتنا الأحرف شجنا وعذوبة.. كنت أستمع إلى الآيات وكأنها المرة الأولى. شيء مختلف عما اعتدته في الصلوات السريعة العابرة)^{٥٦}. ثم يقرن هذا الإحساس بتأكيد قديم للجدة التي ترى أن إسلام إريتريا أجمل. وكأن الجدة كانت تملك القدرة على مقارنته بغيره!

ولعل المقارنة تفرض نفسها على عقل المهاجر وروحه بوصفها سلوكا طبيعيا ناتجا عن ازدواجية المكان وتناقضه، وانقسام حياة المهاجر بين الوطن

والمهجر، أو بالأحرى انقسامه بين حياتين في حضارتين ومجتمعين مختلفين تماما. فتصبح المقارنة سلوكا ثابتا وجزءا أساسيا من شخصية أبطال الأعمال السردية التي يوجهها المهجر بوصفه قيمة دلالية ونسقا فاعلا في الخطاب الروائي.

ويقابل ثنائية الحضارة أو المجتمعين المتباينين/ الوطن المهجر، ثنائية أخرى في الصوت الأدبي في فضاء الرواية، حيث يدرج الكاتب على تصدير فصول روايته بمقاطع شعرية من لدن شاعرين أحدهما سعودي والآخر إريتري، محمد الثبتي ومحمد مدني الشيخ، لتهيمن فكرة المقابلة والتناقض على فضاء الخطاب الروائي بالكامل ولتكتمل تقنية المقابلة بين الشعر والنثر بوصفهما صوتين أدبيين مختلفين يشتركان في تشكيل أدبية جديدة هي خطاب رواية سمرائيت، والصوتان الشعريان وإن كانا عربيين لغةً فإن أحدهما وهو/ الشاعر السعودي يمثل صورة المهجر، والصوت الثاني وهو الشاعر الإريتري يمثل الوطن، وربما كذلك صورة المهاجر؛ فتتأكد مفارقة المشهد عنصرا أساسيا في بنية الشكل في الخطاب الروائي الذي ينسج مشاهده من المقابلة والمزج بين مشاهد الوطن بمشاهد المهجر ويجعلها متجاوزة لينتج المفارقة الدلالية التي تبرز انقسام الروح وتبرز التناقضات التي تهيمن على الحال النفسية والعقلية للإنسان المهاجر وتكثف مأساته وألمه.

وينتقل خطاب الرواية بين مشاهد المهجر الذي يلفظ الغرباء ويبغضهم، ويراهم جرابيع وافدة تلوث المجتمع وبين الوطن الذي يستقبل أهله بالأحضان، ليقارن بين جوهر المكانين، ويعكس الموقف النفسي للبطل أو الشخصية

المهاجرة من كلا المكانين. فالوطن يبحث عن أبنائه في حين يسعى المهجر دائما لنبذ الوافدين عليه فلا يجدوا فيه عوضا أبدا عن بلدهم. فعمر بطل الرواية الذي يعمل صحفيا في السعودية حين يُجرى تحقيقا صحفيا أو استبياناً مع بعض السعوديين عن قانون منح الجنسية لبعض الحالات من الوافدين يتحدث معه إحدى الشخصيات التي يجري معها الاستبيان بوصفه سعوديا لأنه يتقن اللهجة ويصف الوافدين بالجرايع ويقول إن أبناء البلد أفضل منهم دائما^{٥٧}. ليلخص رأي هذا الرجل موقف المهجر من الوافدين أو من كل غريب مهاجر مثله. على النقيض من ذلك تماما موقف الوطن الذي يستقبله بالمحبة والألفة برغم طول سنوات الاغتراب، فيشعر أن المكان في العاصمة الإريترية (أسمر) يستقبله فاتحا ذراعيه له. هذه المرة كنت أشعر بألفة أكبر مع الطرقات، بدت أسمر وكأنها تفتح لي ذراعيها، كنت أطلع وجوه المارة وكأنني أختبر وجهي، أتمنى أن يكون قد نزع عنه ملامح القادمين الجدد^{٥٨}.

وعلى نحو ما كان عند طارق الطيب وميرال الطحاوي فإن الحب يمثل عند حجي جابر البديل للوطن، وفيه يحاول البطل أن يستعيد بعض دفة الوطن، أو يحاول أن يتغلب به على معاناة الغربة. لكن المختلف عند حجي جابر هو أنه يصر على استعادة الحب مع استعادة الوطن، فلا يلتقي بسمرأويت حبيبته التي تحركه عاطفيا لأول مرة إلا في زيارته الأولى لأريتريا موطنه، فكأنه يقرن استعادة الوطن باستعادة الحب أو كأنه يعود إلى نفسه الحقيقية ويستعيد ذاته بالعودة إلى الوطن فيصبح قادرا على الحب، وكأن الغربة بتشوشها وما تفرضه على المهاجر من انقسام تعوقه دائما عن الحب. وهنا يراه البحث

متشابهها على نحو كبير مع ميرال الطحاوي التي تقعد البطلة المغتربة عندها كل شيء في ظل ظلام الغربة وقسوتها فيصبح الحب مستحيلا والعمر ضائعا. لكن حجي جابر يعود إلى الوطن ويستعيد الحب ويحققه ليتشكل لديه نسق من المقاومة أو الحركة باتجاه التخلص من الغربة والانفلات من المهجر، بخلاف حال الاستسلام التي ربما تغطي على الرسالة في بروكلين هايتس.

وخطاب روايات المهجر دائما ما يشتبك مع المكون السياسي في الوطن، لا ليقارنه هذه المرة بالجانب السياسي في المهجر، بل ليلسط الضوء على سلبياته من وجهة نظر البطل المهاجر الواقع في دائرة ألم الاغتراب، وتتفق الروايات الثلاث في هذا الجانب وإن تفاوتت في درجة المباشرة والوضوح، ففي حين تتوارى قليلا عند ميرال الطحاوي وراء مشاكل المرأة ومقاربتها نفسيا وكشف معاناتها في مجتمع ذكوري، وكشف تحولات المجتمع اقتصاديا وتبدل بنيته بعد الانفتاح فإن المكون السياسي في خطاب روايات طارق الطيب يصبح أكثر بروزا متمثلا في نقد الديكتاتورية العسكرية في السودان بعد أن اتحدت مع السلطة الدينية الرجعية. ولا يقل وضوح المكون السياسي كثيرا عنه عند حجي جابر الذي ركز على رصد مشاكل النظام السياسي في إريتريا وضعفه وتضييقه على الحريات، فيركز بعض الشيء على اعتقال المطرب والمناضل السياسي إدريس محمد لسنوات دون محاكمة برغم التعاطف الشعبي الكبير معه، ليختزل مجتمعه الذي عاد إليه متلهفا في هذه الصورة الاستبدادية، وكأنه يحاول اختزال كل مبررات الهجرة والمعاناة في هذا السبب.

السرد بضمير المتكلم/ أبعاد الذات المغتربة

تجمع بين روايات المهجر المدروسة هنا سمة شكلية أخرى غير مفارقة المشهد، وهي تفضيل الراوي المشارك أو السرد بضمير المتكلم، ويرى البحث أنه الأمثل لسبر معاناة الذات المغتربة والغوص في آلامها. وتمثل هذه الخطابات الروائية لونا من مقاومة المجموع أو المجتمع في حال سيئة وربما ظالمة في صالح محاولة الانتصار للذات أو معاناة الإنسان المغترب بوصفه ضحية أو مجنيا عليه. ولتشارك هذه الروايات في دفع الصوت السردى المخبر عن نفسه، والقاصد إلى رصد الألم وأسبابه وربما تبرير الاغتراب والهجرة وليس مجرد تتبع الحدث في خطاطته السردية عبر لغة جافة، بل تتضح لغة روايات المهجر بقدر من الدفء والحميمية النابعة من البوح، وتبدو الحال السردية كما لو كانت كشف حساب نهائي يراجع فيه البطل أو الصوت السردى حياته في المهجر ويبحث عن السبب الذى دفع به نحو هذه النهاية وحيدا ومغتربا وبعيدا عن وطنه. «ولعل السرد بضمير ال (أنا) أو كتابة السيرة الذاتية الروائية، هو بمثابة تأكيد على هوية المروى وبما هو أي هذا المروى ينتمى إلى زمان ومكان أو إلى مجتمع له تاريخه»^{٥٩}.

وهذا الشكل من الذاتية الذى ارتضته روايات المهجر لعله الأكثر تناسبا مع مرحلة السرديات ما بعد الكلاسيكية أو إبداع ما بعد الحداثة الذى ينتصر للفرد ضد المجموع، «فقد تبين لأعلام تيار النقد الثقافى أن النزعة الاجتماعية المفرطة أو التحليل الاجتماعى الذى يعطى الأولوية للمجتمع ومؤسساته، جعل من الفرد كائنا تابعا للمجتمع ومعايير، ومدافعا عن الأمة أو القومية أو الهوية، قد تسبب في نسيان الفرد وتشيينه، بل وتحوله إلى مجرد سلعة تباع وتشترى في

عصر العولمة المتوحشة. فالمجتمع هو السبب الأساسي للشور والأزمات الاجتماعية التي أخذت تنتشر في العالم المعاصر، لدرجة أن تغول المجتمع على الفرد يكاد يطيح بالحدثة ومشروعها التويري الذي حملته على أكتافها منذ أكثر من قرنين من الزمان، فالمجتمع بوصفه كيانا أساسيا لا بد من أن يبقى، لكن المهم أن يقوم الفرد بتوجيه المجتمع وليس العكس، وأن تكون حقوق الفرد وهمومه في أعلى سلم اهتمامات المجتمع، بحيث نتحول من مجتمع يهيمن على الفرد إلى مجتمع ما بعد حدائي يتبع للفرد ولا يسعى إلا لسعادته»^{٦٠}.

خاتمة:

عند هذا الحد يكون قد اتضح قدر فاعلية المهجر في الخطاب الروائي، سواء من حيث بنية الشكل الروائي أو من حيث المضمون، ففي الشكل نجد أن مفارقة المشهد هي التقنية الفاعلة أو الأكثر حضورا ومنها ينتج بعض القيمة الجمالية لهذا الخطاب الروائي المهجري المرتكزة على كشف التناقض والمفاجأة والمقارنة بين مجتمعين أو حضارتين؛ مجتمع الوطن الأم ومجتمع المهجر. على أن كثيرا من هذه المفاجآت أو المفارقات المفاجئة تكون في أغلبها صادمة وفق رؤية الخطاب الروائي أو من وجهة نظر البطل المهاجر الواقع في دائرة ألم الاغتراب ومعاناته.

كذلك تشترك روايات المهجر المدروسة في قيم دلالية نابغة من الشراكة في ألم الاغتراب والرغبة في جمع شتات الذات المنفرقة بين المكانين، والرغبة في العودة أو النزوع إليها بنوع من القلق المثقل بأسباب الهجرة. وتشترك روايات المهجر في الانحياز للإنسان الواقع تحت أزمة الفقد؛ ليس فقد الوطن، بل فقد الأهل والأصدقاء والتاريخ والماضي الذي يتحول إلى ذكريات تلفها ضبابية الألم

ومعاناة اللحظة الراهنة، وتتحول الذاكرة في هذه الحال إلى مقاوم آخر يشارك الإنسان رحلة رجوعه ونزوعه وعودته فتحاول أن تشكل له صورة جديدة من ذلك الوطن المفقود.

-
- (١) سعيد بنكراد، السميائيات السردية (مدخل نظري)، منشورات الزمن، المغرب، ٢٠٠١م، ص ٩ وما بعدها.
- (٢) سيزا قاسم، القارئ والنص، العلامة والدلالة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٤٥ وما بعدها.
- (٣) ميشيل فوكو، تاريخ الجنسانية ٣ (الانشغال بالذات)، ترجمة محمد هشام، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ١، ٢٠٠٤، ص ٧.
- (٤) مكان جميل داخل إحدى الحدائق في فيينا، عبارة عن بيت من الزجاج لحفظ النباتات الاستوائية. الرواية، ص ٤٠.
- (٥) الرواية، ص ٩٣.
- (٦) نفسه، ص ٩.
- (٧) نفسه، ص ٣٩.
- (٨) نفسه، ص ٨٨.
- (٩) نفسه ، ص ٢٦.
- (١٠) حياة الخيارى، مع الحداثة.. ضد النسق (نماذج من المؤثرات الصوفية)، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عدد ٩٣ ربيع ٢٠١٥م، ص ٣٣، وص ٤٤.
- (١١) بيت النخيل ، ص ٨٩.
- (١٢) سيزا قاسم، القارئ والنص، العلامة والدلالة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٤٦.
- (١٣) نفسه، ص ٧٨.
- (١٤) نفسه، ص ٧٨.
- (١٥) نفسه ، ص ٩٠.

- (١٦) نفسه، ص ٩٣.
- (١٧) نفسه، ص ٩٣.
- (١٨) شاكر عبد الحميد، الحلم والرمز والأسطورة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٥٦.
- (١٩) نفسه ، ص
- (٢٠) بيت النخيل، من ص ٨٠ إلى ٨٢.
- (٢١) نفسه، ص ٨٣.
- (٢٢) مدن بلا نخيل، ص ٢٠.
- (٢٣) نفسه، ص ١٥٩.
- (٢٤) نفسه، الصفحة نفسها.
- (٢٥) نفسه، ص ٢٨.
- (٢٦) نفسه، ص ٢٧.
- (٢٧) نفسه، ص ٣٢.
- (٢٨) نفسه، ص ٣١ وما بعدها.
- (٢٩) نفسه، ص ٣٠.
- (٣٠) نفسه، ص ١٧١.
- (٣١) رواية بيت النخيل ، ص ٣٧٣.
- (٣٢) السابق نفسه، ص ٩٥.
- (٣٣) السابق نفسه ص ٢٧٢.
- (٣٤) بروكلن هايتس، ص ١٢٩.
- (٣٥) السابق، ص ١٣٠.
- (٣٦) السابق نفسه، ص ٤٤.
- (٣٧) نفسه، ٤٣، و ٤٤.
- (٣٨) نفسه، ص ٤٥.
- (٣٩) نفسه، ٤٧.
- (٤٠) نفسه، ص ٧٣.
- (٤١) نفسه، ٧٤.

- (٤٢) نفسه، ص ٧٥.
- (٤٣) نفسه، ص ٩٣ وما بعدها.
- (٤٤) نفسه، ص ٩٣..
- (٤٥) نفسه، ص ٩٥.
- (٤٦) نفسه، ص ٩٧.
- (٤٧) نفسه، ص ٨٠.
- (٤٨) نفسه، ص ١٥٦.
- (٤٩) رواية سمراويت، حجي جابر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٢م، ص ١١.
- (٥٠) السابق نفسه، ص ١٣.
- (٥١) نفسه، ص ١٤.
- (٥٢) نفسه، ص ٢٣ وص ٢٤.
- (٥٣) نفسه، ص ٢٥.
- (٥٤) نفسه، ص ٢٦.
- (٥٥) نفسه، ص ٢٩، وديوان الشاعر ص
- (٥٦) نفسه، ص ٣١.
- (٥٧) رواية سمراويت، ص ٣٦.
- (٥٨) نفسه، ص ٣٨.
- (٥٩) يمنى العيد، الرواية العربية، المتخيل وبنيتة الفنية، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠١١م، ص ١٠.
- (٦٠) رشيد الحاج صالح، العودة من المجتمع إلى الفرد، عالم الفكر، الكويت، عدد٤/ المجلد ٤٣ أبريل يونيو ٢٠١٥، ص ٤٦.

المصادر والمراجع

- حجي جابر، سمرأويت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٢م.
- حياة الخيارى، مع الحداثة.. ضد النسق (نماذج من المؤثرات الصوفية)، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عدد ٩٣ ربيع ٢٠١٥م.
- رشيد الحاج صالح، العودة من المجتمع إلى الفرد، عالم الفكر، الكويت، عدد ٤/ المجلد ٤٣ أبريل يونيو ٢٠١٥
- سعيد بنكراد، السميائيات السردية (مدخل نظري)، منشورات الزمن، المغرب، ٢٠٠١م.
- سيزا قاسم، القارئ والنص، العلامة والدلالة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤م.
- شاكِر عبد الحميد، الحلم والرمز والأسطورة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- طارق الطيب، بيت النخيل، الغاؤون للنشر، لبنان - بيروت، ط ٢، ٢٠١١م.
-، مدن بلا نخيل، الحضارة للنشر، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠٦م.
- ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس، دار ميريت، القاهرة، ط ٢، ٢٠١٠م.
- ميشيل فوكو، تاريخ الجنسانية ٣ (الانشغال بالذات)، ترجمة محمد هشام، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ٢٠٠٤م.
- يمنى العيد، الرواية العربية، المتخيل وبنيته الفنية، دار الفارابي، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠١١م.

توظيف الشواهد النحوية في نظم الدرّة الألفية دراسة وصفية تحليلية

إعداد

د/ طارق مختار المليجي
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

يناير ٢٠١٥

مقدمة

الشعر التعليمي فن قديم، عرفه اليونان منذ القرن الثامن قبل الميلاد، واقتزنت نشأة الشعر التعليمي عند العرب مع انتشار المعارف والثقافات والتعليم والتعلم، فلجئوا إلى الشعر لعلمهم أنه أفضل وأسرع وسيلة لذلك.

ولم يكن ابن معط أول من نظم في النحو، ولكنه يعد أول من صنع ألفية في النحو العربي.

وألفية ابن معط مملوءة بالشواهد النحوية شعرية كانت أو قرآنية أو أمثالا ماثورة، وقد استطاع ابن معط أن يوظف هذه الشواهد توظيفاً بارعاً في ألفيته، وهذا يدل على تمكنه الباهر وملكته الشعرية الفذة.

وقد تنوعت طرق توظيف هذه الشواهد في ألفية ابن معط فأحياناً يضع الشاهد الشعري أو القرآني أو غيرهما تاماً لفظاً ومعنى داخل الألفية، وهذا حدث في مواضع معدودة ومحدودة، وأحياناً أخرى يكتفي بشرط البيت أو جزء من الآية ووقع هذا كثيراً في الألفية.

ووظف ما دون شرط البيت في ألفيته، وأحياناً كان يذكر الكلمة موضع الشاهد فقط في أبياته، وفي مرات معدودة يشير إلى ورود الشواهد عن العرب دون ذكر أي شيء من هذه الشواهد.

وكان وزن الشعر يضطره أحياناً إلى ذكر الشاهد بمعناه دون لفظه وبخاصة في الشواهد القرآنية.

كل ذلك دلّ بما لا يدع مجالاً للشك على براعة ابن معط وامتلاكه نواصي الشواهد المختلفة وتمكنه من أبواب النحو ومزج كل ذلك معاً في ألفية هي - كما سماها - «درة».

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، فأما التمهيد فتناولت فيه نبذة عن الألفية وصاحبها، كما تحدثت فيه عن الشعر التعليمي تاريخه وأشهر من ألف في العلم المنظوم، ثم وازنت بين ألفية ابن معط وألفية ابن مالك، وأخيراً ذكرت أشهر المؤلفات في الشواهد النحوية وشروحها. وأما المبحث الأول فتناولت فيه الشاهد الشعري في ألفية ابن معط وصور استدلاله بالشعر في ألفيته.

وأما المبحث الثاني فتناولت فيه الشاهد القرآني وكيفية توظيف ابن معط للآيات القرآنية بطرق مختلفة للتدليل على القاعدة النحوية. وأما المبحث الثالث فتناولت فيه الأمثال والأساليب والنماذج النحوية التي وظفها ابن معط في ألفيته.

ثم كانت خاتمة البحث التي ذكرت فيها أبرز النقاط التي تناولتها في البحث.

تمهيد

نبذة عن الألفية وصاحبها

صاحب الألفية هو يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي المغربي الحنفي زين الدين، ويكنى بأبي الحسن واشتهر باسم ابن معط. وينسب ابن معط إلى زاوة وهي قبيلة كبيرة بظاهر بجاية من أعمال إفريقية ذات بطون وأفخاذ، ولذا يقال له الزواوي.

ولد ابن معط بالمغرب سنة ٥٦٤هـ، وبجاية مدينة ساحلية على البحر الأبيض المتوسط، تقع الآن ضمن حدود الجمهورية الجزائرية^(١).

وقال الشريشي في مقدمة شرحه للدرة:

«قائل هذه الأرجوزة هو زين الدين أبو زكريا يحيى بن معط بن عبد النور، المغربي الأصل والمنشأ، الزواوي القبيلة، الجزائري البلد، اشتغل بالعربية في المغرب على شيخه أبي موسى عيسى بن يَلْبُخْتِ الجزولي فتمهر فيها، ثم رحل إلى بلاد المشرق فتلقى المشايخ وباحث العلماء وناظر الفضلاء، ثم أقام بدمشق فولاه الملك المعظم النظر في مصالح الجامع، وفي ذلك الوقت نظم هذه الأرجوزة. وكان معاصراً لتاج الدين أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي البغدادي فكانا في عصرهما رئيسي أهل الأدب في دمشق، فلما توفي الملك المعظم نقل الملك الكامل أبا زكريا إلى مصر فأقام بها إلى أن توفي - رحمه

(١) انظر في ذلك: شرح ألفية ابن معط للموصلية، تحقيق ودراسة د/ علي موسى الشوملي ص ١٥، وراجع: إنباه الرواه ٣٨ / ٤، شذرات الذهب ١٢٩ / ٥، معجم الأدباء ٣٥ / ٢٠، ٣٦، وفيات الأعيان ٢٤٣ / ٥، دائرة المعارف الإسلامية ١ / ٣٩١، ٢٨٠ / ٥، بغية الوعاة ٢ / ٣٤٤، البداية والنهاية ١٣ / ١٢٩، ١٣٤، مفتاح السعادة ١ / ١٩٦، النجوم الزاهرة ٦ / ٢٧٨، ومعجم البلدان ١ / ٤٩٥.

الله - بها يوم الاثنين سنة ثمان وعشرين وستمائة آخر يوم من ذي القعدة، ودفن يوم الثلاثاء أول يوم من ذي الحجة بالقرافة^(١).

ويؤكد هذا أبو شامة المؤرخ الذي شهد جنازته بمصر فقال: «وفيها - أي سنة ٦٢٨ هـ - في مستهل ذي الحجة توفي الزين النحوي يحيى بن معط الزواوي - رحمه الله - بالقاهرة، وصلى عليه بجنب القلعة عند سوق الدواب، وحضر الصلاة عليه السلطان الكامل بن العادل، ودفن بالقرافة في طريق قبة الشافعي - رحمه الله -، على يسار المار إليها على حافة الطريق، محاذياً لقبر أبي إبراهيم المزني - رحمه الله -، حضرت دفنه والصلاة عليه، وكان آية في حفظ كلام النحويين»^(٢).

وقد تتلمذ ابن معط على ثلاثة من العلماء كان لهم الأثر القوي في

تكوينه وهم:

١- **الجزولي:** عيسى بن عبد العزيز بن يَلْبَخْت بن عيسى بن يوماريلي البربري المراكشي اليزدككتي العلامة أبو موسى الجزولي^(٣).

٢- **ابن عساكر:** قاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله أبو محمد بن عساكر، محدث من أهل دمشق، زار مصر، وأخذ عن أهلها، وهو ابن صاحب التاريخ الكبير^(٤).

(١) انظر: شرح ألفية ابن معط للشريشي ٣٣ / ١.

(٢) الذيل على الروضتين لأبي شامة ص ١٦٠، القاهرة ١٣٦٦ هـ.

(٣) انظر: شرح ألفية ابن معط للموصلي ص ٢٣، وراجع: التكملة لابن الأبار ٢ / ٦٩٠، بغية الوعاة ٢ / ٢٣٦، وفيات الأعيان ٣ / ١٥٧، مرآة الجنان ٤ / ٢٠.

(٤) انظر: شرح ألفية ابن معط للموصلي ص ٢٣، وراجع: طبقات السبكي ٥ / ١٤٨، الأعلام ٦ / ١٢، بروكلمان ١ / ٤٠٤.

٣- **التاج الكندي**: زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير ابن الحارث ذي رعين تاج أبو اليمن الكندي البغدادي ثم الدمشقي النحوي اللغوي المقرئ المحدث^(١).

وقد ذكرت كتب التراجم مجموعة من مؤلفات ابن معط تشهد بأصالته وعمق فكره^(٢).

الشعر التعليمي:

ذكر صاحب رسالة الشعر التعليمي في القرون الأربعة الأولى، أن هذا الفن قديم، عرفه اليونان منذ القرن الثامن قبل الميلاد، وقد اقترنت نشأة الشعر التعليمي عند العرب مع انتشار المعارف والثقافات والتعليم والتعلم، فلجئوا إلى الشعر لعلمهم أنه أفضل وأسرع وسيلة لذلك، ولذا فقد كانت أراجيز رؤبة والعجاج من أوائل الأشعار التعليمية التي قالها العرب^(٣).

أما الشعر التعليمي المختص بالنحو فقد أشار السيوطي لقول ابن حيان: وقد نظم هذا أحمد بن منصور اليشكري في أرجوزته وهي أرجوزة قديمة عدتها ثلاثة آلاف بيت إلا تسعين بيتاً احتوى على نظم سهل وعلم جم^(٤).

ومن الذين أسهموا أيضاً في هذا المجال الحريري، صاحب المقامات المشهورة، حيث نظم أرجوزته المسماة (ملحة الإعراب) وتبلغ عدة أبياتها

(١) انظر: شرح ألفية ابن معط للموصلي ص ٢٣، وراجع: وفيات الأعيان ٢ / ٨٧، معجم الأدباء ١١ / ١٧١، الكامل لابن الأثير ١٢ / ١٤٥، شذرات الذهب ٥ / ٥٤، كشف الظنون ٢ / ٨١٢.

(٢) راجع في ذلك: بغية الوعاة ٢ / ٣٤٤، الفصول الخمسون ٢٧، شذرات الذهب ٥ / ١٢٩، وفيات الأعيان ٥ / ٢٤٣، معجم الأدباء ٢٠ / ٣٥، ٣٦.

(٣) انظر: الشعر التعليمي في القرون الأربعة الأولى، رسالة دكتوراة لعصمت عبدالله غوشة، كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٧٠، ص ٦ - ٣٩.

(٤) شرح ألفية ابن معط للموصلي ص ٨٦، وانظر: الأشباه والنظائر ١ / ١٢٣.

ثلاثمائة وسبعة وسبعين بيتاً، وكذلك أسهم أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الشنتمري فنظم أرجوزته في النحو وغيرهم^(١).

ومن ثم لم يكن ابن معط أول من نظم في النحو، ولكنه يعد أول من صنع ألفية في النحو العربي، فاتحاً بذلك الباب وممهّداً السبيل لمن أتى بعده كابن مالك وغيره من أعلام الدراسة النحوية^(٢).

وقد امتدح العلماء ألفية ابن معط بما هي أهله، فهذا جمال الدين الشريشي يصفها بقوله: «وهذه الأرجوزة البديعة الفصيحة شاهدة له بسعة العلم وجودة القريحة، إذ نظم فيها علم العربية نظم الجواهر في السلك، وخلصها من الحشو تخليص الذهب عند السبك، فهي كما قلت فيها:

الدرة المنظومة الألفية أجل ما في الكتب النحوية
لكونها في حجمها صغيرة جليلة في قدرها كبيرة
قد ضبطت أصول علم الأدب واختصرت ما في طوال الكتب
من أجل ذلك لقبته بالدره واشتهرت في الناس أي شهره
نظمها الشيخ الإمام يحيى فذكره يبقى بها ويحيا
على مرور الدهر والأعصار وحيثما حلت من الأمصار
فرحمة الله مع السلام عليه من علامة إمام^(٣)

ويصفها ابن النحوية بقوله: هذا الكتاب ككلمة التوحيد خفيفة على

اللسان ثقيلة في الميزان^(٤).

(١) انظر: شرح ألفية ابن معط للموصلي ص ١٨٦، وراجع بغية الوعاة ٢/ ٢٥٩، ٣٢٥.

(٢) مقدمة تحقيق (الفصول الخمسون) ص ٥، وشرح ألفية ابن معط للرعيني ١/ ٦٠.

(٣) التعليقات الوفية: ص ٣.

(٤) شرح ألفية ابن معط للرعيني: ص ٣.

ويحث الرعيني طلاب علم النحو على لزومها والاجتهاد في تحصيلها
فيقول^(١):

يا طالب النحو ذا اجتهاد يسمو به للعلا ويحيا
إن شئت نيل المراد فاقصد أرجوزة للإمام يحيى
ويقرنها ابن الوردى بكتاب سيبويه إذ يقول: شاهدة لناظمها بإصابة
الصواب، والتقنن في الآداب، حتى كأن سيبويه ذا الإعراب قال له: يا يحيى
خذ الكتاب^(٢).

وقد عرف ابن مالك قدر ابن معط حيث قال عنه في ألفيته:
وهو بسبق حائز تقضيلاً مستوجب ثنائي الجميلاً
والدرة الألفية صغيرة في حجمها كبيرة في قيمتها العلمية، فقد ضمنها
ابن معط جميع أبواب النحو والصرف. ولكونها شعرًا جاءت الأبواب الواقعة
فيها مقفلة، والفصول والفروع الداخلة تحتها مجملية، فقارئها إن كان مبتدئًا
محتاج إلى فتح تلك الأبواب وضبطها^(٣) فأقبل العلماء على شرحها وتحليلها
للراغبين في ذلك.

وقد ذكر الباحثون كثيرًا من شروح الدرة الألفية عدها بعضهم سبعة
عشر شرحًا^(٤).

بين ابن معط وابن مالك:

ذكرنا سابقًا أن ابن معط هو أول من ألف ألفية في النحو وقد ذكر
ابن معط هذا في قوله:

(١) السابق: ص ٤.
(٢) تاريخ ابن الوردى: ٢ / ٢٣٢.
(٣) شرح ألفية ابن معط للشريشي: ١ / ١، ٢.
(٤) شرح ألفية ابن معط للنيلي: ٢ / ١٩ وما بعدها.

..... هذا تمام الدرة الألفية

نظمها يحيى بن معط المغربي تذكرة وجيزة للمعرب

فهو أول من استخدم لفظ الألفية وتبعه بعد ذلك العلماء ومنهم ابن مالك الذي ذكر لفظ الألفية لابن معط في قوله:

..... فائقة ألفية ابن معطي

ولا شك أن السابق له فضل السبق وهذا ما جعل ابن مالك يذكر فضل ابن معط في السبق.

وقد أفاد ابن مالك من ألفية ابن معط الكثير، فقد درّس ابن مالك ألفية ابن معط لطلابه قبل أن يؤلف ألفيته، ومن ثم وقف على مواضع القوة والضعف في ألفية ابن معط وتحاشى هذا الضعف عند تأليفه ألفيته فجاءت ألفية ابن مالك أكثر إحكاماً وأسلم قياداً مما أثر سلباً على ألفية ابن معط؛ فعلى حين لقيت ألفية ابن معط إهمالاً وتهميئاً، حظيت ألفية ابن مالك بالشهرة والانتشار.

وكان لذلك أسباب ذكرها مُحَقِّقُ شرح ألفية ابن معط للموصلي حيث قال: «ألف ابن معط ألفيته وهو في ريعان شبابه، ولم يتجاوز بعد الحادية والثلاثين من عمره، فخبيرته قليلة ومعرّكته مع التأليف في بداية عمرها، وكان على عكسه ابن مالك حيث مارس التأليف، وبعد أن عركته المجالس الأدبية، ونضج عقلياً وعلمياً.. لقد نظم ابن مالك ألفيته بعد أن رسخت قدمه وطال باعه في درس النحو وتصنيفه»^(١).

(١) شرح ألفية ابن معط للموصلي بتحقيق الشوملي: ص ٧٦ وما بعدها.

ومما ميز ألفية ابن مالك أن ابن معط كان يدمج المسائل الكثيرة تحت الباب الواحد، لكن ألفية ابن مالك امتازت بتشقيق المسائل وفصلها في أبواب منفصلة فكان ابن مالك أكثر توفيقاً في تبويب وتصنيف الموضوعات من ابن معط^(١).

على أن ابن معط يظل له فضل سبق، ويظل ابن مالك تابعاً له، وقد كان ابن مالك مقلداً لابن معط حتى في كلماته وأبياته، وكثيراً ما كان يأخذ البيت أو شطر البيت، وفي أحيان أخرى يأخذ الفكرة ثم يعيد صياغتها بأسلوبه الخاص والأمثلة على ذلك كثيرة مثل لها محقق شرح ألفية ابن معط للموصلي^(٢).

ولذلك قال المقري: «واعلم أن الألفية مختصرة الكافية كما تقدم، وكثير من أبياتها فيها بلفظها، ومتبوعة فيها ابن معط ونظمه أجمع وأوعب، ونظم ابن معط أسلس وأعذب»^(٣).

وأخيراً - وهو صلب هذه الدراسة - أن ألفية ابن معط مملوءة بالشواهد النحوية شعرية كانت أو قرآنية أو أمثالاً مأثورة، والغرض من تضمين هذه الشواهد في الألفية هو توضيح القاعدة، وربطها بالمحفوظ لدى الطلاب من هذه الشواهد المشهورة، حتى تثبت القاعدة في ذهن الطالب والمتعلم.

وبعد، فإن الشواهد النحوية شغلت النحاة قديماً وحديثاً، ولا عجب أن

نجد مصنفات خصصت للشواهد النحوية فقط مثل:

* شرح أبيات سيبويه للسيرافي.

(١) السابق.

(٢) السابق.

(٣) نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، للمقري. تحقيق إحسان عباس ٢/ ٢٣٢.

* شرح أبيات سيبويه للنحاس.

* شرح شواهد الشافية للبغدادي.

* شرح شواهد الإيضاح لأبي علي الفارسي. تأليف عبدالله بن بري.

* وشى الحل في شرح أبيات الجمل للفهري.

* شواهد أبيات مغني اللبيب، للبغدادي.

* شواهد أبيات مغني اللبيب للسيوطي.

وقد اتسع الأمر في العصر الحديث حتى ألفت معاجم تتناول الشواهد

النحوية ومن ذلك:

* معجم شواهد العربية لهارون.

* معجم شواهد النحو الشعرية، د/ حنا جميل حداد.

* المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، د/ إميل بديع يعقوب وغير هذا

كثير.

ومن هنا كانت فكرة هذا البحث في الوقوف مع الشواهد النحوية التي

ضمنها ابن معط ألفيته سواء أ كانت شعرية أم قرآنية أم أحاديث نبوية أم

أمثال العرب وأقوالهم.

المبحث الأول: الشاهد الشعري:

كان الشاهد الشعري دائماً وأبداً المصدر الأساس لتقعيد القواعد، ولذا

لم يكن من المستغرب أن تكون الأشعار هي أكثر ما استدل به النحاة على

صحة قواعدهم، ولم يكن ابن معط إلا واحداً من هؤلاء النحاة الذين اعتمدوا

على الشعر في إثبات القاعدة، وقد تمثل هذا الاستدلال بالشعر في صور

متعددة، فقد كان يضمن ألفيته أكثر من بيت شعري في الموضع الواحد، كما ضمن ألفيته في مواضع أخرى البيت الشعري بتمامه، وفي مواضع ثانية كان يضمن ألفيته شطر البيت الشعري، وكثيرا ما كان يضمن ألفيته الكلمة أو الكلمتين أو أكثر دون شطر البيت والتي كانت تمثل جزء بيت شعري مما استدل به النحاة على قواعدهم، وأخيراً كان يشير إلى صحة ما ذهب إليه في القواعد بالإشارة إلى ما ورد في شعر العرب دون ذكر أي كلمة من هذه الأشعار.

وسنحاول الآن ذكر نماذج مختلفة مما ضمنه ابن معط ألفيته من الشعر بصورة المختلفة التي ذكرناها آنفاً.

١- ذكر أكثر من بيت في المسألة الواحدة:

كان ابن معط يتحدث عن المفعول له وأنه يأتي معرفة ونكرة، ومجيء المفعول له نكرة محل اتفاق، أما مجيء المفعول له معرفة فهو مذهب سيبويه وأصحابه ولم يخالف في كونه معرفة إلا أبو عمر الجرمي، فإنه يأبى تعريفه؛ لأن المفعول له عنده ينتصب انتصاب المصادر التي تقع حالاً نحو: جاء ركضاً، وقتلته صبراً، وهي لا تكون إلا نكرة، وما كان منها مضافاً فهو في حكم الانفصال.

وقد أشار ابن معط إلى مجيء المفعول له بالتعريف والتكثير في بيتين من ألفيته وقد ضمنها ثلاثة شواهد من الشعر فقال:

٢٨٣- وجاءَ بالتَّعْرِيفِ والتَّكْثِيرِ يَرْكَبُ كُلَّ عَاقِرٍ جُمُهورِ

٢٨٤- مَخَافَةً وَرَعَلَ المَخْبُورِ والهَوْلَ مِنْ تَهْوُلِ الهُبُورِ

فقد جاء المفعول له في الأبيات نكرة ومعرفة، فالشاهد على مجيئه نكرة قوله: (مخافة)، والشاهد على مجيئه معرفاً بالإضافة قوله: (وزعل المحبور)، وكذلك جاء معرفاً بالألف واللام في قوله: (الهُول).

وهذا هو الموضع الوحيد الذي ذكر ابن معط فيه أكثر من بيت شعر

للتدليل على القاعدة النحوية التي ساقها وهو قوله:

يَرْكَبُ كُلَّ عَاقِرٍ جُمُهورٍ

مَخَافَةً وَزَعَلَ المَحْبُورِ

والهُولَ مِنْ تَهْوُلِ الهُبورِ^(١)

٢- ذكر بيت الشعر بتمامه للتدليل على القاعدة:

ذكر ابن معط في مواضع متعددة الشاهد الشعري بتمامه دون حذف شيء منه عند التدليل على القاعدة النحوية، ومن ذلك قوله في حروف الجر عند حديثه عن الكاف:

١٣٥- والكافُ لِلتَّشْبِيهِ قَدْ تَكُونُ اسماً وَحَرْفاً مِثْلَ ما يَبِينُ

١٣٦- فِي قَوْلِ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ كَافَيْنِ وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤَنِّقِينَ

فالكاف للتشبيه، تقول: زيد كالأسد، أي: يشبه الأسد، وتجيء حرفاً واسماً بمعنى (مثل)، ودليل الحرفية صحة وقوعها صلة للموصول، تقول: جاءني الذي كزيد، كما تقول: الذي في الدار، فلما تمت الصلة بها علم أنها حرف جر، لأن الصلة لا تكون إلا جملة، وحروف الجر تتعلق بالأفعال فتصير مع ما دخلت عليه، لتعقلها بها.

(١) هذا الرجز للعجاج، انظر: ديوانه، ٢٣٠، الكتاب ١/٢٦٩، شرح ابن يعيش ٢/٥٤، أسرار العربية ١٨٧، الأصول في النحو ١/٢٥١، شرح ألفية ابن معط للموصلي ٥٨٤، ٥٨٥، وشرح ألفية ابن معط للنيلي ٣/٥٢٠، ٥٢١.

وتكون الكاف اسماً إذا دخل عليها حرف الجر كما مثل ابن معط

بقول الشاعر:

وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤْتَفَيْنِ^(١)

فالكاف الأولى حرف، والثانية اسم لدخول حرف الجر عليها، ولا يجوز جعل الأولى اسماً والثانية حرفاً لما يلزم من الفصل بين المضاف والمضاف إليه، وإنما تعين أن تكون الثانية اسماً لأن الكاف الأولى حرف جر، وحرف الجر لا يدخل إلا على الأسماء .

* ومن المواضع التي ذكر فيها ابن معط الشاهد بتمامه قوله في باب التحذير:

٢١٦- وَمِنْهُ مَفْعُولٌ عَلَى الْمَعْنَى أَضْمَرَ فِعْلُهُ كَبَيْتٍ قَدْ نُقِلَ

حُمِلَ

٢١٧- قَدْ سَأَلَمَ الْحَيَاتُ مِنْهُ الْقَدَمَا الْأَفْعُونَ وَالشُّجَاعَ الشُّجَعَمَا

فابن معط يتحدث هاهنا عن الفعل المضمر في هذا الباب، وذكر قبل ذلك أنهم أضمروا أفعالاً ناصبة للمفعول في هذا الباب وهذه الأفعال التي أضمروها إنما يكون لدلالة معنى الكلام عليه، ومنه البيت الذي ذكره ابن معط آنفاً، لأن القياس يقتضي رفع (الأفعوان) وما بعده على البدل من (الحيات) لأنه تفصيلها، لكنه نصبهما حملاً على المعنى، لأن الحيات مرفوعة بسالم، والقدم منصوب به، والمسالمة مفاعلة، ولا تكون غالباً إلا من شيئين، وهو لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد. فكأنه قال: سالم القدم الأفعوان والشجاع، فأضمر

(١) البيت لخطام بن نصر المجاشعي، وقيل: لهميان بن قحافة، انظر: الكتاب ١/٣٢، شرح ابن يعيش ٤٢/٨، الخصائص ٣٦٨/٢، المقتضب ٩٥/٢، العيني ٥٩٢/٤، شرح ألفية ابن معط لابن النحوية ٢٨٤، وشرح ألفية ابن معط للموصلي ٣٨٨، وشرح ألفية ابن معط للنيلي ٢٨٩/٣.

لهما ناصبًا، وكل واحد من الحيات والقدم فاعل ومفعول باعتبارين؛ لأن الحيات وإن كانت مسالمة للقدم، فالقدم أيضًا سالمتها^(١).

ومن تلك المواضع أيضًا في حديثه عن العلم وأنواعه حيث قال:

٣٣٠- وَمُتْرَكِّبٌ كَمَعْدِي كَرِيًّا وَجَمَلَةٌ مَحْكِيَّةٌ لَنْ تُعْرِبَا

٣٣١- كَشَابٌ قَرْنَاهَا وَدَرَى حَبًّا وَمِنْهُ بَيْتٌ قَدْ نَمَّتْهُ الْأَنْبَا

٣٣٢- نُبِنْتُ أَحْوَالِي بَنِي يَزِيدٍ ظُلْمًا عَلَيْنَا لَهُمْ قَدِيدٌ

فهو يتحدث هنا عن القسم الثاني من المنقول المركب، وهو ضربان: جملة في الأصل، وغيرجملة. وغيرجملة: مضاف وغير مضاف، والمضاف: كنية وغير كنية.

والشاهد في البيت الأخير هاهنا قوله: (يزيد)، ففي يزيد ضمير لأنه مأخوذ من قولهم المال يزيد، فيكون فيه ضمير مستكن مرتفع بيزيد، وإلا لو كان مجردًا عن الضمير لكان في موضع الجر مفتوحًا؛ لكونه مفردًا لا ينصرف. فالشاهد في البيت حكاية (يزيد) للضمير الذي فيه، فلولا الضمير لأعرب ومنع من الصرف^(٢).

* ومن الشواهد التي ذكرها تامة في ألفيته قوله في البذل:

٤٥٨- وَأَبْدَلُوا الْفِعْلَ مِنَ الْفِعْلِ إِذَا كَانَ بِمَعْنَاهُ وَدَاكَ مِثْلُ ذَا

٤٥٩- إِنَّ عَلَيَّ اللَّهُ أَنْ تُبَايَعَا تُؤَخِّدَ كَرَهَا أَوْ تَجِيءَ طَائِعًا

(١) هذا البيت مختلف في نسبه، انظر: الكتاب ٢٨٦/١، المقتضب ٢٨٣/٣، مغني اللبيب ٩١٧، رصف المباني ٣٠٧، شرح ألفية ابن معط للموصلي ٤٩٩، وشرحها للنيلي ٣/٤١٥، وشرحها لابن النحوية ٣٨٩.

(٢) قائله رؤبة بن العجاج وهو في الزيادات ١٧٢، الخزانة ١٣٠/١، العين ٣٨٨/١، شرح ابن يعيش ٢٨٠/١، شرح ألفية ابن معط للنيلي ٥٨٣/٣، وشرحها للموصلي ٦٤١.

من المعلوم أن الفعلين إذا اتفقا في المعنى جاز أن يبدل أحدهما من الآخر كقولنا: إن تكرمَ زيدًا تحسنُ إليه فهو أهل. فالفعل (تحسنُ) مجزوم لأنه بدل من الفعل (تكرمُ) المجزوم، وجاز إبداله منه لأنه بمعناه، فالإكرام بمعنى الإحسان.

أما إذا كان الفعل الثاني ليس بمعنى الفعل الأول فلا يجوز إبدال الثاني، كقولنا: إن تقمَ تضحكُ أكرمك، فلا يجوز جزم (تضحك) على البديل من (تقم) لأنه ليس بمعناه.

أما البيت الذي استشهد به ابن معط في ألفيته - وهو من شواهد الكتاب - فالشاهد فيه أنه نصب (تؤخذ) على البديل من (تبايع) لأنه في معناه؛ لأن المبايع لا ينفك عن أحد الأمرين: إما أن يؤخذ كارهاً أو يجيء طائعا^(١).

* وفي حديثه عن شدوذ اقتران خبر كاد ب (أن) قال:

٥٣٤- أَنْ مَعَ كَادَ فِي شُدُوزٍ وَصَحَا قَدْ كَادَ مِنْ طُولِ اللَّيْلِ أَنْ يَمْصَحَا

فكاد معناها شدة المقاربة والمشاركة، ولذلك حذفوا (أن) من خبرها؛ لأنه يقارب الحال، وذلك ينافي (أن)، فإن دخلت (أن) في خبرها فهو شاذ، وضمن النظم بيتاً من الرجز المشطور وهو النصف الثاني من بيت الألفية السابق، وقبل هذا البيت:

ربع عفاه الدهر طولاً فانمحي^(٢)

(١) البيت مجهول القائل، الكتاب ١/١٥٦، المقتضب ٢/٦٢، الأصول في النحو ٢/٤٨، شرح الجمل ١/١١٨، العيني ٤/١٩٩، الخزانة ٢/٣٧٣، شرح ألفية ابن معط للنيلي ٣/٧٨٣، وشرحها للموصلي ٨١١.

(٢) البيتان لرؤبة بن العجاج، ديوانه ١٧٢، الكتاب ١/٤٧٨، المقتضب ٣/٧٥، شرح ابن يعيش ٧/١٢١، العيني ٢/٢١٥، الخزانة ٤/٩٠، شرح ألفية ابن معط للنيلي ٤/٥١، وشرحها للموصلي ٩٠٣.

٣- ذكر شطر البيت للاستدلال على القاعدة:

استدل ابن معط بشطر بيت الشعر في مواطن عدة لإثبات القاعدة،
ومن ذلك قوله في باب المبتدأ والخبر:

٤٧٩- والمُضْمَرُ العَائِدُ إمَّا غَائِبٌ أو مُتَكَلِّمٌ أو المُخَاطَبُ

٤٨٠- تَمَثِيلُ ذَلِكَ فِي الخِطَابِ بَيْنَا في: أَنَا أَنْتِ القَاتِلِي أَنْتِ أَنَا

فابن معط هنا يتكلم عن الخبر إذا كان ظرفاً أو جملة وكان فيهما ضمير يعود على المبتدأ وجب أن يكون مطابقاً له في التكلم والخطاب والتعيين. أما الغائب فيجوز: زيد قام أبوه وزيد أبوه قائم، وأما المتكلم فنحو: أنا قمت وأنا قائم أبي، وأما المخاطب فنحو: أنت قمت وأنت قائم أبوك. وقد اجتمع ذلك في شطر البيت الذي ذكره ابن معط وهو:

كيف يخفى عنك ما حل بنا أنا أنت القاتلي أنت أنا^(١)

* وفي باب لا النافية للجنس عند حديثه عن إقحام اللام بين المضاف والمضاف إليه في مثل: لا أبا لك قال:

٥٦٤- وَقَدْ تَقُولُ: لا أَبَا لِعَمْرُو ولا يَدَى لَهُ بِدْفَعِ الشَّرِّ

٥٦٥- وَاللَّامُ مُقَحَّمٌ كَأَنَّ لَمْ يَبْتَبَّ وَمِثْلُهُ: يَا بُؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي

فقوله: ومثله، يريد ومثل (لا أبا لك) (يا بؤس للحرب)، ويريد

بالمماثلة هنا في إقحام اللام بين المضاف والمضاف إليه لا في تحقيق الإضافة وتعريف الأول بالثاني، ولا بالاعتداد بها فاصلة بين المضاف والمضاف إليه كما في: لا أبا لك.

فالشطر الثاني من البيت الثاني هاهنا صدر بيت، والبيت هو:

(١) الخزانة ٥٢٧/٢، شرح ألفية ابن معط للموصلي ٨٣٧، وشرحها للنيلي ٣/ ٨١٤.

يَا بُؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَصَعْتُ أَرَاهِطَ فَاَسْتَرَأُحُوا^(١)

* واستدل أيضًا بشطر بيت عند حديثه عن (كم) الخبرية وحكم مميزها إذا فصل بينهما فقال:

٧١٦- وَأَنْصِبَ بِكُمْ مُفَسِّرًا إِنْ فُصِّلَا كَكَمْ بِجُودٍ مُقْرَفًا نَالَ الْعُلَى

يريد في (كم) الخبرية؛ لأن مميزها قبل الفصل كان مجرورًا بالإضافة.

وقيل: الجر بـ(من) مقدرة، أما الاستفهامية فمميزها منصوب غالبًا فصلت أم لم تفصل، وأما الخبرية فإن قدر أن الجر بإضافتها إلى المجرور بها قبح الفصل كما يقبح بين المضاف والمضاف إليه، فيختار النصب، والفصل بين (كم) الخبرية ومميزها قد يكون بالظرف مثل الشاهد الذي استدل به ابن معط، وهو صدر بيت، والبيت هو:

كَمْ بِجُودٍ مُقْرَفًا نَالَ الْعُلَا وَشَرِيفٍ بَخْلُهُ قَدْ وَصَعَهُ

يروى بنصب (مقرف) وقد فصل بينهما (بجود)^(٢).

* وفي باب التصغير عند حديثه عن تصغير الثلاثي، وأن تصغير الثلاثي يكون على وزن (فُعَيْل)، وأشار إلى ذلك في بيت الألفية الذي قال فيه:

٧٨٧- فَعُلٌ مُمَثِّلًا لَذَاكَ رَاوِيَا أَحْشَى رُكْبِيًّا أَوْ رُجَيْلًا عَادِيَا

فقول ابن معط (لذالك) إشارة إلى مثال الثلاثي وهو فُعَيْل، وأما رُكْبِيَّا

ورُجَيْل فتصغير رُكْبٍ ورَجُلٌ بفتح الراء وسكون ما بعدها، وقوله: (راويا) إشارة

(١) القائل سعد بن مالك، الكتاب ٣٥١/١، الخصائص ١٠٦/٣، المحتسب ٩٣/٢، ابن الشجري ٨٣/٢، مغني اللبيب ٢٨٦، شرح ألفية ابن معط للموصلي ٩٤٤، وشرحها للنيلي ٩٢/٤.

(٢) مختلف في نسبه، الكتاب ١٦٧/٢، المقترض ٦١/٣، شرح ابن يعيش ١٣٢/٤، الخزانة ١١٩/٣، شرح ألفية ابن معط للنيلي ٢٨٢/٤، وشرحها للموصلي ١١٢٠.

إلى البيت الذي يحتج به على أنهما ليسا بجمعي تكسير لراكب وراجل لتصغيرهما على لفظهما وهو:

بَنَيْتُهُ بَعْضَبَةً مِنْ مَالِيَا أَحْشَى زُكَيْبًا أَوْ رُجَيْلًا عَادِيًا^(١)

* وفي الباب نفسه عند استشهاده على تصغير (ذا) ذكر شطر بيت فقال في الألفية:

٨١٠- كَمِثْلُ قَوْلِ الْقَائِلِ الْمَرْوِيِّ أَنِّي أَبُو ذِيَالِكِ الصَّبِيِّ

فالشطر الثاني من هذا البيت هو عجز بيت شعر لرؤية، والبيت هو:

أَوْ تَخْلِفِي بِرَبِّكَ الْعَلِيِّ أَنِّي أَبُو ذِيَالِكِ الصَّبِيِّ

فأسماء الإشارة تصغر شذوذًا مع حرف التنبيه، فيقال: هَذِيَا وَهَاتِيَا،

ومع حرف الخطاب نحو: ذِيَاكَ وَذِيَالِكَ وَتِيَاكَ وَتِيَالِكَ. ومنه البيت الذي ذكرناه آنفًا^(٢).

* وقد يستدل ابن معط بشطر البيت إلا أن إقامة الوزن تضطره إلى التغيير في شطر البيت، ومثال ذلك ما ذكره في باب الحال في قوله:

٢٦٦- وَحَالٌ مَا نُكَّرَ قَبْلَهُ يُحَلُّ كَقَوْلِهِ: لِمِيٍّ مُوحِشًا طَلَّلَ

فالحال تكون من المعرفة وتكون من النكرة إذا قدمت عليها نحو: قام

ضاحكًا رَجُلٌ، وقد استشهدوا على ذلك بالبيت الذي ذكره ابن معط في الشطر الثاني من البيت السابق، وما ذكره صدر بيت والبيت هو:

لِمِيَّةٍ مُوحِشًا طَلَّلَ يُلُوخُ كَأَنَّهُ حَلَّلُ^(١)

(١) شرح الشافية ٢/٢٠٢، شرح ابن يعيش ٥/٧٧، المنصف ٢/١٠١، الأغاني ١٥/٤٨، التكملة ١٧٨، شرح ألفية ابن معط للموصلية ١٢٠٥، وشرحها للنيلي ٤/٣٨٦.

(٢) ديوانه ١٨٨، العيني ٢/٢٣٢، شرح ألفية ابن معط للموصلية ١٢١٩، وشرحها للنيلي ٤/٤٠٧.

وقد اضطر ابن معط للاستغناء عن تاء مِيَّة لإقامة الوزن.

٤- الاستدلال بما هو دون شطر البيت:

* كان ابن معط يستدل بالكلمة أو الكلمتين أو أكثر مما هو دون شطر البيت للتدليل على القاعدة ومن ذلك في حديثه عن التنثية:

٦٧- وَإِنْ يَزِدْ فَاَلْيَاءُ لَا تَحُولُ وَالْيَاءُ فِي الْمَنْقُوصِ لَا تَزُولُ

٦٨- نَقُولُ: قَاصِيَانِ أَعْلِيَانِ وَشَدَّ فِي الْمَقْصُورِ مِذْرَوَانَ

٦٩- مِثْلَ شُدُودِ قَوْلِهِمْ أَلْيَانَ فَحَذَفُوا التَّاءَ كَذَا خُصِيَانَ

فهو هنا يتحدث عن تنثية المنقوص والمقصور، فالمنقوص ثلاثياً كان أو زائداً حكمه حكم المقصور الزائد على الثلاثة - أي تكون التنثية بالياء - وقد شذ من المقصور الزائد على الثلاثة من التنثية بالياء: مِذْرَوَانَ، لطرفي الإلية، ومنه قول عنتره:

أَحْوَلِي تَنْفُضُ اسْتَكُّ مِذْرَوَيْهَا لِنَعْتُلْنِي فَهَذَا عُمَارًا^(١)

فهو هنا يشير بكلمة (مِذْرَوَانَ) إلى الشاهد الشعري الذي ذكرناه.

ثم يتحدث عن تنثية المؤنث في البيت الذي يليه، فقياس تنثية المؤنث أن تثبت فيه علامة التأنيث فرقاً بين المذكر والمؤنث، وقد شذ من ذلك: أَلْيَانَ وخصيان بحذف التاء وهو هنا يشير إلى قول الشاعر:

تَرْتَجُّ أَلْيَاهُ ارْتِجَاجَ الْوَطْبِ^(٢)

(١) البيت لكثير عزة، ديوانه ٥٠٦، الكتاب ١٢٣/٢، الخصائص ٤٩٢/٢، مجالس العلماء للزجاج ١٧٤، الفصول الخمسون ١٨٧، المرتجل ١٦٦، وشرح ألفية ابن معط للنيلي ٤٩٢/٣.

(٢) البيت لعنتره، ديوانه ٢٣٤، شرح التسهيل ٩٤/١، شرح ابن يعيش ٥٦/٢، والأمالى الشجرية ١٩/١.

(٣) مجهول القائل، المقتضب ٤١/٣، الاقتضاب ٩٣، الخزانة ٣٦٦/٣، شرح ابن يعيش ١٤٣/٣، المخصص ١١٠/١٢، أمالي ابن الشجري ٢٠/١، شرح ألفية ابن معط للرعياني

وقول الآخر:

كَأَنَّ خُصِيَّيْهِ مِنَ التَّدْلُلِ ظَرْفُ عَجُوزٍ فِيهِ ثِنْتَا حَنْظَلٍ^(١)

* ومثل ذلك أيضًا في حروف الجر:

١٢٨- كَقَوْلِهِمْ: كَمْ مَوْطِنٍ لَوْلَايَا وَأَبْنُ يَزِيدَ رَدَّ هَذَا الرَّأْيَا

فهو هنا يتكلم عن (لولا) إذا وقع بعدها الضمير المتصل في مثل:

لولاي، لولانا، لولاك... إلخ وهذه اللغة ثابتة، رواها الثقات عن العرب، واحتج

لها سيبويه بقول يزيد بن الحكم الثقفي:

وَكَمْ مَوْطِنٍ لَوْلَايَ طَحَّتْ كَمَا هَوَى بِأَجْرَامِهِ مِنْ قُلَّةِ النَّيْقِ مُنْهَوِي

وقد ردّ المبرد هذه اللغة وقال: إن في هذا الشعر شذوذًا وخروجًا عن القياس

ولا يُعْرَجُ عَلَيْهِ^(٢).

* وفي الباب نفسه عند الحديث عن حرف الجر (رب) وإضمامه بعد الواو

والفاء وبل، ومعنى الإضمام سقوط حرف الجر من اللفظ إلا أنه مراد في النية

والتقدير قال:

١٤٤- وَحَيْثُمَا لَهَا دَلِيلٌ بَاقِي كَقَوْلِهِ وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ

٢/ ٣٧١ وما بعدها، وشرحها للنيلي ٣/ ١٢٧ وما بعدها، وشرحها للموصلي ٢٧٨، ٢٧٩، وشرحها لابن النحوية ص ١٦٠.

(١) مختلف في نسبته، الكتاب ٢/ ١٧٧، المقتضب ٢/ ١٥٦، المنصف ٢/ ١٣١، دلائل الإعجاز ٣٤٣، شرح ابن يعيش ٦/ ١٦، الهمع ١/ ٢٥٣، شرح ألفية ابن معط للرعيني ٢/ ٣٧١ وما بعدها، وشرحها للنيلي ٣/ ١٢٧ وما بعدها، وشرحها للموصلي ٢٧٨، ٢٧٩، وشرحها لابن النحوية ص ١٦٠.

(٢) الكتاب ٢/ ٣٧٤، المقتضب ٤/ ٧٣، شرح ابن يعيش، ٣/ ١١٨، الكامل ٣/ ٣٤٥، المقرب ١/ ١٩٣، الخصائص ٢/ ٢٥٩، الخزانة ٢/ ٤٣٠، شرح ألفية ابن معط لابن النحوية ٢٦٥، وشرحها للنيلي ٣/ ٢٦٩، وشرحها للموصلي ٣٧٨.

فمذهب سيبويه أن الجر هنا برب مقدرة بعد الواو، أما الكوفيون والمبرد فالجر عندهم بالواو نفسها قياساً على واو القسم. والاستدلال هنا بجزء من الشاهد الشعري:

وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِيِ الْمُخْتَرِقِ مُشْتَبِهِ الْأَعْلَامِ لَمَاعِ الْخَفَقِ^(١)

* ويظهر هذا أيضاً في باب الممنوع من الصرف في قوله:

١٩٢- كِوَاسِطِ وَدَابِقِ وَفَلَجِ دَلِيلُهَا فِي الشِّعْرِ لِلْمُخْتَجِ

فهو هنا يتحدث عن أسماء الأحياء والقبائل والبلدان، فإن أريد بالاسم البلد أو المكان صرف، وإن أريد به البقعة أو الأرض أو البلدة لم تصرف ومثل بثلاثة أمثلة هي: واسط، دابق، فلج التي جاءت مصروفة في الشعر في قوله:

وَإِنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفَلَجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمْ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ^(٢)
وفي قول الآخر:

بِدَابِقٍ وَأَيْنَ مَنِّي دَابِقُ^(٣)

وفي قول الشاعر:

كَدَبْتِكَ عَيْنُكَ أُمَّ رَأَيْتَ بِوَاسِطِ غَسَقَ الظُّلَامِ مِنَ الرَّبَابِ خَيَالاً^(١)

(١) القائل رؤية بن العجاج، ديوانه ١٠٤، الخصائص ٢٢٨/٢، شرح ابن يعيش ١١٨/٢، المنصف ٣/٢، العقد الفريد ٥٠٦/٥، شرح ألفية ابن معط للموصلي ٤٠٩، وشرحها لابن النحوية ٢٩٩، وشرحها للنيلي ٣١٢/٣.

(٢) القائل الأشهم بن رميلة، الكتاب ٩٦/١، المحتسب ١٨٥/١، شرح ابن يعيش ١٥٤/٣، المقتضب ١٤٦/٤، المغني ٣١ ٥، الدرر ٢٤/١، شرح ألفية ابن معط للموصلي ٤٦٧، وشرحها لابن النحوية ٣٧٤، وشرحها للنيلي ٣٨٠/٣.

(٣) القائل غيلان بن حريث، الكتاب ٢٣/٢، اللسان (دبق)، الصحاح (دبق)، شرح ألفية ابن معط للموصلي ٤٦٧، وشرحها لابن النحوية ٣٧٤، وشرحها للنيلي ٣٨٠/٣.

فنحن نرى هنا أنه ذكر كلمة واحدة التي هي موضع الشاهد في الشواهد التي ذكرناها.

* وفي باب الأسماء الموصولة ذكر أيضًا موطن الشاهد فقط في أبياته حيث قال:

٣٦٨- نَحْو: اللَّذَيْنِ وَالَّذِينَ وَالْأُلَى وَاللَّائِي وَذُو قَدْ نُقِلَا

٣٦٩- عَنْ طَيِّءٍ فِي ذُو حَفْرَتٍ شَاهِدٌ كَذَا الْأُولَى فِي الشِّعْرِ أَيْضًا

وَأَرْدُ

وهنا يشير إلى أن (ذو) لا تكون بمعنى (الذي) إلا في لغة طيء والأفصح فيها الإفراد والتذكير على كل حال، ومنه قول الشاعر

فَأَنَّ الْمَاءَ مَاءً أَبِي وَجَدِّي وَبِئْرِي ذُو حَفْرَتٍ وَذُو طَوَيْتٍ^(٢)

وأما (الأولى) بوزن الهدى في قوله: كذا الأولى في الشعر أيضًا واردة،

فاسم جمع (الذي) من غير لفظه قال الشاعر:

فَأَنَّ بَنِي عَمِّي الْأُولَى يَخْذُلُونَنِي عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ إِذْ يَنْقَلِبُ^(٣)

فهو هنا أيضًا لم يذكر سوى موطن الشاهد في البيتين وهما قوله:

(ذو حفرت)، و(الأولى).

(١) القائل الأخطل، ديوانه ٤١، الكتاب ٤٨٤/١، المقتضب ٢٩٥/٣، المغني ٤٥، أمالي ابن الشجري ٣٣٥/٢، الخزانة ٤٥٢/٤ شرح ألفية ابن معط لابن النحوية ٣٧٤، وشرحها للموصلي ٤٦٧، وشرحها للنيلي ٣/٣٨٠.

(٢) القائل سنان بن الفحل الطائي، حماسة أبي تمام ٣٠٢/١، الإنصاف ٣٨٤، الأزهية ٣٠٥، شرح ابن يعيش ١٤٧/٣، شرح ألفية ابن معط للموصلي ٦٨٩، وشرحها للنيلي ٦٤٢/٣.

(٣) مختلف في قائله، الحماسة لأبي تمام ١٢٤/١، شرح التسهيل لابن عقيل ١٤٣/١، شرح اللحة البدرية ٣١٩/١، الهمع ٨٣/١، الخزانة ٤٤٩/١، شرح ألفية ابن معط للموصلي ٦٨٩، وشرحها للنيلي ٦٤٢/٣.

* وقال أيضًا في المعرف بلام المعرفة:

٣٩٥- وَقَدْ تَزَادُ مِثْلَ لَامِ النَّسْرِ وَقَوْلُهُ: بَاعَدَ أُمَّ الْعَمْرُو

فهو هنا يتحدث عن زيادة الألف واللام، مثل لام (النسر) فاللام فيه زائدة بالاتفاق، وهو علم على صنم كانوا يعبدونه في الجاهلية، والذي يدل على زيادتها حذفها منه وبقاؤه على العلمية، واستشهد على ذلك بجزء شطر وهو قول الشاعر:

بَاعَدَ أُمَّ الْعَمْرُو عَنْ أُسِيرِهَا حُرَّاسُ أَبْوَابٍ عَلَى فُصُورِهَا^(١)

فالأصل: باعد أم عمرو، فزادوا اللام.

* أما في باب كان وأخواتها، وفي حديثه عن زيادة كان استدل بجزء شطر بيت شعر للتدليل على الزيادة في قوله:

٥١٢- نَحُو: عَلَى كَانَ الْمُسَوَّمَاتِ وَمَا عَدَا كَانَ لِحَالِ آتِي

فهنا يتحدث عن زيادة كان بين الجار والمجرور في قول الشاعر:

سَرَاةُ بَنِي أَبِي بَكْرٍ تَسَامَى عَلَى كَأَنَّ الْمُسَوَّمَةَ الْعَرَابِ^(٢)

فالأصل: على المسومة، فزاد (كان) بين الجار والمجرور، ونلاحظ هنا أن الناظم غير في الشاهد فقال (المسومات) بدلًا من (المسومة) حتى يقيم الوزن.

* واستدل ابن معط أيضًا بجزء شطر في باب كاد وأخواتها حيث قال:

٥٣٠- وَعَنْهُمْ مَا كِدْتُ أَيْبًا سَمِعَ فَالْخَبْرُ أَنْصِبُهُ وَالاسْمُ يَرْتَفِعُ

(١) القائل أبي النجم العلي، ديوانه ١١٠، شرح ابن يعيش ٤٤/١، الإنصاف ٣١٧، رصف المباني ٧٧، مغني اللبيب ٧٥، المنصف ١٣٤/٣، شرح ألفية ابن معط للموصلي ٧٢٦، وشرحها للنيلي ٦٨٦/٣.

(٢) شرح ابن يعيش ٩٨/٧، الخزانة ٣٣/٤، شرح التصريح ١٩٢/١، الهمع ٨٩/١، الأشموني ٢٤١/١، شرح ألفية ابن معط للموصلي ٨٦٦، وشرحها للنيلي ١٥/٤.

فهو هنا يستدل على إلحاق (كاد) بـ (كان) بظهور النصب في خبرها وهو اسم صريح في قول الشاعر:

فَأُبْتُ إِلَى فَهْمٍ وَمَا كِدْتُ أَيَا وَكَمْ مِثْلَهَا فَارَقْتُهَا وَهِيَ تَصْفُرُ^(١)

٥- الإشارة إلى ورود ما يدل على القاعدة في الشعر دون ذكر

أي شيء من هذا الشعر، وإنما الإشارة إلى وروده فقط:

* وقد حدث هذا في آخر باب من أبواب الألفية وهو باب الضرورات الشعرية

حيث قال:

١٠١٥- وَفِي اضْطِرَارِ الشَّعْرِ جَاَزَ صَرْفُ مَا لَيْسَ مَصْرُوفًا وَجَاَزَ الْحَدْفُ

١٠١٦- حَدْفُ الحُرُوفِ وَأَنْجِدَافُ الحَرْكَةِ كَمَا أَتَتْ سَوَاكِنَ مُحَرَّكِهِ

١٠١٧- وَالْفَصْلُ وَالْقَلْبُ وَقَصْرُ مَا يُمَدُّ وَشَدُّ مَا حَفَّ وَفَكُّ مَا يُشَدُّ

١٠١٨- تَحْوِيهِ أَشْعَارُهُمُ المَرْوِيَّةُ هَذَا تَمَامُ الدَّرَةِ الأَلْفِيَّةِ

فقد ذكر ابن معط في هذه الأبيات أنواع الضرورات الشعرية التي يلجأ

إليها الشاعر، ولم يمثل لها بأبيات أو أشتار أبيات أو ما دون الشطر أو

الإشارة إلى الكلمة موضع الشاهد، وإنما قال: تحويه أشعارهم المروية.

* وأول هذه الضرورات كما ذكر: صرف ما ليس مصروفًا، وشاهده:

مِمَّنْ حَمَلَنَ بِهِ وَهَنَّ عَوَاقِدُ حُبُّكَ النِّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلٍ^(٢)

(١) القائل تأبط شرا، ديوانه ٩١، الخصائص ٣٩١/١، شرح ابن يعيش ١٣/٧، شرح التصريح ٢٠٣/١، الخزانة ٥٤٠/٣، الهمع ٣٠/١، شرح ألفية ابن معط للنيلي ٤/٤٧، وشرحها للموصلي ٩٠٣.

(٢) القائل أبو كبير الهذلي، شرح أشعار الهذليين ١٠٧٢/٣، الكتاب ٥٥/١، شرح ابن يعيش ٧٤/٦، الخزانة ٤٦٦/٣، الشعر والشعراء ٦٧١/٢، الإنصاف ٤٨٩، الأشموني ٢/٢٩٩، العيني ٥٨٨/٢.

حيث صرف (عواقد) ونونها، وهي ممنوعة من الصرف.

* وثاني هذه الضرورات: حذف الحروف ومنه قول الشاعر:

دَرَسَ الْمَنَا بِمُتَالِعِ فَأَيَّانَ وَتَقَادَمَتْ بِالْحَبْسِ فَالسُّوبَانِ^(١)

فالشاهد في قوله: (المنأ) حيث حذف حرفين إذ أصلها: المنازل.

* وثالثها: حذف الحركة ومنه قول الشاعر:

سَيِّرُوا بَنِي الْعَمِّ فَالْأَهْوَاؤُ مَوْعِدِكُمْ وَنَهْرٌ تِيرِي وَلَا يَعْرِفُكُمُ الْعَرَبُ^(٢)

فحذف حركة الفعل المضارع (يعرفكم) وهي الضمة للضرورة.

* ورابعها: تحريك الساكن في قوله: كما أتت سواكن محركة، وشاهده قول

الشاعر:

إِذَا تَجَرَّدَ نُوحٌ قَامَتَا مَعَهُ صَرْبًا أَلِيمًا بِسَبَبِ يَلْعُجِ الْجِلْدِ^(٣)

أراد (الجلد) بسكون اللام.

* وخامسها: الفصل، ومنه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف

وشاهده:

كَمَا خُطَّ الْكِتَابُ بِكَفِّ يَوْمًا يَهُودِيٍّ يُقَارِبُ أَوْ يُزِيلُ^(٤)

أراد: بكف يهودي يوما.

(١) القائل لبيد، ديوانه ١٣٨، ضرورة الشعر ٨٨، الأشموني ١٦١/٣، المحتسب ٨٠/١، الإنصاف ٨١/١، شرح ألفية ابن معط للنيلي ٦٦٥/٤.

(٢) القائل جرير، ديوانه ٤٨، الخصائص ٧٤/١، المخصص ١٨٨/١٥، الأغاني ٢٥٧/٣، معجم البلدان (تيري)، السمط ٥٢٧.

(٣) القائل عبد مناف بن ريع الجرهمي الهذلي، ديوان الهذليين ٣٨/٢، الخزانة ١٧٢/٣، الخصائص ٣٣٣/٢، الكامل ٣٣٦/١، المنصف ٣٠٨/٢، الهمع ١٥٧/٢.

(٤) القائل أبو حية النميري، الكتاب ١٧٩/١، الخزانة ٤١٩/٤، الإنصاف ٤٣٢، العيني ٤٧٠/٣، شرح ألفية ابن معط للنيلي ٦٦٩/٤.

* **وسادسها:** القلب في قوله: والقلب، وهو التقديم والتأخير من جهة المعنى دون اللفظ، كقول الشاعر:

مِثْلُ الْقَنَافِيزِ هَدَّاجُونَ قَدْ بَلَغَتْ نَجْرَانَ أَوْ بَلَغَتْ سَوَاتِمَهُمْ هَجْرًا^(١)

فالأصل هنا أن يقول: بلغت سواتمهم هجر، فجعل الفاعل وهو (السوات) مفعولاً، والمفعول وهو (هجر) فاعلاً، والمعنى على العكس.

* **وسابعها:** القصر، في قوله: وقصر ما يمد، فيريد به قصر الممدود ومنه قول الشاعر:

لَا بُدَّ مِنْ صِنْعًا وَإِنْ طَالَ السَّفَرُ وَإِنْ تَحَنَّى كُلُّ عُوْدٍ وَدَبَّرَ^(٢)

الشاهد في قوله (صنعا) حيث قصرها وهي ممدودة (صنعاء).

* **وثامنها:** تشديد المخفف في قوله: وشد ما خف، ومنه قول رؤبة:

صَخْمٌ يُحِبُّ الخُلُقَ الأَضْحَمًا^(٣)

حيث قصد (الأضحماً) دون تشديد.

* **وتاسعها:** إظهار المدغم في قوله: وفك ما يُشد، ومنه قول الشاعر:

الحَمْدُ لِلَّهِ العَلِيِّ الأَجَلِّ الواسِعِ الفَضْلِ الوَهَّابِ المُجَزَّلِ^(٤)

الشاهد في قوله (الأجل) حيث فك الإدغام وقياسه يقتضي الإدغام .

كل هذه الشواهد وغيرها لم يذكر منها ابن معط إلا الإشارة إليها في قوله:

(١) القائل الأخطل، شعر الأخطل ٢٠٩/١، مجاز القرآن ١١٠/٢، تأويل مشكل القرآن ١٤٩، ضرورة الشعر ١٧٣، شرح ألفية ابن معط للنيلي ٦٧٣/٤ .

(٢) ضرورة الشعر ٩٢، المقصور والممدود للفراء ٤٥، العيني ٥١١/٤، شرح ألفية ابن معط للنيلي ٦٧٤/٤ .

(٣) القائل رؤبة بن العجاج، الكتاب ١١/١، المنصف ١٠٩/١، المحتسب ١٠١/١، المخصص ٧٨/٢ .

(٤) القائل أبو النجم العجلي، نوادر أبو زيد ٤٤، المقتضب ١٤٢/١، الخصائص ٨٧/٣، الخزانة ٤٠١/١، الهمع ١٥٧/٢، المقرب ١٥٧/٢، الدرر ٢١٦/٢، الأشموني ٢٤٩/٤، اللسان (جلل).

تحويه أشعارهم المرويه

المبحث الثاني: الشاهد القرآني:

استشهد ابن معط في مواضع كثيرة بآيات القرآن الكريم للتدليل على القاعدة، وقد اتخذ هذا الاستدلال أشكالاً مختلفة منها:

١- ذكر الآية بتمامها:

وقد حدث هذا في موضع واحد في الألفية، وذلك حين تحدث عن تقديم خبر إن على اسمها فقال:

٥٥٥- وَكُلُّهَا لَا يَتَقَدَّمُ الْخَبْرُ عَلَى اسْمِهَا إِلَّا ظُرُوفًا تُعْتَبَرُ

٥٥٦- تَقُولُ: لَيْتَ بَيْنَنَا مُحَمَّداً كَقَوْلِهِ: إِنَّ عَلَيْنَا لِلْهُدَى

فخبر إن وأخواتها لا يتقدم على اسمها لعدم تصرفها لكونها حُرُوفًا، إلا إذا كان الخبر ظرفاً فإنه يجوز تقديمه لاتساعهم في الظروف ما لا يتسع في غيره. واستدل ابن معط هاهنا بآية كاملة من القرآن الكريم هي قوله تعالى: ﴿إِن عَلَيْنَا لِلْهُدَى﴾ [الآية ١٢ سورة الليل]. وهذا هو الموضع الوحيد الذي استدل فيه ابن معط بالآية كاملة^(١).

٢- ذكر جزء من الآية:

وهذا أكثر استشهاد ابن معط بالقرآن، حيث كان يذكر جزءاً من الآية للاستدلال بها على القاعدة، ومن ذلك قوله في حروف الجر:

١٣٠- وَأَجْرُ بِحَتَّى نَحْوِ: حَتَّى مَطَّلَعٍ وَبَعْدَ مُذْ وَمُنْذُ إِنَّ شِنْتُ أَرْفَعِ

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٣٤٨/١، التوضيح والتكميل ٢٥٣/١، شرح اللوحة البدرية ٤٨/٢، الفوائد الضيائية ٣٠٠/١، شرح شذور الذهب ٢٠٢، شرح ألفية ابن معط للنيلي ٨٣/٤، وشرحها للموصلي ٩٣٣.

ف (حتى) تكون جارة وعاطفة وحرف ابتداء، ويجب في المجرور بها أن يكون آخر جزء من الشيء، أو ما يلاقي آخر جزء منه، كقولك: أكلت السمكة حتى رأسها، وكقوله تعالى: ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ [من الآية ٥ سورة القدر]؛ لأن ما يلاقي آخر جزء من الشيء في حكم آخر جزء منه لاتصاله به^(١).

* وفي الباب نفسه حينما تحدث عن زيادة الباء قال:

١٣٩- شَاهِدُهُ: كَفَى بِهِ شَهِيدًا وَمَا بِهِ مِنْ أَحَدٍ مِنْ زَيْدًا

فالباء قد تزداد كما تزداد (من) فلا تزداد، أي لو سقطت لم يختل معنى الكلام من حيث هو كلام، وزيادتها تكون في الفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر، أما مع الفاعل كقوله تعالى: ﴿كفى به شهيدا بيني وبينكم﴾ [الأحقاف من الآية ٨]^(٢).

* وكذلك قوله في باب القسم:

١٦٣- كَقَوْلِهِ: تَاللَّهِ تَفْتَوُ حُذِفَ لَا مِنْهُ أَي لَا تَفْتَوُ الْمَعْنَى عُرِفَ

إذا كان جواب القسم منفيًا فلا يخلو من أن يكون جملة اسمية، أو فعلية ماضية أو مضارعة، فإن كانت فعلية مضارعة نفيت ب (ما) إن أريد بها الحال، وب (لا) إن أريد بها الاستقبال، ويجوز حذف (لا) ومنه قوله تعالى: ﴿قالوا تالله تفتو تذكر يوسف﴾ [يوسف من الآية ٨٥] إذ لا يلتبس؛ لأنه لو كان إيجابًا لم يخل من اللام ونون التوكيد معًا أو من أحدهما^(٣).

(١) التوضيح والتكميل ٥١٧/١، أوضح المسالك ٤٧/٣، مغني اللبيب ١٢٣/١، شرح ألفية ابن معط لابن النحوية ٢٧١، وشرحها للنيلي ٢٧٢/٣، وشرحها للموصلي ٣٨٠.

(٢) شرح اللوحة البدرية ٣٠٥/١، مغني اللبيب ١٠٦/١، شرح ألفية ابن معط لابن النحوية ٢٩١، وشرحها للنيلي ٢٩٥/٣، وشرحها للموصلي ٣٩٤.

(٣) أوضح المسالك ٢٣٢/١، شرح اللوحة البدرية ٢٦٣/٢، شرح ألفية ابن معط لابن النحوية ٣٢٥، وشرحها للنيلي ٣٣٧/٣، وشرحها للموصلي ٤٣٤.

* وفي حديثه عن الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين يقول:

٢٢٠- يَكُونُ سَاقِطًا وَمُسْتَبِينًا كَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ

الأفعال المتعدية إلى مفعولين قسمان، قسم يتعدى إلى أحدهما بنفسه وإلى الآخر بحرف الجر، ويجوز حذف حرف الجر كقوله تعالى: ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً﴾ [الأعراف من الآية ١٥٥]. أي: من قومه^(١).

* وفي باب المفعول المطلق يقول:

٢٤٤- وَخَيْبَةً وَجَنْدَلًا وَيَهْرًا وَصِبْغَةَ اللَّهِ وَجَدَعًا عَقْرًا

يتحدث هنا عن حذف عامل المفعول المطلق، وهذا الحذف قد يكون جائزاً وقد يكون واجباً، والواجب الحذف إما يكون سماعياً أو قياسياً، ومن المحذوف وجوباً قوله تعالى: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾ [الآية ١٣٨ سورة البقرة]. ف (صبغة الله) مصدر منتصب محذوف الفعل وجوباً من حيث القياس؛ لأن له ضابطاً كلياً وهو وقوعه موقع جملة لا يحتمل لها غيره، فهو تأكيد لنفسه أكد به ما تضمنه ما قبله من الإيمان بالله وبما أنزل إلى أنبيائه، مع عدم التفريق بين أحد منهم ومع الإسلام له، وذلك هو صبغة الله صبغ بها المؤمنين^(٢).

* وفي حديثه عن الحال المؤكدة قال:

٢٦٧- وَالْحَالُ قَدْ تَكُونُ تَأْكِيدًا كَمَا قَالَ: هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا

الحال المؤكدة لها خواص تختص بها، فمنها أنها لازمة غير منتقلة، ومنها أن معناها يفهم قبل ذكرها؛ لدلالة الجملة التي قبلها عليها، ومنها أنها

(١) أوضح المسالك ١٨٣/٢، شرح شذور الذهب ٣٧٢، شرح ألفية ابن معط لابن النحوية ٣٩١، وشرحها للنيلي ٤١٨/٣، وشرحها للموصلي ٥٠٠.

(٢) الإيضاح في شرح المفصل ٢٢٧/١، التوضيح والتكميل ٤١٠/١، شرح ألفية ابن معط لابن النحوية ٤٢٨، وشرحها للنيلي ٤٥٧/٣، وشرحها للموصلي ٥٣٨.

تأتي بعد جملة مركبة من اسمين لا عمل لها فيها. والمثال في ذلك قوله تعالى: ﴿وهو الحق مصدقاً لما معهم﴾ [من الآية ٩١ سورة البقرة] فالحال «مصدقاً» قد جمع الشروط الثلاثة^(١).

* أما في باب ما لم يسم فاعله فقال:

٣٠٦- وَقَدْ يُسَمُّ الصَّمُّ فِي أَوَّلِهِ ثُمَّ الَّذِي يَنْوُبُ عَنْ فَاعِلِهِ

٣٠٧- يَكُونُ مَفْعُولًا كَغَيْضِ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَيُسْفَى الدَّاءُ

ويقصد بقوله (يكون مفعولاً) المفعول به لا أي مفعول كان، وتمثيله يدل على مراده، وإنما أقيم المفعول به مقام الفاعل لأنه يَصِحَّ جَعْلُهُ فاعلاً خالصاً في باب المفاعلة نحو: قاتل زيد عمرا، فلك أن ترفع أيهما شئت، وتمثيله بقوله: (وغيض الماء وقضي الأمر) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وغيض الماء وقضي الأمر﴾ [من الآية ٤٤ سورة هود]^(٢).

* أما في باب المبتدأ والخبر وفي حديثه عن الحذف في المبتدأ أو الخبر قال:

٤٨٥- وَتَارَةً يَجُوزُ حَذْفُ الْمُبْتَدَأِ وَالْحَذْفُ فِي الْخَبَرِ أَيْضًا وَرَدَا

٤٨٦- فِي قَوْلِهِ: صَبْرٌ جَمِيلٌ قَدْرًا مُبْتَدَأٌ قَوْمٌ وَقَوْمٌ خَبْرًا

(١) التوضيح والتكميل ٤١١/١، الإيضاح في شرح المفصل ٢٢٨/١، شرح ألفية ابن معط للنيلي ٣/٤٩٥، وشرحها للموصلي ٥٦٥.

(٢) الإيضاح في شرح المفصل ١٥٨/١، التوضيح والتكميل ٣٦٢/١، شرح شذور الذهب ١٦٣، شرح ألفية ابن معط للنيلي ٣/٥٥٠، وشرحها للموصلي ٦١٩.

فهنا استشهد ابن معط بقوله تعالى: ﴿فَصَبِرْ جَمِيلًا﴾ [من الآية ١٨ سورة يوسف]، فيحتمل أن يكون المبتدأ محذوفًا، والتقدير: أمرى صبر جميل، ويحتمل أن يكون المحذوف الخبر، أي: صبرٌ جميل أمثل من غيره^(١).

* وفي حديثه عن ظل في الباب نفسه قال:

٥١٣- كَمِثْلٍ: ظَلٌّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَإِنْ أَنْتَ فِعْلًا لَوْ قَتِ حُدًّا

ظل لها معنيان، أحدهما: اقتران مضمون الجملة بالوقت الذي للشمس فيه ظل وهو النهار؛ لكونها مشتقة من الظل، ولذلك: جاز ظل زيد سائرا، وامتنع ظلت الشمس طالعة؛ لأن طلوعها لا يكون إلا نهارًا بالضرورة.

والثاني: بمعنى صار وتكون عامة في جميع الأوقات كقوله تعالى: ﴿ظَلَّ وَجْهَهُ مَسْوَدًّا﴾ [من الآية ٥٨ سورة النحل]^(٢).

* وفي باب الحروف العاملة عمل ليس قال:

٥١٨- يَشْهَدُ لِلْحِجَازِ فِي لُغَاتِهِمْ مَقَالَةٌ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ

وقوله يشهد للحجاز في لغاتهم: يريد به السماع المذكور وهو قراءة (أمهاتهم) بكسر التاء، واستدل بقوله تعالى: ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ [من الآية الثانية سورة المجادلة]^(٣).

* وفي باب اسم الفعل يقول:

٦٢٩- كَقَوْلِهِ: عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَي الزموا كما تقول "حذرْكم"

(١) الإيضاح في شرح المفصل ١/١٩٣، أوضح المسالك ١/٢١٧، التوضيح والتكميل ١/١٩١، شرح ألفية ابن معط للنيلي ٣/٨٢١، وشرحها للموصلي ٨٤٤.

(٢) الفوائد الضيائية ٢/٢٩٢، شرح ألفية ابن معط للموصلي ٨٧٠، وشرحها للنيلي ٤/١٨.

(٣) الإيضاح في شرح المفصل ١/٣٩٧، الفوائد الضيائية ١/٣٠٥، أوضح المسالك ١/٢٧٤، التوضيح والتكميل ١/٢٢١، شرح ألفية ابن معط للموصلي ٨٩٠، وشرحها للنيلي ٤/٣٦.

يريد أن هذه الظروف التي ذكرها مثلها مثل أسماء الأفعال في العمل؛ لأنها نقلت عن الظرفية وصارت أسماءً للأفعال ودالة عليها، ومن هذه الظروف (عليك)، واستدل على عملها بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [من الآية ١٠٥ سورة المائدة]، فنصب (أنفسكم) ب (عليكم)^(١).

٣- ذكر الكلمة موضع الشاهد في الآية دون غيرها:

* ومن ذلك قوله في باب الممنوع من الصرف:

١٧٢- وَالْوَصْفُ وَالْعَدْلُ كَمِثْلِ أُخْرًا وَمِثْلِ مَثْنَى وَثَلَاثَ اشْتَهَرَا
فهو هنا يتحدث عن الممنوع من الصرف للوصفية والعدل ومثل له بكلمة (أخر) وهي موضع الشاهد في قوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [من الآية ١٨٤ سورة البقرة]، وكذلك بكلمة (مثنى) استدل وكلمة (ثلاث) الممنوعتين من الصرف للوصفية والعدل في قوله تعالى: ﴿أُولَىٰ أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾ [من الآية الأولى سورة فاطر]^(٢).

* وفي باب النداء نراه يذكر الكلمة موضع الشاهد فقط فيقول:

٦٤٨- وَأَحْرُفُ النِّدَاءِ قَدْ تَنْحَذِفُ كَمِثْلِ رَبَّنَا وَمِثْلِ يُوسُفُ
فالقياس أن لا يحذف حرف النداء لكونه نائباً عن الفعل، لكنهم تجوزوا في حذفه اختصاراً لدلالة الكلام عليه، ولا يحذف من حروف النداء إلا (يا) لكونها أمّ الباب، ولا يحذف إلا إذا كان المنادى مضافاً كمثل (ربنا) في

(١) شرح ألفية ابن معط للنيلي ٤/ ١٧٧، وشرحها للموصلي ١٠٢٨.
(٢) الفوائد الضيائية ١/ ٢١٤ - ٢١٨، شرح اللوحة البدرية ١/ ١٩٣، أوضح المسالك ٤/ ١٢٣، ١٢٢، التوضيح والتكميل ٢/ ٢٧٠، شرح ألفية ابن معط لابن النحوية ٣٤١، وشرحها للنيلي ٣/ ٣٥٠، وشرحها للموصلي ٤٤٩.

مقاله، أو كان علمًا ومثل له ب (يوسف) في قوله تعالى: ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ [من الآية ٢٩ سورة يوسف].. إلخ^(١).

* وفي باب الإبدال أيضًا يقول:

٩٨٧- كَذَلِكَ مَعَ شُدُوزِهِ شَأْبَهُ مِثْلَ الضَّالِّينَ رَوَّوَا دَأْبَهُ

فهو هنا يتكلم عن الإبدال الشاذ الذي لا يطرد بل يتوقف على السماع، فإبدال الهمزة من الألف قبل الحرف المشدد في شابة ودابة شاذ ومنه قراءة أيوب السخيتاني ﴿ولا الضالين﴾ [من الآية ٧ سورة الفاتحة]^(٢).

٤- الإشارة إلى ورود ما يثبت القاعدة في القرآن دون ذكر أي شيء من الآيات:

وقد حدث هذا مرة واحدة في باب التوكيد حيث قال:

٤٢٧- كَمِثْلٍ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَالنَّفْسُ وَالْعَيْنُ مُقَدَّمَانِ

قوله: كمثل ما ورد في القرآن، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهَا أَجْمَعُونَ﴾ [من الآية ٣٠ سورة الحجر]، فقدم كلاً على أجمعين، لأن (كلاً) تفيد الإحاطة بجميع الأفراد، و(أجمعون) يفيد أن السجود وقع منهم دفعة واحدة فأفادت اجتماعهم فيه^(٣).

٥- الإشارة إلى الآية بغير لفظها مراعاة للوزن:

يقول ابن معط في باب التحذير:

٢١٤- وَأَنْتَ خَيْرًا وَوَرَاءَ أَوْسَعًا وَنَاقَةَ اللَّهِ وَكُلُّ سَمِعًا

(١) أوضح المسالك ١٠/٤، شرح للمحة البدرية ١٣٢/٢، التوضيح والتكميل ٢٠٣/٢، شرح ألفية ابن معط للنيلي ١٩٥/٤، وشرحها للموصلي ١٠٤١.

(٢) شرح ألفية ابن معط للنيلي ٤/٦١٤، وشرحها للموصلي ١٣٤٤.

(٣) الإيضاح في شرح المفصل ٤٣٧/١، التوضيح والتكميل ١٥٨/٢، الفوائد الضيائية ٦١/٢، شرح ألفية ابن معط للنيلي ٣/٧٢٨، وشرحها للموصلي ٧٥٩.

فهو هنا يشير بقوله: وانته خيرًا إلى قوله تعالى: ﴿انتهوا خيرًا لكم﴾ [من الآية ١٧١ سورة النساء]، وواضح أنه هنا يشير إلى الآية بغير لفظها حفاظًا على الوزن.

أما نصب (خير) عند سيبويه فليس بـ (انتهوا) بل بفعل آخر، لأن (انتهوا) أمرٌ بترك الشِّرك، أي: انتهوا عن الشرك، فلا يصح نصب (خيرًا) بانتهوا؛ لأنه لازم إذ ليس المراد: انتهوا عن خير لكم، بل المراد انتهوا عن الشرك وانتهوا خيرًا لكم وهو الإيمان بالله وحده. ولهذا قال سيبويه: فإنك إذا قلت: انته، فأنت تريد أن تخرجه من أمرٍ وتدخله في آخر، فهو على كلامين، يريد أن معنى قوله تعالى: ﴿انتهوا﴾ أي: اخرجوا من الشرك وادخلوا في التوحيد، فهو على كلامين، يريد أن (انتهوا) كلام تام، و(خيرًا) من كلام آخر ومعمول فعل آخر أي: انتوا خيرًا^(١).

* ومن ذلك أيضًا قوله في باب المضمرات:

٣٤٢- كَمِثْلِ زَارِنِي وَزُرْتُ عَمْرًا وَمِنْهُ آتُونِي أَفْرَغُ قِطْرًا

فقد اضطرَّ ابن معطٍ إقامةً للوزن إلى حذف الجار والمجرور (عَلَيْهِ)

من قوله تعالى: ﴿آتوني أفرغ عليه قطرا﴾ [من الآية ٩٦ سورة الكهف].

ويقصد بقوله: ومنه آتوني أفرغ قطرا، أي: من إعمال الثاني، ولو

أعمل الأول لقال: آتوني أفرغه قطرا، بإثبات الضمير الذي هو مفعول في

(أفرغه)^(٢).

(١) شرح ألفية ابن معطٍ للنيلبي ٣/ ٤١٣، وشرحها للموصلي ٤٩٧.

(٢) أوضح المسالك ٢/ ١٨٩، شرح ألفية ابن معطٍ للنيلبي ٣/ ٦٠١، وشرحها للموصلي

* وفي باب الإخبار بأل وبالذي يشير ابن معط إلى الآية دون لفظها في قوله:

٣٨١- وَتَدْخُلُ الْفَاءُ إِذَا وَصَلَتْهَا بِالْفِعْلِ أَوْ ظَرْفٍ كَمَا أُدْخِلَتْهَا

٣٨٢- فِي حَبْرِ الْمُوصُوفِ أَيْضًا بِهِمَا إِذْ شَبَّهَا بِالشَّرْطِ حَيْثُ أُبْهِمَ

٣٨٣- نَحْوُ: الَّذِي يُعْطِي فَجَاوَزَ عَنْهُ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْهُ

فابن معط هنا يشير بقوله: وما بكم من نعمة فمنه، إلى قوله تعالى:

﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ [من الآية ٥٣ النحل].

فقوله بهما، يريد بأحدهما، أي دخول الفاء في خبر الاسم الموصول

بالفعل أو الظرف، وتمثيله في الفعل بقوله: الذي يعطي فجاوز عنه، وتمثيله

في الظرف بإشارته إلى قوله تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾^(١).

المبحث الثالث: الأمثال والأساليب والنماذج النحوية:

وظف ابن معط الأمثال والأساليب والنماذج النحوية في ألفيته وإن

كانت في مواضع معدودة ومحدودة، ومن ذلك:

* في باب التحذير في تمثيله على نصب المفعول به في هذا الباب بفعل

مضمر قال:

٢١٣- وَهَكَذَا كَلَيْهِمَا وَتَمْرًا إِيَّاكَ إِيَّاكَ الْمِرَاءَ الشَّرًّا

فموضع الشاهد هنا قوله (كَلَيْهِمَا وَتَمْرًا) وأصل هذا المثل أن رجلاً مرَّ

برجل وبين يديه زيد وسنام وتمر، فقال له الممرور به: من أيهما تحب أن

(١) شرح ألفية ابن معط للنيلي ٣/٦٦٣، وشرحها للموصلي ٧١٤.

أطعمك؟ من الزيد أو من السنام؟ فقال له: كليهما وتمرا، أي: أطعمني كليهما وزدني تمرا، فخيره بين كل واحد منهما فطلبهما معاً وزيادة^(١).

*وبعد هذا البيت قال:

وموضع الشاهد هنا قوله (وراء أوسع) ولفظ المسألة: وراءك أوسع لك، ويقال إن أول من قاله الحطيئة للشاعر ابن الحماسة حينما أتاه في قصة طويلة، فذهب مثلاً. ومعناه تأخر تجد مكاناً أوسع لك^(٢).

* ومن ذلك قوله في باب العطف:

٤٤٦- وَأَمْ بِهِ اسْتَفْهَمَ وَبَلَّ مَعْنَاهُ فِي إِنَّهَا لِإِبْلِ أَمْ شَاءَ

فموضع الشاهد هنا قوله (إنها لإبل أم شاء) ف (بل) هنا وقعت بعد الإثبات، تقديره: بل أهي شاء؟ فما بعد أم المنفصلة كلام تام، ولذلك قدروا أن قولهم: شاء، خبر مبتدأ محذوف. كأن هذا القائل لما رآها من بعيد اعتقد أنها إبل، فأخبر بذلك، ثم عرض له الشك، فقال: أم شاء، أي: بل أهي شاء، فأضرب عن إخباره الأول، ثم شرع في الاستفهام عن غيره^(٣).

* وفي باب كاد وأخواتها قال:

٥٢٩- وَالْحَقُّوَ بِكَانَ كَادَ وَعَسَى دَلِيلُهُ عَسَى الْعُوَيْرُ أَبُوسَا

فابن معط يتحدث عن ورود خبر عسى اسماً مفرداً، والأصل أن يكون جملة فعلية مقترناً بأن، وورد هنا على سبيل الشذوذ، والأمثال كثيراً ما تخرج عن أصولها.

(١) أمثال الميداني ٢/ ١٥١، وسيبويه ١/ ٢٨٠، وشرح ألفية ابن معط للنيلي ٣/ ٤١١، وشرحها للموصلي ٤٩٦.

(٢) الوسيط في الأمثال ١٧٨، وسيبويه ١/ ٢٨٢، وألفية ابن معط للنيلي ٣/ ٤١٣، وشرحها للموصلي ٤٩٧.

(٣) سيبويه ٣/ ١٧٢، ١٧٤، الإيضاح العضدي ٢٩١، شرح ألفية ابن معط للنيلي ٣/ ٧٦٢.

فالشاهد هنا في قوله: عسى الغوير أبوسا، وهو من قول الزياء حين
قالته لقومها عند رجوع قصير من العراق ومعه الرجال وقد بات بالغوير على
طريقه. تعني لعل الشر يأتكم من قبل هذا المكان. يضرب للرجل يقال له:
لعل الشر جاء من قبلك^(١).

* وفي باب أفعال التفضيل قال:

٦١٥- وَأَفْعَلُ التَّفْضِيلِ لَيْسَ يَرْتَفِعُ مَظْهَرُهُ إِلَّا شُدُودًا قَدْ سُمِعَ

٦١٦- فِي: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَحْسَنَ فِي عَيْنَيْهِ كُحْلٌ مِنْهُ فِي عَيْنِ

الصَّفِي

فالشاهد هنا هو المسألة الموجودة في البيت الثاني، ف (رَجُلًا) مفعول
(رَأَيْتُ)، و (أَحْسَنَ) نعت له، و (في عينيه) متعلق ب (أَحْسَنَ) فهو في موضع
نصب، و (كحل) فاعل مرفوع ب (أَحْسَنَ)، و (منه) متعلق ب (أَحْسَنَ)، و (الهاء)
فيه ضمير الكحل، و (في عين الصفي) حال من الضمير في (منه)، ولا يجوز
رفع (الكحل) بالابتداء، و (أَحْسَنَ) خبره، ولا رفع (أَحْسَنَ) بالابتداء، و (الكحل)
خبره؛ لأنه يلزم الفصل بين (أَحْسَنَ) وصلته وهو (منه) بأجنبي، لأن (منه)
من تنمة (أَحْسَنَ) فإن قدمت (منه) على (الكحل) لم يجز أيضًا؛ لأن الهاء في
(منه) ضمير الكحل فلزم من تقديمه المضمرة على المظهر لفظًا ومعنى فتعين
رفعه ب (أَحْسَنَ)^(٢).

* ومن ذلك أيضًا قوله في باب اسم الفعل:

٦٣٣- أَمَّا (عَلِيَّ ذَا) بِمَعْنَى: أَوْلِيَّيْهِ وَقَوْلُهُمْ: عَلِيَّهِ شَخْصًا لَيْسَنِي

(١) أمثال الميداني ١/ ٢٤، واللسان (بأس، غور)، سيبويه ١/ ١٥٩، معجم البلدان (الغوير)،
شرح ألفية ابن معط للموصلي ٨٩٩، وشرحها للنيلي ٤/ ٤٧.
(٢) سيبويه ٢/ ٣١، ٣٢، شرح ألفية ابن معط للنيلي ٤/ ١٤٩.

فالشاهد هنا قوله (عليه شخصاً ليسني)، قال بعضهم وقد بلغه أن إنساناً يهدده: عليه رجلاً ليسني، ف (عليه) اسم فعل بمعنى الأمر، و(رجلاً) مفعول به، وشذوذه لأنه إغراء للغائب أي: عليه رجلاً غيري، فليسني بمعنى غيري، وكذلك لأنه جعل خبر ليس ضميراً متصلاً، والأجود أن يجعل منفصلاً، أي: ليس إياي^(١).

خاتمة

اقتترنت نشأة النحو التعليمي عند العرب مع انتشار المعارف والثقافات والتعليم والتعلم، فلجئوا إلى الشعر لعلمهم أنه أفضل وسيلة وأسرعها لذلك. ولم يكن ابن معطٍ أول من نظم في النحو لكنه يعد أول من صنع ألفية في النحو العربي.

لقد كانت ألفية ابن معطٍ مملوءة بالشواهد النحوية شعريةً كانت أو قرآنيةً أو أمثالاً مأثورة، والغرض من هذه الشواهد توضيح القاعدة وربطها بالمحفوظ لدى الطلاب من هذه الشواهد المشهورة؛ حتى تثبت القاعدة في ذهن الطالب والمتعلم.

والشواهد الشعرية هي أكثر ما استدل به النحاة على صحة قواعدهم، وتمثل هذا الاستشهاد عند ابن معطٍ في صور متعددة، فقد كان يضمن ألفيته أكثر من بيت شعري للاستشهاد بها في الموضع الواحد، كما ضمن ألفيته في مواضع أخرى البيت الشعري بتمامه، وفي مواضع ثانية كان يضمن ألفيته شطر البيت الشعري، وكثيراً ما كان يضمن ألفيته الكلمة أو الكلمتين أو أكثر

(١) سيبويه ٢/ ٣٩٥، وابن الناظم في شرحه ٣٩، وشرح ألفية ابن معطٍ للنيلي ٤/ ١٨١، وشرحها للموصلي ١٠٣٠.

دون شطر البيت، وأخيرًا كان يشير إلى صحة ما ذهب إليه في القواعد بالإشارة إلى ما ورد في شعر العرب دون ذكر كلمة من هذه الأشعار. وقد يلجأ ابن معطٍ إلى التغيير في الشعر الذي يستدل به من أجل إقامة الوزن وقد حدث هذا مرةً واحدةً.

استشهد ابن معطٍ في مواضع كثيرة بآيات القرآن الكريم للتدليل على القاعدة، فجنده يستدل بالآية ويذكرها تامة ولم يحدث هذا إلا في موضع واحد في الألفية، أما أكثر استشهاداته فكان بذكر جزء من الآية الكريمة، وفي بعض الأحيان كان يكتفي بذكر الكلمة موضع الشاهد في الآية الكريمة، وكان أيضًا يشير إلى ورود ما يثبت القاعدة في القرآن دون ذكر أي شيء من الآيات، وأحيانًا كان الوزن يضطر ابن معطٍ إلى الإشارة إلى الآية بغير لفظها.

أما الأمثال والأساليب والنماذج النحوية فقد وظفها ابن معطٍ في ألفيته وإن كانت في مواضع معدودة ومحددة. كل ذلك دلٌّ بما لا يدع مجالاً للشك على براعة ابن معطٍ وامتلاكه نواصي الشواهد المختلفة وتمكنه من أبواب النحو العربي ومزج كل ذلك معًا في ألفية هي - كما سماها - درة.

نقاط القوة الجغرافية والضعف لحافظة العلمين المقترحة

دكتور

أشرف محمد عاشور

أستاذ الجغرافيا المساعد

قسم الجغرافيا ونظم المعلومات الجغرافية

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

يناير ٢٠١٥

ملخص

المدينة المنورة لها من مكانة دينية وتاريخية عظيمنتين في المملكة العربية بل و العالمين الإسلامي والعربي ، وسكانها في تزايد مستمر، مما يمثل ضغطا على الخدمات فيها. و مدارس المرحلة المتوسطة (الإعدادية) من التعليم من المدارس التي أدت زيادة معدلات نمو السكان إلى مضاعفة أعدادها لاستيعاب هذا العدد المتزايد، مما نتج عنه اختيار مواقع للمدارس يفتر بعضها لكثير من معايير الموقع المناسب للمدرسة سواء من حيث خصائص الموقع أو خصائص التوزيع أو البناء .

و تهدف هذه الدراسة إلى تقييم الخصائص المكانية لمدارس المرحلة المتوسطة من التعليم بالمدينة المنورة و خصائص المباني الخاصة بها اعتماداً على تفعيل عدد من تطبيقات التحليل المكاني المتوفرة في برنامج ARC GIS 10.5، ومن ثم استجلاء خصائص التوزيع المكاني للمدارس و علاقاتها بالبيئة المحيطة، من حيث بعض الأخطار البيئية، كالسيول و الحوادث المرورية و أبراج الهواتف الجواله، فضلاً عن مدى تمثع طلاب هذه المرحلة بالقرب من الحدائق و المنتزهات، كما تقدم دراسة ميدانية مدى رضاء الطلاب عن توزيع المدارس وخصائصها المكانية.

وجاء من اهم نتائج الدراسة ارتفاع عدد المدارس التي تشغل مباني حكومية مكونة من طابقين أو ثلاثة طوابق، ذات الحالات بنائية جيدة. و أشارت الصورة التوزيعية إلى كثافة التوزيع في قلب المدينة، داخل نطاق الطريق الدائري الثاني مع وجود تماثل ملحوظ للتوزيع بين مدارس البنين و مدارس البنات مع سيادة النمط المُتكتل للتوزيع. وكان الاتجاه السائد لتوزيعها يأخذ اتجاه شمالي شرقي- جنوبي غربي، بشكلٍ بيضاوي يتماشى مع الاتجاه العام للكتلة السكنية في المدينة.

وأشارت الدراسة إلى وجود عدد كبير من المدارس في نطاق مستوى الخطورة الشديد جداً من حيث احتمال التعرض لأخطار السيول، كما وجدت عدد منها يقترب بشكل ملحوظ من أبراج بث إرسال الهواتف الجواله و أخرى معرضة لأخطار الحوادث المرورية. و على

الجانب الآخر تشير الدراسة إلى أن النسبة الأكبر من المدارس تزيد المسافة بينها وبين الحقائق و المنتزهات عن ٥٠٠ مترا.

وقد أثبتت الدراسة أن عدد قليل من الطلاب يذهبون إلى المدارس مشياً على الأقدام، في حين أن معظم الطلاب و الطالبات راضون عن مواقع مدارسهم وعن أنماط استخدامات الأرض المحيطة بها، كما رأى العدد الأكبر من الطلاب أن مدارسهم آمنة من حيث خطورة الطرق المحيطة وأن البيئة المحيطة بالمدرسة ما بين مقبولة أو مناسبة جداً.

Abstract

Medina has a great historical and religious position in Saudi Arabia and the Arab, Islamic worlds. Medina's population growth makes a pressure on its services. There was a need to increase the number of prep schools in line together with the increased rates of population growth. This results in unsuitable sites for schools both site characteristics and distribution.

This paper aims at evaluating the spatial characteristics of prep schools in Medina, their distribution and their buildings' characteristics, applying some ARC GIS 10.5 spatial analysis tools. It explores the spatial distribution of schools and its relations to the surrounding environment, in terms of some environmental hazards, such as floods, traffic accidents and mobile phone towers. On the other hand the study examined the students' enjoyment of gardens and parks and their satisfaction of the schools distribution and spatial characteristics.

The most important results of this study are the increasing number of prep schools that occupy governmental buildings composed of two or three floors with good status. Schools have a distributional density at the city core. Their distribution takes the direction of the North east – south west, in line with the general direction of residential land use in the city.

There are numbers of schools are vulnerable to a potential risk of floods, mobile phones' towers and traffic accidents. On the other side the largest number of the schools are found on a distance over 500 meters between them and gardens and parks.

The study has shown that, a small number of students go to schools on foot, while most of them are satisfied with the schools' locations and surrounding land uses. The largest number of students feel their schools are safe from roads hazardousness and are satisfied towards the environment around the school.

نقاط القوة الجغرافية والضعف لمحافظة العلمين المقترحة

مقدمة:

تبدأ كل الأبحاث بفكرة تراود الباحث يوماً ما، أو أخري طرحها من قبل في سياق بحث آخر، والورقة البحثية هذه ترجع فكرتها إلي عام ٢٠٠٤، حينما انتهت دراسة مستقبل التنمية العمرانية لمركز الحمام^(١). إلي اقتراح أربعة محاور أساسية تركز عليها التنمية العمرانية كان في مقدمتها: إعادة النظر في تبعية مركز الحمام الإدارية لمحافظة مطروح، علي أن يتم ذلك في إطار رؤية شاملة للخريطة الإدارية للساحل الشمالي الغربي لمصر، وبعيداً عن عملية الفصل من محافظة مطروح والضم إلي محافظة الإسكندرية كما حدث من قبل مع مركزي العامرية وبرج العرب^(٢).

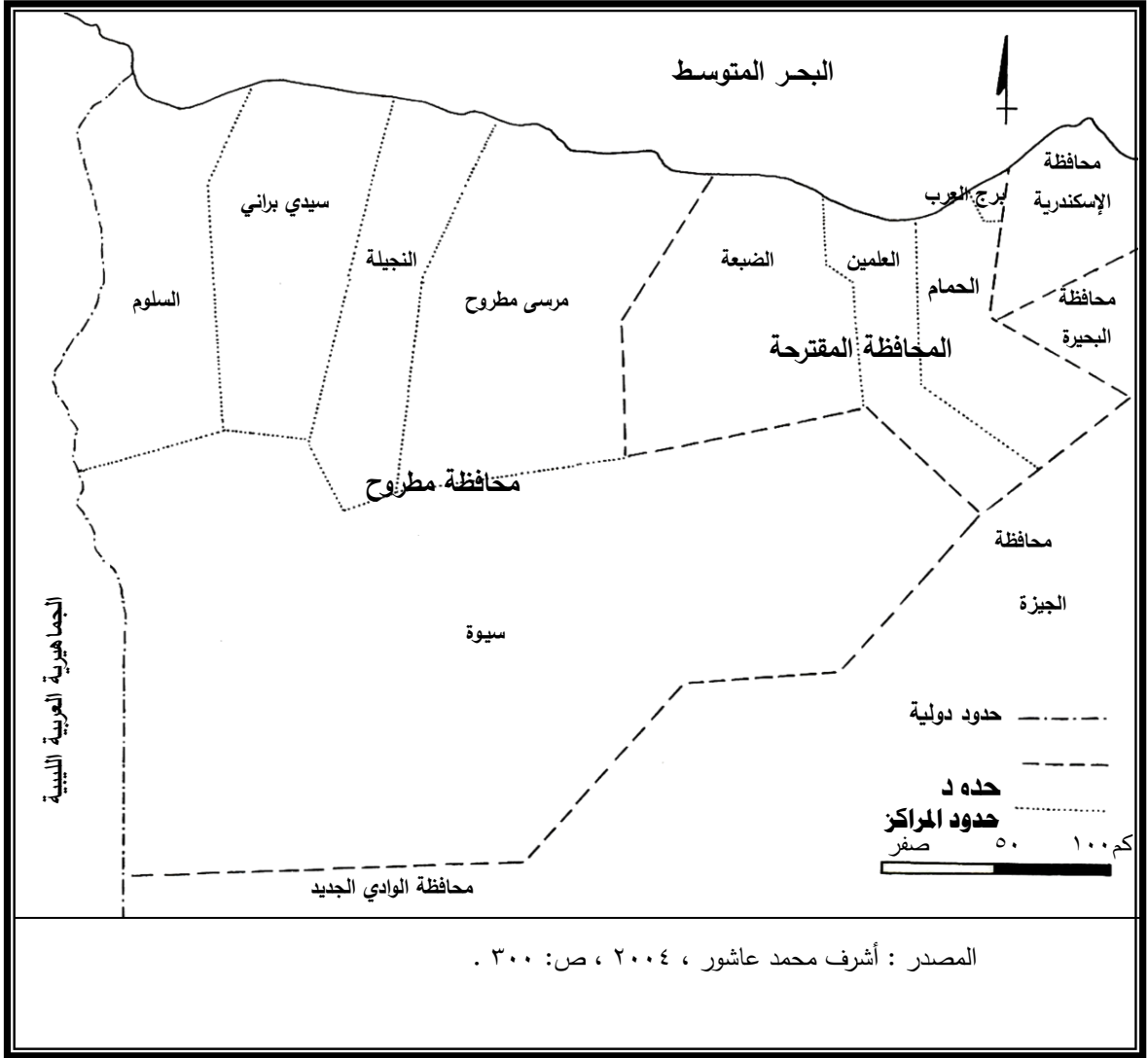
وقدمت الدراسة حينذاك مقترح بإنشاء محافظة جديدة تكون همزة الوصل بين محافظتي الإسكندرية شرقاً ومطروح غرباً، لتسهم بذلك في وقف تداعيات الفصل من مطروح والضم إلي الإسكندرية، كما يستفاد منها في توحيد منظومة

(١) أشرف محمد عاشور (٢٠٠٤): جغرافية العمران في مركز الحمام - دراسة تحليلية لإمكانات التنمية العمرانية ومشكلاتها، دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية.

(٢) حدثت أول عمليات الفصل من محافظة مطروح والضم إلي محافظة الإسكندرية عام ١٩٦٦ حينما صدر القرار الجمهوري رقم ٢٠٦٨، وكان ذلك بناءً علي طلب محافظة مطروح بضم قسم العامرية للإسكندرية لصعوبة إدارته وتمويله في ظل تباعده عن مدينة مرسى مطروح حاضرة المحافظة (محمد الإنسي، ١٩٨٤: ١-٢) وبعد ما يقرب من ربع قرن حدثت عملية الفصل الثانية بعد صدور القرار الجمهوري رقم ١٠١ لسنة ١٩٩٠ بتعديل الحد الإداري الفاصل بين محافظتي الإسكندرية ومطروح لينتهي عند علامة الكيلو ٦١ علي طريق الإسكندرية/مرسى مطروح، وبموجب هذا القرار أصبحت أراضي مركز برج العرب ضمن الحدود لإدارية لمحافظة الإسكندرية (نشر هذا القرار في الجريدة الرسمية في ٢٨ فبراير ١٩٩٠).

التنمية في هذا النطاق، وتقليل التباعد بين المراكز العمرانية وحاضرة المحافظة والذي يؤثر علي جهود التنمية، فضلاً عن توحيد العمل في منطقة الاستصلاح الزراعي بأرض البنجر، لتصبح ضمن منظومة إدارية واحدة، علي أن تبدأ الحدود الإدارية للمحافظة المقترحة من علامة الكيلو ٣٤ شرقاً حتى علامة الكيلو ٢١٦ غرباً علي طريق الإسكندرية/ مرسى مطروح.

وبذلك تضم المحافظة المقترحة أربعة مراكز إدارية يوضحها الشكل (١) وهي: برج العرب فصلاً عن الإسكندرية، والحمام والعلمين والضبعة فصلاً عن مطروح، ويمكن اتخاذ الحمام أو العلمين حاضرة إدارية لها، علي أن يتم هذا التعديل الإداري في ضوء نظرة واسعة شاملة لتعديل الحدود الإدارية بين محافظات : مطروح، الإسكندرية، البحيرة - بصفة خاصة قطاع النوبارية - والجيزة (أشرف عاشور، ٢٠٠٤: ٢٩٩).

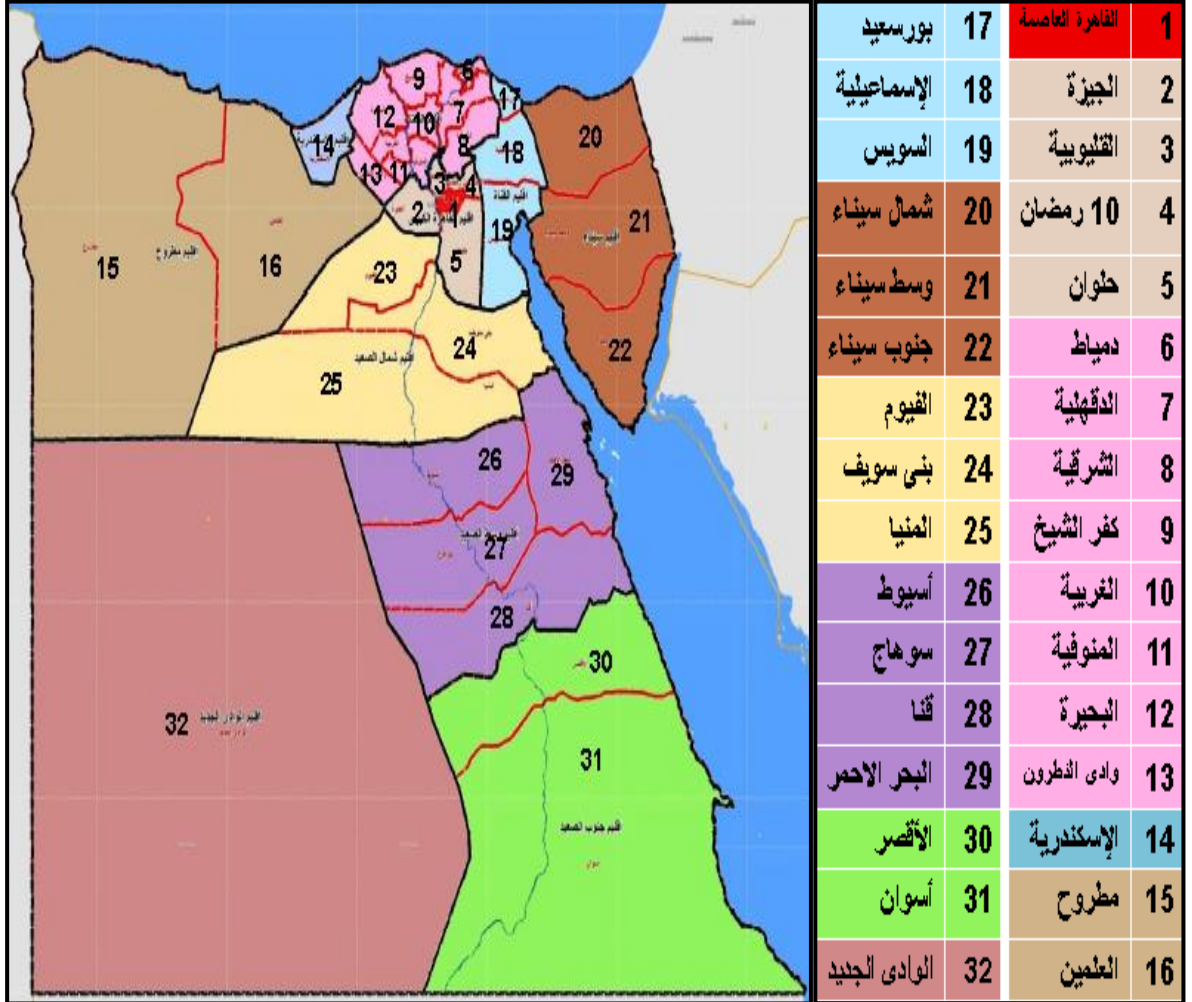


المصدر : أشرف محمد عاشور ، ٢٠٠٤ ، ص: ٣٠٠ .

وبعد عقد تقريباً من طرح تلك الفكرة لاح في الأفق الحديث عن إعادة ترسيم الحدود الإدارية بين المحافظات المصرية، ففي ٢٥ أغسطس عام ٢٠١٢ نشرت جريدة اليوم السابع موضوع بعنوان: (خريطة التقسيم الجديدة للجمهورية حتى ٢٠٢٧ ضمن «مخطط مصر ٢٠٥٢» .. تقسيم البلاد لـ ١٠ أقاليم تضم ٣٢ محافظة.. وإنشاء ٥ محافظات جديدة هي: وادي النطرون، العلمين، ووسط

سيناء، والعاشر من رمضان، وحلوان) والذي أعدته الهيئة العامة للتخطيط العمراني بوزارة الإسكان ضمن المرحلة الثانية من المخطط الاستراتيجي للتنمية العمرانية « مخطط مصر ٢٠٥٢ ». وفي ٢١ أكتوبر من عام ٢٠١٢ نشرت جريدة الأهرام علي صفحتها الأولى مقالاً بعنوان: (ثلاثة أقاليم و ٥ محافظات جديدة دعماً للتنمية ... منفذ بحري لكل إقليم ومشروعات لتوفير فرص عمل) وصرح فيه الدكتور مصطفى مدبولي رئيس الهيئة العامة للتخطيط العمراني حينذاك بأن المحافظات الجديدة تشمل: العلمين، وسط سيناء، العاشر من رمضان، وادي النطرون ، ٢٥ يناير. في نفس مكان وحدود محافظة حلوان التي ألغيت بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير عام ٢٠١١ . وبعد عشرة أشهر تقريباً وتحديداً في أغسطس من العام ٢٠١٣ صدر عن الهيئة العامة للتخطيط العمراني تقرير بعنوان: إعادة ترسيم حدود مصر إلي أقاليم تنموية، وجاء التقرير في ٩٢ صفحة تضمنت الترسيم المقترح للمحافظات حتى عام ٢٠١٧ والذي يهدف إلي إتاحة منفذ بحري لكل إقليم واستحداث خمس محافظات جديدة هي: العاشر من رمضان، العلمين، وادي النطرون، حلوان، وسط سيناء، ليصبح عدد المحافظات المصرية المقترحة ٣٢ بدلاً من ٢٧ محافظة، بالإضافة إلي زيادة عدد الأقاليم التخطيطية إلي عشرة أقاليم بدلاً من سبعة، كما يتضح من الشكل (٢).

شكل (٢) التقسيم الإداري المقترح لمصر عام ٢٠١٧ .



المصدر : الهيئة العامة للتخطيط العمرانى ، ٢٠١٣ ، ص

وفي ٢٠ أغسطس من العام ٢٠١٤ أعلن وزير التنمية المحلية خلال مؤتمر صحفي اعتماد رئيس الجمهورية قرارات لجنة ترسيم الحدود بين المحافظات ومنها، إنشاء ٣ محافظات جديدة هي: العلمين، وسط سيناء، الواحات، ليصبح عدد المحافظات المصرية المقترح ٣٠ محافظة، ولا يزال

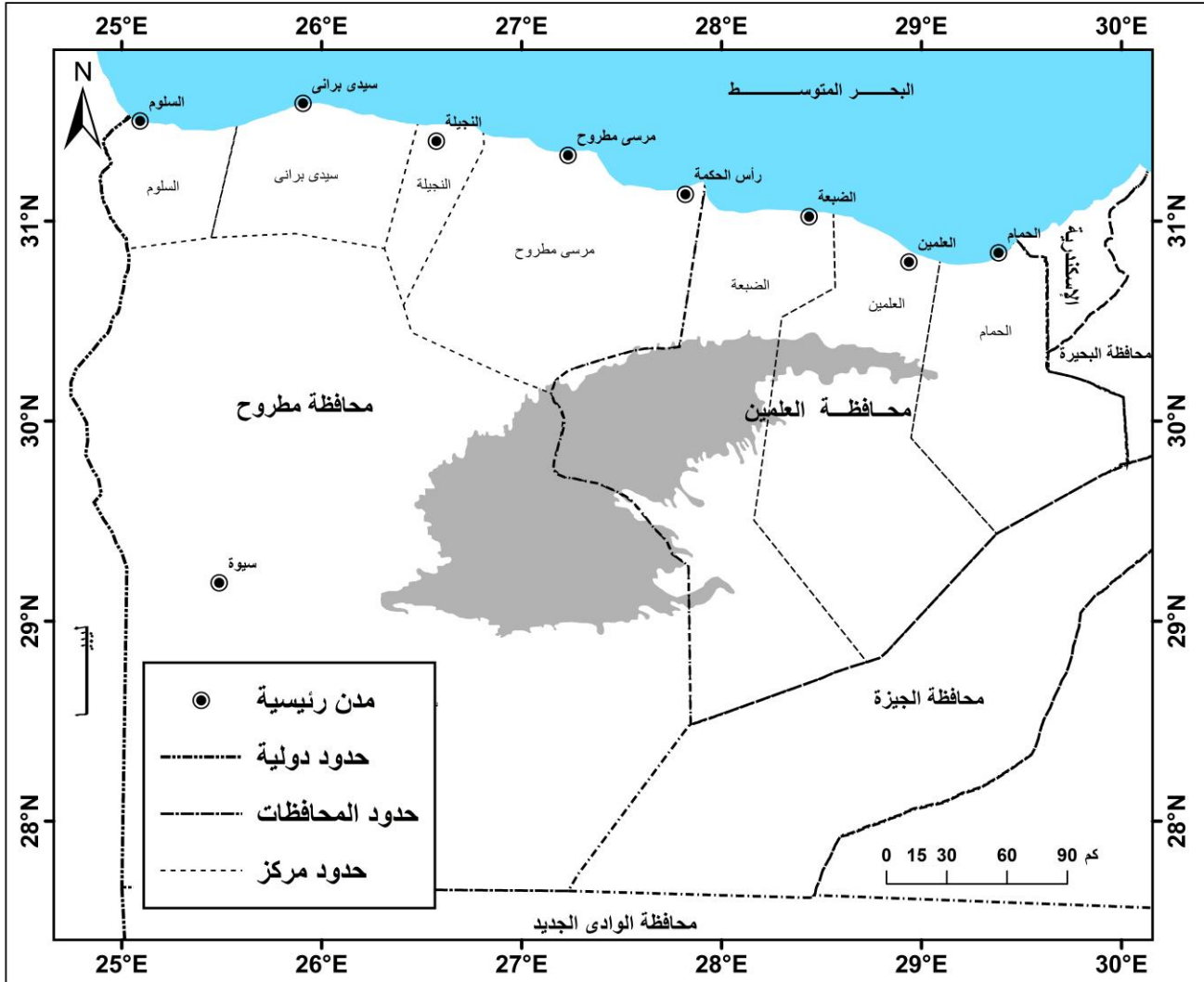
الحديث متواصل عن مشروع التقسيم الإداري للمحافظات وإعادة ترسيم الحدود الإدارية بينها حتى كتابة هذا البحث، وإن تباطأت خطوات الحديث عنه عن الفترة السابقة ومرد ذلك أن وزارة التنمية المحلية أعلنت إرجاء عملية الترسيم إلي ما بعد إصدار قانون الإدارة المحلية وإجراء انتخابات المحليات. أهمية الدراسة وهدفها:

بعيداً عن تنفيذ ترسيم الحدود الإدارية بين المحافظات أو إرجاءه، فإن ما يهمننا من هذا السياق أن محافظة العلمين ظلت مقترحةً ثابتاً في كل المخططات سالفة الذكر ومن هنا تتبع أهمية الدراسة وأفكارها. وعلي الرغم من أهمية تقييم المقترح الخاص بترسيم الحدود الجغرافية للمحافظات والأقاليم في ضوء رؤية شاملة للخريطة الإدارية لمصر، إلا أن ذلك يتطلب مجالاً لا يتسع له السياق هنا، لا سيما أن فكرة الدراسة تدور حول تقييم الوزن الجغرافي لإمكانات المحافظة المقترحة والآمال المعقودة عليها في إعادة هيكلة الخطط التنموية في رقعة جغرافية متميزة من إقليم الساحل الشمالي الغربي، وبناءً علي ذلك تسعى الدراسة إلي رصد نقاط القوة الجغرافية والضعف للمحافظة المقترحة وإلي تقدر مساحتها بنحو ٤٥ ألف كيلو متراً مربعاً والتي ستبدأ من علامة الكيلو ٦١ حتى الكيلو ٢٣٠ تقريباً علي طريق الإسكندرية مرسى مطروح، ومن تلك العلامة يمتد حدها الغربي جنوباً ليضم معظم منخفض القطارة ، وسوف تقسم المحافظة إدارياً إلي ثلاث مراكز إدارية هي: الحمام، العلمين، الضبعة كما يتضح من الشكل (٣).

تساؤلات الدراسة:

تطرح الورقة البحثية هذه عدداً من التساؤلات أهمها:

- ١- ما أهم المعايير التي يمكن الاعتماد عليها عند تحليل عناصر البيئة الداخلية والخارجية للمحافظة المقترحة؟
- ٢- هل يمكن تحويل نقاط الضعف للبيئة الداخلية للمحافظة المقترحة إلي نقاط قوة؟
- ٣- ماذا يمكن أن تواجه المحافظة المقترحة من فرص وتهديدات من بيئتها الخارجية؟
- ٤- كيف يمكن أن يساهم التحليل الرباعي لبيئة المحافظة المقترحة في دعم تنميتها وتجنب التحديات والوقوع في الأزمات والمشاكل قدر المستطاع؟



المصدر: الهيئة العامة للتخطيط العمراني ، ٢٠١٣ ، ص ٥٩ بتصريف .

شكل (٣) التقسيم الإداري المقترح لمحافظة العلمين و مطروح عام

٢٠١٧ .

أولاً: ماهية التحليل الرباعي

يعد أسلوب التحليل «SWOT» أحد الطرق المهمة في التقييم والتخطيط الاستراتيجي، وكان استخدامه في البداية قاصراً علي تقييم مدى تحقيق مؤسسة ما لأهدافها ومعرفة الفرص المتاحة التي يجب استغلالها وكذلك التهديدات التي قد تتعرض لها المؤسسة لتفاديها، وبذلك يتيح الفرصة أمام المؤسسة للاستفادة من الايجابيات وتجنب السلبيات التي تقف حجر عثرة أمام تميمتها.

وقد ظهر هذا الأسلوب من خلال البحث الذي أجري بمعهد ستانفورد

للأبحاث التابع لجامعة

«Stanford Research Institute» ستانفورد بولاية كاليفورنيا الأمريكية،

والذي استغرق عشر سنوات امتدت ما بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٧٠، لمعرفة أسباب فشل التخطيط في العديد من الشركات علي الرغم من وجود مدراء للتخطيط المؤسسي، وقدمت نحو ٥٠٠ شركة التمويل اللازم من أجل معرفة الإجابة عن سؤال: لماذا فشل التخطيط؟ أو بمعنى آخر أين أخفق التخطيط؟ وتحديد ما يمكن القيام به لتحويل الإخفاق إلي نجاح.

وتكون الفريق البحثي حينذاك من : أوتيس بنبي «Otis Benepe»،

وماريون دوشير «Marion Doshier»، والبرت همفري «Albert Humphrey»،

وبرجرلي «Birger Lie»، وروبرت ستيوارت «Robert Stewart». وتوصل الفريق

البحثي إلي أن المشكلة تكمن في أن الطريقة التي يتم بها التخطيط لم تكن

ملائمة لتحقيق النجاح المنشود، أو بالأحرى لم تكن تسير بإستراتيجية تسعى

للتعرف علي نقاط القوة والضعف، وكذلك الفرص والتهديدات، ومنذ ذلك الوقت

أضحى أسلوب «SWOT» مستخدماً في تقييم الشركات ويساعد علي اتخاذ القرارات بناءً علي نتائجه (Lawrence., 2009: 5-6).

وعلي مدى العقدين الماضيين تزايد بصورة ملموسة الاهتمام الأكاديمي بالأسلوب التحليلي «SWOT» واتسعت دائرة استخدام هذا الأسلوب في العديد من المجالات البحثية منها: إدارة الأعمال، التسويق، التنمية البشرية، التخطيط العمراني... وغيرها من المجالات البحثية، كما أصبح خطوة رئيسية في عملية التخطيط الاستراتيجي نظراً لقدرته علي بناء نموذج معلوماتي يتسم بتسلسل الأفكار وعرض الحقائق وترتيبها بشكل منطقي يراعي الضوابط والتوازنات المكانية لموضوع الدراسة، ومن ثم تصبح النتائج التي يتم استخلاصها مهمة تساعد صانع القرار في اتخاذ القرار المناسب.

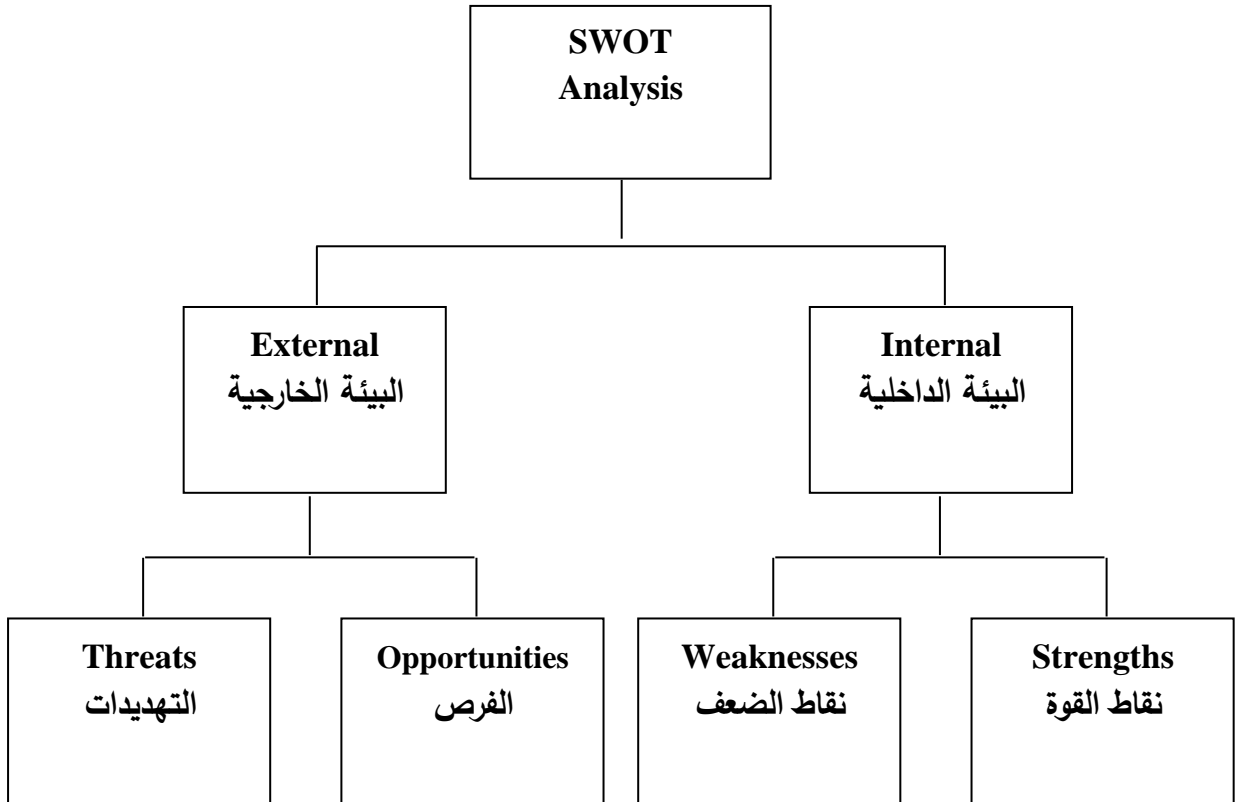
(أ) ما طبيعة هذا الأسلوب؟

لقد أرسى «ألبرت همفري» وزملاؤه القواعد الأساسية لأسلوب التحليل الرباعي، والتي تلخصها الحروف الأربعة لكلمة «SWOT» فهي اختصار لأربع مفردات أساسية يتم وفقها التحليل اثنان منها يرتبطان بالبيئة الداخلية، وآخران يرتبطان بالبيئة الخارجية. كما يتضح من الشكل (٤) وربما كان ذلك سبباً في أن يطلق عليه البعض تحليل البيئات.

وبناءً علي ذلك، فإن التحليل الرباعي يهتم بدمج نقاط القوة مع الفرص المتاحة واستخلاص عدد من النتائج يستفاد منها في تطوير المؤسسة وتعزيز قدرتها التنافسية، وكذلك معالجة نقاط الضعف وتحويلها إلي نقاط قوة أو الحد

من تأثيرها، وفوق هذا وذاك مواجهة التهديدات والتحديات المحتملة ومحاولة تجنبها.

وتتبع أهمية التحليل الرباعي من كونه خطوة مهمة في عملية التقييم والتخطيط، فمن خلاله يتم التعرف علي مواطن الضعف والقوة الأمر الذي يزيد من درجات الوعي بالبيئة الداخلية والخارجية للمؤسسة، ويعددها لمواجهة التهديدات واستغلال الفرص، ولضمان الحصول علي نتيجة دقيقة وناجحة وفعالة من خلال تحليل «SWOT» يجب أن تتوفر فيه بعض الشروط منها:



شكل (٤) نموذج لعناصر التحليل الرباعي

"Swot Analysis

- ١- أن يركز التحليل علي قضية واضحة.
- ٢- أن يتسم عرض الجوانب الأساسية للموضوع بالتوازن.
- ٣- أن يكون التحليل واضحاً وبسيطاً ويتجنب التعقيد.
- ٤- الدقة في تحديد نقاط القوة والضعف.
- ٥- تجنب التداخل فيما بين عوامل البيئة الداخلية والخارجية.
- ٦- الأخذ في الاعتبار وجهات نظر جميع المستفيدين وآراءهم المختلفة.
- ٧- واقعية نتائجه وإمكانية تطبيقها.

ب- ماذا يقدم «SWOT» للبحث الجغرافي؟

هذه نقطة مهمة، وليس معني ذلك انفاق الكثير من الوقت في البحث التماساً لنقاط اتفاق بين الجغرافيا وأسلوب التحليل الرباعي أو معاينة لنقاط اختلاف. خلف هاتين الممارستين البحثيتين، وكامنا في صلبهما، يقبع افتراض أن غاية البحث هي: ما إذا كنا سنتمكن من الاستفادة من الأسلوب في التأكيد علي القيمة النفعية للجغرافيا، قيمة معبر عنها من منطلق النتائج التي يتوصل إليها البحث والمنهجية التي يتخذها سبيلاً. غير أنه من الضروري التأكيد علي أن تنويع أساليب التحليل الجغرافي أصبح مطلوباً في ظل التغيرات السريعة والمتلاحقة للعلم من جهة والعالم من جهة أخرى.

كثيراً ما تقوم البحوث الجغرافية بدراسة منطقة ما، وترتكز الدراسة في الأعم الأغلب علي إظهار الأبعاد المكانية للمنطقة - داخلية كانت أم خارجية - وإذا

كان أسلوب «SWOT» يركز أيضاً علي تحليل البيئة الداخلية والخارجية للمؤسسة ألا يؤهله ذلك لكي يصبح مدخلاً مهماً في التحليل الجغرافي من خلال تطبيقه علي منطقة جغرافية للتعرف علي مواطن القوة وتمثل الايجابيات القائمة، وأوجه القصور وتمثل السلبيات القائمة، وذلك من خلال البيئة الداخلية للمنطقة، علاوة علي معرفة مكامن الفرص ويعبر عنها بالايجابيات المتوقعة التي يمكن استغلالها والاستفادة منها وأيضاً افتراض المخاطر والتهديدات أي السلبيات المحتملة التي تعوق عملية التنمية في المنطقة، وتكون هذه التوقعات والافتراضات من خلال البيئة الخارجية أي المتغيرات الخارجية التي تؤثر عليها حيث تحاط دائماً عملية التنمية ببيئة معقدة تتغير باستمرار؛ بل يصبح تكرار هذا التحليل للمنطقة علي فترات زمنية متباعدة ضرورة لمواكبة التغيرات المستمرة واتخاذ القرار المناسب.

الواقع أن هذا الأسلوب يمكن أن يوظف في الكثير من البحوث الجغرافية ليس على مستوى منطقة جغرافية كبيرة فقط، بل على مستوى مدينة ما، أو على مستوى المواقع التي تنتخب لكي تكون مراكز للحكم والإدارة كمقترح القاهرة الإدارية مثلاً، أم على مستوى مواقع المؤسسات الخدمية المختلفة.

ثانياً : معايير التحليل الرباعي لمحافظة العلمين المقترحة:

أحد الأمور المهمة عند استخدام أسلوب التحليل الرباعي "SWOT"، تحديد المعايير التي على أساسها تتم عملية التحليل، والتي ترتبط بدورها بطبيعة الموضوع والظروف المحيطة به، وما قد ينتاب الظاهرة قيد الدراسة من تغيرات عبر الزمن بفعل ما يستجد أو يطرأ على المكان. ويمثل التحليل الرباعي

لمحافظة العلمين المقترحة خطوة مهمة في تقييم مقترح تعديل الخريطة الإدارية لبعض المحافظات المصرية لإيضاح مواطن القوة والضعف بها، وكذلك الفرص والتهديدات المستقبلية.

وقد أجرى هذا التحليل استناداً لمجموعة من المعايير تمثلت في : الموقع الجغرافي، المساحة، الشكل والتقسيم الإداري، السكان، القاعدة الاقتصادية، المؤسسات الإدارية والخدمية، المجتمع المحلي، التنمية العمرانية، الحاضرة الإدارية للمحافظة المقترحة وآخرها كان مسمى المحافظة المقترحة . وفيما يلي عرض مفصل لهذه المعايير من خلال الجدول التالي:

جدول (١) : معايير التحليل الرباعي لمحافظة العلمين المقترحة

| المعيار الأول : الموقع الجغرافي | عناصر التحليل الرباعي | |
|--|-----------------------|--|
| <ul style="list-style-type: none"> - تتمتع المحافظة المقترحة بجهة ساحلية طولها ١٥٥ كيلومتر تطل على ساحل البحر المتوسط، وعلى امتداد هذا الساحل يوجد شاطئ رملي تزايدت أهميته بعد إنشاء القرى السياحية وتردد المصطافين عليها للاستمتاع بالبيئة الطبيعية الخلابة. - إنشاء المحافظة المقترحة في هذا المكان يدعم توحيد منظومة التخطيط العمراني في جزء مهم من الساحل الشمالي الغربي وبصفة خاصة في قطاع التنمية السياحية والزراعية التي تتوزع على أكثر من جهة حكومية. - موقعها المقترح محوري ويجعل حضورها مزدوجاً بين محافظتي | نقاط القوة | |

| المعيار الأول : الموقع الجغرافي | عناصر التحليل الرباعي | |
|--|-----------------------|------------------|
| <p>الإسكندرية شرقاً، ومطروح غرباً، وتسهم في وقف عمليات الفصل للمراكز الإدارية التابعة لمحافظة مطروح وضمتها لمحافظة الإسكندرية كما حدث من قبل لمركزي العامرية وبرج العرب، وفي ذات الوقت يؤهلها هذا الموقع لتكون همزة الوصل بين نطاقين جغرافيين مختلفين، الأول: إلى الشرق منها، ويتميز بارتفاع الكثافة السكانية والاندماج العمراني وتنوع الأنشطة الاقتصادية، والثاني: إلى الغرب منها، ويتميز بقلة سكانه وتبعثر عمرانته وضعف قاعدته الاقتصادية.</p> | | العناصر الداخلية |
| <p>- على الرغم من الواجهة المائية الطويلة للمحافظة المقترحة، إلا أن أسلوب التنمية السياحية المتبع خلال العقود الماضية أضعف الوظيفة الترويحية للمنطقة الشاطئية واختزل فترة استغلالها على أشهر الصيف فقط.</p> | نقاط الضعف | |
| <p>- يمكن أن يسهم الموقع المحوري للمحافظة المقترحة في جذب التحركات السكانية من المعمور المصري وبصفة خاصة من إقليم غرب الدلتا، لاسيما مع نشاط حركة التعمير والاستصلاح الزراعي، ويحكم عامل القرب المكاني والأهمية من المتوقع أن يكون لمحافظة الإسكندرية والبحيرة النصيب الأكبر من مجمل هذه العلاقات.</p> | الفرص | |
| <p>- يعتمد تحديد الكيان الإداري للمحافظة المقترحة وموقعها الجغرافي على القرار السياسي والإداري في المقام الأول، الأمر الذي يؤثر عليها</p> | التحديات | العناصر الخارجية |

| | |
|--------------------------|--|
| عناصر التحليل الرباعي | المعيار الأول : الموقع الجغرافي |
| | بشكل مباشر في حال تغير الظروف المحيطة بالقرار السياسي. |

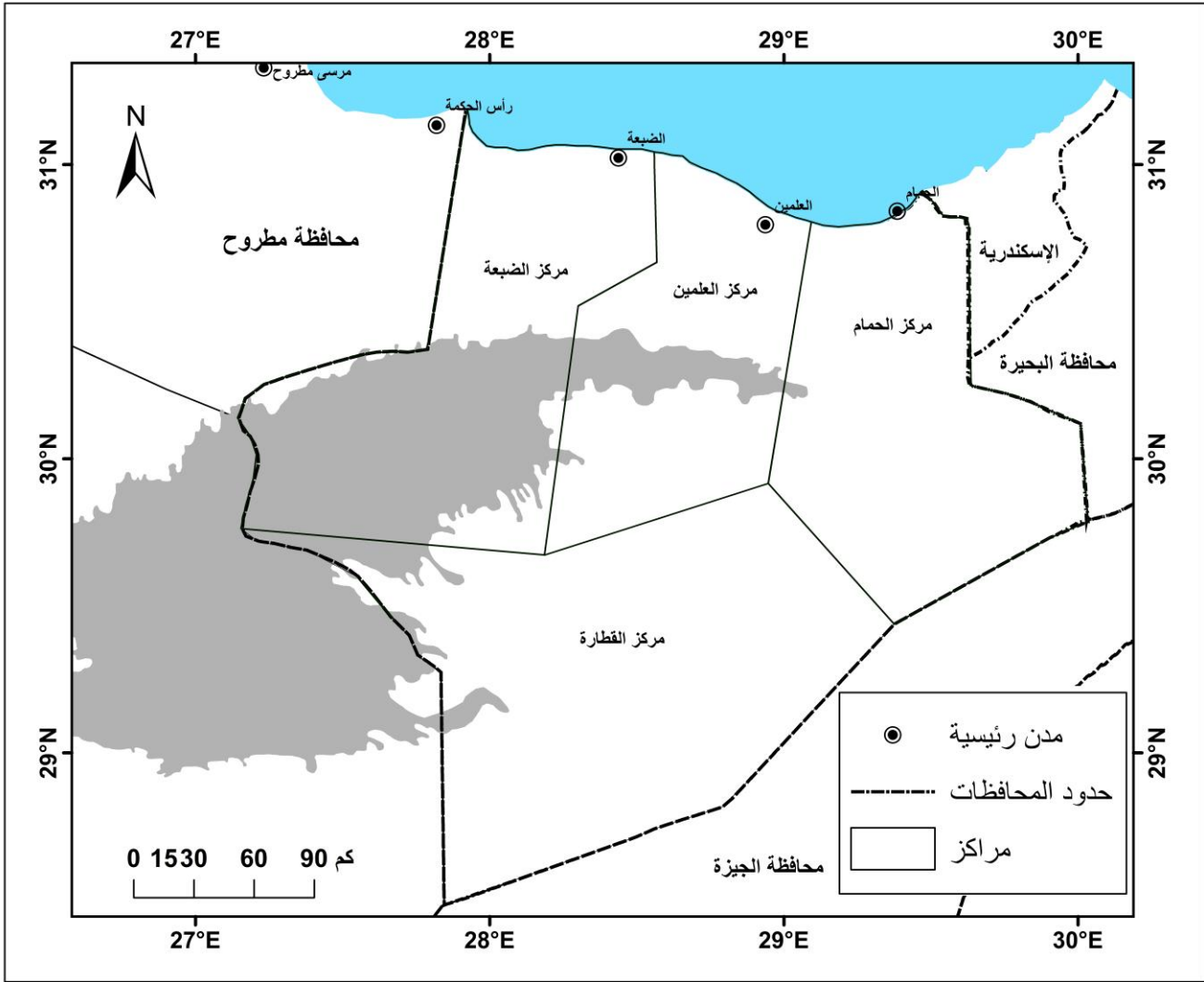
| | |
|--------------------------|--|
| عناصر التحليل الرباعي | المعيار الثاني : المساحة |
| نقاط القوة | <p>- اتساع مساحة المحافظة المقترحة والتي تصل إلى ٤٥ ألف كيلومتر مربع، لاسيما وأن المساحة المأهولة منها لا تتجاوز ٣% من إجمالي المساحة، ومن ثم يمكن أن تصبح مجالاً خصباً لإعادة توزيع السكان من مناطق الازدحام بالمعمور المصري إلى هذا النطاق الصحراوي، ولن يحدث ذلك إلا إذا توافرت رؤية شاملة لاستغلال الموارد المتاحة وفي نفس الوقت تكون الجهات التنفيذية قادرة على التغلب على العقبات التي تواجه تنفيذ مخططات التنمية.</p> |
| | نقاط الضعف |
| العناصر الداخلية | |

| المعيار الثاني : المساحة | عناصر التحليل الرباعي | |
|---|--------------------------|---------------------|
| ألف فدان وما تم تطهيره من تلك المساحة لم يتجاوز ٦٠ ألف فدان حتى الآن. | | |
| - قرار إنشاء محور الضبعة الذي يبدأ من الكيلو ٣٩ من طريق القاهرة / الإسكندرية الصحراوي وينتهي إلى الغرب من مدينة الضبعة عند الكيلو ٢١٠ على طريق الإسكندرية / مرسى مطروح بطول ١٩٧ كيلومتر، وكذلك تطوير محور وادي النطرون / العلمين، يمثلان نافذة مهمة سوف تسهم في تنمية النطاق الصحراوي البعيد عن مراكز العمران الحالية بالمحافظة المقترحة. | الفرص | العناصر الخارجية |
| - تعدد الجهات المشرفة والتي لها حق الولاية على أراضي الساحل الشمالي الغربي بصفة عامة - والمحافظة المقترحة جزء منه - بل ودخول بعضها مع البعض الآخر في نزاع من أجل فرض السيطرة على الأرض، يضاف إلى ذلك تضارب القوانين واللوائح والقرارات الوزارية الصادرة بهدف التنمية، وهذا وذاك يحتاج لإعادة النظر قبل إنشاء المحافظة المقترحة مع تمكين إدارة الحكم المحلي بالمحافظة المقترحة من ممارسة دورها وسيادتها على أراضي المحافظة وتنفيذ خطط التنمية. | التحديات | |

| | |
|---|-----------------------|
| المعيار الثالث : الشكل والتقسيم الإداري | عناصر التحليل الرباعي |
|---|-----------------------|

| المعيار الثالث : الشكل والتقسيم الإداري | عناصر التحليل الرباعي | |
|--|-----------------------|------------------|
| <p>- وفقاً لمقياس بويس كلارك، فإن شكل المحافظة المقترحة يندرج ضمن الشكل القريب من الدائرة، فقد بلغ معامل الشكل ١,٢ ومن ثم فإن الشكل العام للمحافظة من الناحية النظرية يعد أقرب إلى الشكل المثالي (الدائرة)، مما يعني إمكان الاستفادة من الشكل في تنفيذ خطط التنمية، سواء أكان ذلك في مد الطرق أم التوسع العمراني وتوزيع المحلات العمرانية على أراضيها، وكذلك توزيع مراكز الخدمات.</p> | نقاط القوة | العناصر الداخلية |
| <p>- التقسيم الإداري للمحافظة المقترحة يحتاج لإعادة النظر، وذلك بإضافة مركز القطارة كما يتضح من الشكل (٥) ليشغل المساحة الجنوبية من مركزى العلمين و الضبعة ، على أن يصاحب ذلك وضع مخطط لإنشاء مدينة القطارة لتصبح نقطة الانطلاق نحو تنمية منطقة منخفض القطارة التي ستصبح في ظل التقسيم الإداري المقترح في دائرة الظل بالنسبة لاهتمام إدارة الحكم المحلي لمركزى العلمين والضبعة وتواكل أحدهما على الأخرى.</p> | نقاط الضعف | |
| <p>- ضرورة مشاركة القطاع الخاص والمجتمع المدني في إدارة هذه المحافظة وفق آليات السوق لدعم القاعدة الاقتصادية للمراكز العمرانية القائمة والمزمع إنشائها.</p> | الفرص | العناصر |

| المعيار الثالث : الشكل والتقسيم الإداري | عناصر التحليل الرياعي | |
|---|-----------------------|----------|
| <p>- اتباع أسلوب الإدارة المحلية الحالي في إدارة المحافظة المقترحة لن يدعم تنمية أراضيها الشاسعة والتي تتطلب ضرورة التحرر من مركزية القرار والبيروقراطية، ولا يعني ذلك عد عدم ممارسة الحكومة لدورها في الرقابة والمتابعة، بل يظل دورها الرقابي مهم لضبط أداء القطاع الخاص والحد من التجاوزات.</p> | التهديدات | الخارجية |



شكل (٥) البديل المقترح لتقسيم محافظة العلمين إلى أربعة أقسام إدارية بدلاً من ثلاثة.

| المعيار الرابع : السكان | عناصر التحليل الرياعي | |
|---|-----------------------|------------------|
| <p>- إمكانات الطاقة الاستيعابية للسكان بالمحافظة المقترحة عالية ولاسيما وأن معظم أراضيها نادرة السكان ولا يتطلب تدميرها سوى رغبة جادة للتنمية العمرانية، وقد بلغ عدد سكان المراكز الثلاثة نحو ١١٠ ألف نسمة في عام ٢٠١٤ يمثلون ٢٩,٧% من سكان محافظة مطروح.</p> | نقاط القوة | العناصر الداخلية |
| <p>- التفاوت الواضح لتوزيع السكان، إذ يتركز السكان في نطاق السهل الساحلي، ولا يشغلون بذلك سوى مساحة تقترب من ٣% من إجمالي المساحة وبكثافة فيزيولوجية بلغت ١٧ نسمة لكل كيلومتر مربع، ولا يقتصر الأمر عند ذلك، بل إن توزيع السكان في النطاق الساحلي المعمار يتسم بالتبعثر أيضاً، ويفرض ذلك بعض مظاهر الخلل في توزيع المراكز الخدمية بكافة أشكالها ومستوياتها.</p> | نقاط الضعف | العناصر الخارجية |
| <p>- المحافظة المقترحة بيئة مثالية للمساهمة في حل أحد جوانب المشكلة السكانية في مصر بإعادة توزيع السكان على نحو أفضل في إحدى مناطق اللامعمور من خريطة مصر لاسيما وأن الكثافة الخام بلغت خمسة أفراد لكل ٢ كيلومتر مربع.</p> | الفرص | العناصر الخارجية |
| <p>- غياب الرؤية الحكومية الواضحة لخطط التنمية المتوازنة لمواجهة مشكلة عدم التوازن بين حجم السكان المستهدف - والذي يقدر بنحو ٣٠ مليون نسمة وذلك في عام ٢٠٥٠ - والموارد</p> | التحديات | |

| المعيار الرابع : السكان | عناصر التحليل الرياعي | |
|--|-----------------------|------------------|
| الاقتصادية المتاحة. | | |
| المعيار الخامس : القاعدة الاقتصادية | عناصر التحليل الرياعي | |
| <p>- تمتلك المحافظة المقترحة العديد من إمكانات التنمية الاقتصادية (ثروة معدنية، أراضي صالحة للزراعة، بيئة رعوية، الأنشطة السياحية، توطين الصناعات عالية التقنية)، والتي إذا أحسن استغلالها واستثمارها في ضوء خطة تنمية مستدامة وتنوعت قاعدتها الاقتصادية، وأضحت أنشطتها الاقتصادية المتنوعة قادرة على توفير فرص عمل جديدة وجذب مزيد من السكان.</p> | نقاط القوة | العناصر الداخلية |
| <p>- التوازن ما بين الأنشطة الاقتصادية (الأولية، الثانوية، الثالثة) التي تشكل المركب الاقتصادي للمحافظة المقترحة مفقود، إذ تستحوذ الأنشطة الخدمية على ما يربو على ثلاثة أرباع حجم القوى العاملة بمراكز المحافظة المقترحة وتتفاقم الصورة إذ علمنا أن ٩٠% من العاملين بالأنشطة الخدمية يعملون في قطاع الخدمات الإدارية بمدن الحمام، والعلمين، والضبعة. ومن هنا يجب تفعيل دور الأنشطة الأولية والثانوية من خلال استثمار الموارد المتاحة وتوفير فرص عمل للأجيال القادمة.</p> | نقاط الضعف | |
| <p>- تشجيع القطاع الخاص على الاستثمار في الأنشطة الاقتصادية التقليدية مثل : الرعي، والمحاجر، الزراعة الصحراوية، يضاف إلى ذلك محاولة توطين الصناعات التكنولوجية بإنشاء وادي</p> | الفرص | |

| المعيار الرابع : السكان | عناصر التحليل الرياعي | |
|--|-----------------------|--|
| <p>للتنمية بإحدى مناطق المحافظة ويفضل بأن يكون بالضبعة أو مركز القطارة المقترح حتى تتعدد أقطاب التنمية بالمحافظة ولا تتركز بحاضرة المحافظة المقترحة، ويتطلب ذلك تذليل العقبات التي تواجه الاستثمار في مصر عامة، وفي قطاع الأنشطة التكنولوجية بصفة خاصة.</p> <p>- وضع مخطط لتطوير مرسى الحمراء لتصدير البترول وتحويله لميناء عالمي يصبح نافذة المحافظة المقترحة؛ بل وإقليم الساحل الشمالي الغربي على العالم الخارجي وما يصاحب ذلك من أنشطة يتطلبها الميناء كنقطة نقلية مهمة ومحطة للراحة التجارية سوف تدعم القاعدة الاقتصادية للمحافظة وتوفر مزيد من فرص العمل.</p> | العناصر الخارجية | |
| <p>- تأخر خطوات تنمية الظهير الصحراوي وربما توقفها لأسباب ترتبط بصناعة القرار المركزي من السلطة السياسية أو التنفيذية في مصر في ضوء ما يستجد وما يطرأ على واقع خريطة التنمية غير المستدام والمتذبذب من آن لآخر.</p> <p>- التوسع في الخدمات الإدارية وهيكلها في ضوء إقامة مباني إدارية لاحتياجات المحافظة المقترحة، دون محاولات جادة لتنمية مختلف الأنشطة الاقتصادية.</p> | التحديات | |

| المعيار السادس : المؤسسات الإدارية والخدمية | عناصر التحليل الرباعي | |
|--|-----------------------|------------------|
| <p>- مع تطبيق نظام الإدارة بمحافظة مطروح واتخاذ مدن الحمام والعلمين والضبعة حواضر لمراكزها الإدارية أنشئت على أراضيهم العديد من المباني الإدارية مثل: مباني الوحدات المحلية، أقسام الشرطة، الإدارات الزراعية، التعليمية، الصحية، وغيرها ... من متطلبات الوظيفة الإدارية، ومن ثم يصبح توافر مثل هذه المؤسسات داعم رئيسي للبناء الإداري للمحافظة المقترحة.</p> | نقاط القوة | العناصر الداخلية |
| <p>- تعد مشكلة توزيع الخدمات الأساسية في إطار المساحة وطبيعة توزيع التجمعات السكانية الراهنة، أبرز نقاط الضعف للمحافظة المقترحة، وتزداد صعوباتها في التجمعات العمرانية الواقعة بعيداً عن الطرق الرئيسية وعن مراكز تقديم تلك الخدمات.</p> | نقاط الضعف | |
| <p>- فتح آفاق الاستثمار في تقديم الخدمات للقطاع الخاص اعتماداً على خريطة الحرمان من الخدمات التي تحدد مستويات الخدمات من حيث ضرورتها للسكان أولاً، وهل يمكن انتقالهم للحصول عليها أم يجب توفيرها بالقرب من أماكن إقامتهم في ظل الصورة الراهنة لتوزيع لتجمعات العمرانية واحتمالاتها المستقبلية.</p> | الفرص | العناصر الخارجية |
| <p>- ستظل مشكلة المياه أحد المشكلات الرئيسية التي تواجه مسار التنمية بالمحافظة المقترحة، ويتطلب ذلك ضرورة التفكير في إغذاب مياه البحر، على أن يصاحب ذلك تدخل الجهات الحكومية لمد شبكات الصرف الصحي للتجمعات العمرانية الكبيرة</p> | التحديات | |

| المعيار السادس : المؤسسات الإدارية والخدمية | | عناصر التحليل الرباعي | |
|---|---------------------------------|-----------------------|------------------|
| على الأقل كمدخل حقيقي للتنمية. | | | |
| | المعيار السابع : المجتمع المحلي | عناصر التحليل الرباعي | |
| <p>- القرار المقترح بإنشاء محافظة العلمين يلقي قبولاً شعبياً لدى أبناء المجتمع المحلي بمراكز الحمام والعلمين والضبعة، فخلال المقابلات الشخصية التي أجراها الباحث، لم يبدي أحد منهم اعتراضه علي إنشاء تلك المحافظة، بل أنهم يفضلون إنشاءها وعدم البقاء في ظل التبعية الإدارية الراهنة لمحافظة مطروح، نظراً لوقوع تلك المراكز في دائرة الظل بعيداً عن اهتمام إدارة المحافظة التي توجه بؤرة الاهتمام لمدينة مرسي مطروح، وفي السياق ذاته رفض أغلب سكان مركز الحمام مقترح ضم المركز إلي محافظة الإسكندرية.</p> | | نقاط القوة | العناصر الداخلية |
| <p>- ينقسم الكيان السكاني في المحافظة المقترحة تبعاً لأصول السكان إلي قسمين الأول: السكان البدو وهم السكان الأصليون، والثاني: السكان الوافدون من الوادي والدلتا، وتعيش المجموعتان متباعدتين لكل منهما نمط حياة مختلف ومميز، وقد لمس</p> | | نقاط الضعف | |

| المعيار السادس : المؤسسات الإدارية والخدمية | عناصر التحليل الرباعي | |
|--|-----------------------|------------------|
| <p>الباحث، أثناء الزيارات الميدانية - خاصة في المدن الثلاث - العلاقة الفاترة بين البدوي والوافد، ومثل هذه النواحي تصنع في نهاية الأمر مجتمعاً سكانياً يفتقد إلي حد ما إلي الترابط والتعاون، ولذلك تأثيراته السلبية علي التنمية بشكل عام .</p> | | |
| <p>- ما من شك أن عنصر الزمن كفيل بإيجاد جيل من أبناء السكان البدو والسكان الوافدين يكون قادر علي إذابة كثير من الفوارق، ليندمج الوافدين مع البدو في مجتمع متجانس إلي حد كبير .</p> | الفرص | العناصر الخارجية |
| <p>- نشوب الخلاف بين السكان البدو والهيئات الحكومية حول ملكية الأرض في ظل سيادة الأعراف البدوية وبصفة خاصة عرف وضع اليد على أراضي الدولة. ويمثل ذلك أحد التحديات التي تواجه عملية التنمية بالمحافظة المقترحة وتجعل المستثمر ينأى عن دخوله طرفاً في هذا الصراع.</p> | التحديات | |

| المعيار الثامن : التنمية العمرانية | عناصر التحليل الرباعي | |
|---|-----------------------|--|
| <p>- وجود مساحات كبيرة وشاغرة من الأراضي يمثل مصدر مهم لتمويل مخططات التنمية عامة والعمرانية بصفة خاصة، فالعائد من بيع الأراضي يصبح مصدراً مهماً للموارد الذاتية للمحافظة المقترحة مما يدعم إيرادات أجهزة الحكم المحلي. وفي الوقت ذاته فإن اتساع مساحة الأراضي الشاغرة يمثل</p> | نقاط القوة | |

| المعيار الثامن : التنمية العمرانية | عناصر التحليل الرباعي | |
|---|-----------------------|------------------|
| فرصة مهمة لإنشاء مدن وتجمعات عمرانية جديدة تراعي جماليات العمران وتدعم توطين السكان على قواعد وأنشطة اقتصادية متنوعة. | | العناصر الداخلية |
| - استمرار عمليات البناء والنمو العمراني العشوائي والمبعثر على أنحاء مختلفة من أراضي المحافظة المقترحة. | نقاط الضعف | |
| - نظرة صانع القرار في مصر إلى المحافظة المقترحة على أنها عنصر أساسي في حل المشكلة الحالية للإسكان في مناطق المعمور المصري، وذلك من خلال مد رقعة المعمور واكتساب أراضي جديدة على حساب الأراضي السالبة التي لا ينتشر فيها العمران، حتى تصبح هذه المناطق جبهات ريادية قادرة على جذب جزء من السكان الذين يتزايدون بأعداد كبيرة، فاقت قدرة الأراضي في مناطق العمران بالوادي والدلتا. | الفرص | العناصر الخارجية |
| - عدم تبني مخططات عمرانية حاکمة للنمو العمراني تنظم عمليات البناء تبعاً لقوانين وشروط وقيود محددة تتيح فرصة لتوفير بيئة عمرانية متجانسة ومميزة، وليست تجربة القرى السياحية بالساحل الشمالي الغربي منا ببعيد، فهي خير شاهد على ذلك وما ترتب عليها من تنافر النسيج العمراني على امتداد النطاق الساحلي. - المضاربة على أسعار الأراضي والمساكن وما يترتب على | التحديات | |

| عناصر التحليل الرباعي | المعيار الثامن : التنمية العمرانية |
|-----------------------|--|
| | ذلك من تعطيل لجزء مهم من رأس المال يجب أن يوجه للاستثمار في الأنشطة الاقتصادية وتوفير فرص العمل. |

| عناصر التحليل الرباعي | المعيار التاسع : الحاضرة الإدارية (مدينة العلمين) |
|-----------------------|---|
| نقاط القوة | - موقع الحاضرة الإدارية للمحافظة المقترحة يحقق التوسط النسبي للمراكز الثلاث، فمدينة العلمين تكاد تتوسط المسافة بين مدينة الحمام شرقاً ٤٢ كيلومتر، والضبعة غرباً ٥١ كيلومتر، كما تتمتع المدينة بسهولة الوصول إليها من كافة التجمعات العمرانية المختلفة بالنطاق المعمور من المحافظة المقترحة عبر شبكة من الطرق الفرعية والثانوية والرئيسية. |
| | - مدينة العلمين هي أصغر مدن المحافظة المقترحة حجماً ونمت عمرانياً بصورة غير مخططة وتتطلب رقعته العمرانية إعادة تأهيل لكثير من مناطقها العمرانية لتكون قادرة على أن تكون واجهة عمرانية مميزة ومتجانسة للمحافظة المقترحة. |
| نقاط الضعف | - الاستفادة من قرار تعديل المخطط العمراني لمدينة العلمين الجديدة ليصبح لها واجهة مائية على ساحل البحر المتوسط بطول ١٤ كيلومتر تقريباً، ومن ثم تصبح المدينة الوحيدة فيما بين الإسكندرية شرقاً، ومرسى مطروح غرباً التي تتمتع بربط ظهرها الداخلي (الصحراوي) بالواجهة المائية الساحلية، |
| الفرص | - الاستفادة من قرار تعديل المخطط العمراني لمدينة العلمين الجديدة ليصبح لها واجهة مائية على ساحل البحر المتوسط بطول ١٤ كيلومتر تقريباً، ومن ثم تصبح المدينة الوحيدة فيما بين الإسكندرية شرقاً، ومرسى مطروح غرباً التي تتمتع بربط ظهرها الداخلي (الصحراوي) بالواجهة المائية الساحلية، |

| عناصر التحليل الرباعي | | المعيار التاسع : الحاضرة الإدارية (مدينة العلمين) |
|-----------------------|------------|--|
| العناصر الخارجية | | وبدون أدنى شك فإن اعتماد هذا المخطط والبدء في الخطوات التنفيذية له، سوف يسهم في انتقال الأهمية والتوجيه إلى تلك المدينة الجديدة لتصبح الحاضرة الإدارية للمحافظة المقترحة. |
| | التحديات | - تباطؤ خطوات التنفيذ لمدينة العلمين الجديدة أو توقفها لنقص التمويل مثلاً أو تغيير القرار السياسي. |
| عناصر التحليل الرباعي | | المعيار العاشر : مسمى المحافظة |
| نقاط القوة | | - مسمى المحافظة المقترحة يحظى بشهرة على المستويين المحلي والعالمي، نظراً لارتباطه تاريخياً بواحدة من أكبر المعارك التي دارت في التاريخ الحديث والمعاصر خلال الحرب العالمية الثانية بين جيوش المحور بقيادة روميل ، والحلفاء بقيادة مونتجمري في عام ١٩٤٢. وتخليداً لذكرى الجنود الذين لقوا حتفهم خلال الحرب أنشئ المهندس المعماري الأسترالي نافورة العلمين في مدينة سيدني بأستراليا والتي تصنف ضمن أجمل ٣٥ نافورة عالمياً حجماً وجمالاً. |
| | نقاط الضعف | - لا يوجد |
| | الفرص | - مسمى العلمين يمكن أن يكون داعم مهم في عملية الترويج السياحي للمنطقة بصفة خاصة والمحافظة المقترحة عامة، لتصبح محط اهتمام السائحين على مدار العام، ويمكن |

| المعيار التاسع : الحاضرة الإدارية (مدينة العلمين) | عناصر التحليل الرباعي | |
|---|-----------------------|------------------|
| الاستفادة من الاحتفال السنوي لذكرى المعركة والذي يقام في ٢٣ من أكتوبر من كل عام لتحويله إلى يوم عالمي للسلام وكذلك وجود النصب التذكاري لضحايا المعركة والمتحف الحربي، وفوق هذا وذاك المنطقة الشاطئية ذات الرمال البيضاء . | | العناصر الخارجية |
| - لا يوجد | التهديدات | |

ثالثاً: النتائج:

استهدفت عملية التحليل لنقاط القوة الجغرافية والضعف لمحافظة العلمين المقترحة باستخدام أسلوب "SWOT Analysis" تحليل كل من عناصر البيئة الداخلية والخارجية لها، وفقاً للعناصر الأربعة الرئيسية للنموذج المستخدم والمتمثلة في مواطن القوة، ومواطن الضعف، ومكامن الفرص، ومكامن التهديدات. والجدير بالذكر أن الهدف الأساسي من إجراء هذا التحليل هو التعرف على مدى صواب قرار إنشاء محافظة العلمين المقترحة. وفي ضوء معايير التحليل سألغة الذكر يتضح ما يلي:

- إن موقع محافظة العلمين المقترحة هو أول ما يحددها بصورة أكثر حتى من الفلسفة الحاكمة لها، وإذا كان الموقع يؤكد بصفة عامة على أن موروثات الجغرافيا تفرض بالفعل حدوداً لما يمكن تحقيقه في أي مكان فإن تحليل معيار الموقع الجغرافي للمحافظة المقترحة أوضح أنه يمثل مصدر قوة دافعة

لإنشاءها، لاسيما وأن موقعها المحوري يمنحها فرصة مهمة لأن تكون مكان مركزي يسهم في تحقيق التفاعل بين مناطق المعمور ومناطق اللامعمور على خريطة مصر، كما أن مكن ضعفها يمكن تحويله إلى فرصة إذا أعيد تأهل المنطقة الشاطئية واستغلالها معظم أيام العام أو بتحويل بعض مناطقها إلى مناطق إقامة دائمة بعد ربطها بالظهير العمراني الصحراوي، بينما يظل التهديد يحيط بها في ظل عدم وضوح القرار السياسي والإداري وتباينه من آن لآخر.

- لفهم أهمية المحافظة المقترحة والقيمة التي يمكن أن تضيفها لخريطة مصر، علينا أن ننظر لمساحتها الكبيرة باعتبارها مكن قوة لا ضعف على الرغم من أن مبدأ الحتم الجغرافي قد يسيطر على أجزاء منها، إلا أن التاريخ البشري يؤكد على أن البشر قادرون على الاستجابة بإحدى الصور في ظل التطور التقني الذي مكن المجتمع البشري من تفويض بعض مظاهر الحتم الجغرافي، ألا تمثل شبكة الطرق القومية التي تقطع صحراء تلك المحافظة من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال مدخل مهم لهذا التفويض والسيطرة على بعض مناطق الحتم الجغرافي وتحويل الكثير منها إلى بيئات جاذبة للسكان، إن كان ثمة مشكلة في اتساع المساحة، فإنما ترتبط بالإدارة التي سيقع عليها عبء المسؤولية، فمثل هذه المساحة المتسعة تتطلب إدارة وأجهزة تنفيذية أكثر وعياً بأهمية المساحة وتغيير النظرة إليها من كونها عبء يقع على كاهل الأجهزة الإدارية والتنفيذية إلى أنها مصدر مهم للثروة وتقدم فرصاً لظهور عدد من أقطاب التنمية في قطاعات مختلفة، وهكذا يمكن تحويل إحدى نقاط الضعف

إلى مصدر قوة، ولا يبقى سوى إزالة الألبان من نطاق جنوب العلمين حتى تصبح مساحة المحافظة بأكملها مسرح مفتوح أمام التحركات السكانية.

• أحد نقاط القوة المهمة التي أوضحها تحليل شكل المحافظة المقترحة وتقسيمها الإداري اندماج الشكل العام للمحافظة، وبصورة عامة فإن هذا المعيار يشير إلى تفوق واضح لنقاط القوة الجغرافية والفرص على مكامن الضعف والتهديدات؛ وربما من الخطأ أن نظن أن إعادة النظر في الأقسام الإدارية للمحافظة بإنشاء مركز القطارة أمر يضعف فكرة إنشائها، وإنما هي مقصد لتحقيق التوازن عند الشروع في تنمية أقاليم المحافظة، وعلى أية حال حتى وإن أهمل هذا المقترح لفترة من الزمن، فسوف يطرح نفسه عند الشروع في خطط التنمية المستقبلية وتظهر أهمية توحيد منظومة التنمية في النطاق الجنوبي من المحافظة المقترحة تحت منظومة حكم محلي واحدة قادرة على صياغة رؤية شاملة لاستغلال موارده.

• العودة إلى تحليل المعيار السكاني تؤكد تمتع المحافظة المقترحة بإمكانات طاقة استيعابية من السكان كبيرة في ظل ندرة سكانها وانخفاض الكثافة الخام إلى أقل من ثلاثة أفراد في الكيلومتر المربع، ومن ثم تصبح مجالاً مهماً لإعادة توزيع السكان من مناطق المعمور إلى مناطق اللامعمور ولا يتطلب ذلك سوى التصدي للتهديدات بوضع رؤية حكومية واضحة ومستدامة لتنمية هذه المحافظة بصورة مغايرة، لمنهج الحكومات السابقة في مناطق صحراوية مماثلة وليست سيناء منا ببعيدة.

• يكشف تحليل القاعدة الاقتصادية لمحافظة العلمين المقترحة عن امتلاكها لمصادر متنوعة من الثروة المعدنية في مقدمتها: الموارد اللازمة لصناعة التشييد والبناء، والملح الصخري مرتفع النقاء، وحقول البترول والغاز الطبيعي، فضلاً عن الأراضي الشاسعة الصالحة للزراعة إذا توافر لها الماء وتمت زراعتها وفق أساليب الري الصحراوية المعاصرة، ولا يمكن إغفال أهمية شواطئها الرملية البيضاء وصحراءها في التنمية السياحية وبصفة خاصة السياحة الشاطئية والسياحة البيئية وسياحة السفاري، يضاف إلى ذلك إمكانية الاستفادة من الأمطار الشتوية التي تسقط على النطاق الساحلي منها لإقامة مراعي طبيعية لتربية الأغنام والماعز مع دعم هذه المراعي بالأعلاف الجافة في مواسم غياب المطر، وفوق هذا وذاك ضرورة توطين عدد من الصناعات عالية التقنية على أن يتم ذلك جنباً إلى جنب مع قطاع الصناعات التقليدية وبصفة خاصة تلك التي يمكن أن تقوم على موارد الثروة المعدنية. وبدون أدنى شك فإن تحقيق ذلك يؤدي إلى توازن المركب الاقتصادي للمحافظة وتتلاشى نقطة الضعف التي تواجه هذا المعيار.

• تتمثل عناصر القوة لمعيار المؤسسات الإدارية والخدمية في توافر منشآت الحكم والإدارة المحلية بحواضر المراكز الإدارية الثلاثة التي ستشكل الخريطة الإدارية للمحافظة المقترحة، علاوة على الكثير من المنشآت الخدمية حتى وإن كانت تواجه بعضاً من أوجه القصور في تقديم الخدمات المختلفة، على الرغم من نمو قطاع الخدمات بشكل عام في المراكز الإدارية الثلاث خلال العقدين الماضيين إلا أن المؤكد أن نصيب الفرد من بعض الخدمات غير مناسب

لاحتياجاته، كما أن سوء توزيع وحدات الخدمات في مناطق البادية، والهدر في أحيان أخرى، سيظلان قائمين ويتطلب ذلك وضع الحلول المناسبة للسيطرة على نقاط الضعف التي تواجه هذا المعيار، مع أهمية توجيه الاهتمام لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات كأحد عناصر البنية التحتية المهمة التي أصبحت سمة رئيسية لهذا العصر بعد أن أصبحت المجتمعات المعاصرة تعتمد بشكل متزايد على البتات Bits أكثر من اعتماده على أي شئ آخر.

- لا تقل نقاط الضعف المرتبطة بمعيار المجتمع المحلي أهمية عن غيرها من نقاط الضعف التي أظهرتها المعايير السابقة، وبصفة خاصة مشكلة التركيب القبلي للسكان والتي قد تلقي بظلالها على مسار التنمية وما يحكمها من عادات وتقاليد وأعراف قد تضع قيود عند محاولة التعمير وما يترتب على ذلك من عدم تحقيق المستهدف من نسب التعمير في ظل سياسة وضع اليد والسيطرة على الكثير من أراضي الدولة وعض الطرف من قبل الأجهزة الحكومية عن تلك الظاهرة مما يعرض فرص الاستثمار لبعض المخاطر وربما عزوف المستثمرين على الدخول طرفاً في صراع على ملكية الأرض المخصصة للتنمية.

- تبين من دراسة معيار التنمية العمرانية امتلاك محافظة العلمين المقترحة العديد من إمكانات التنمية العمرانية والتي تمثل نقاط قوة تدعم فكرة إنشاء المحافظة، وإن تطلب ذلك ضرورة توفير كوادر إدارية مؤهلة وقادرة على إدارة التنمية العمرانية بمراكز المحافظة الثلاثة والالتزام بتنفيذ المخططات التنموية لاسيما وأن خريطة التعمير التي انتهجتها الدولة منذ أكثر من ثلاثة عقود بنشر عدد من المدن الجديدة مازالت غير قادرة على تحقيق المستهدف منها ويتحمل

عامل عدم كفاءة إدارة التنمية العمرانية بهذه المدن الجزء الأكبر من الفشل في تحقيق أهدافها؛ وعلى ذلك فإنه في ظل بقاء الإدارة كما هي فإن هذا يعني عدم وجود أي تغيير في اتجاه تحقيق التنمية العمرانية المرجوة من إنشاء محافظة العلمين.

• أظهرت مكامن الفرص المتوقعة لمدينة العلمين الجديدة أهميتها في إدارة التنمية بالمحافظة المقترحة وقدرتها على تحقيق المستهدف منها باتخاذها حاضرة للمحافظة في ظل موقعها وسهولة الوصول إليها من كافة التجمعات العمرانية القائمة على أرض المحافظة، وربما يقترح الباحث عدم إنشاء المحافظة المقترحة إلا بعد الانتهاء من تنفيذ مدينة العلمين الجديدة لتصبح تلك المدينة بمثابة شهادة ميلاد المحافظة ومن ثم تكون الحاضرة الجديدة قادرة على ممارسة دورها المحلي والإقليمي وربما العالمي.

• جاء اختيار مسمى المحافظة المقترحة موفقاً إلى حد كبير نظراً لارتباطه باسم منطقة أكسبها التاريخ المعاصر شهرة عالمية استمدتها من كونها شاهد على واحدة من أكبر معارك الحرب العالمية الثانية، والمتمثلة في معركة العلمين، ومن ثم فإن أي جهود تبذل للترويج لهذا المكان سياحياً يمكن أن يكون لها نتائج مباشرة تساهم في وضع المحافظة المقترحة على خريطة السياحة الدولية.

وإذا كان أسلوب "SOWT" يهدف إلى وضع خطة إستراتيجية نابغة من دمج نقاط القوة مع مجموعة الفرص المتاحة للاستفادة من إمكانات المحافظة المقترحة، علاوة على دعم نقاط القوة ومعالجة نقاط الضعف أو الحد من تأثيرها

السلبى بقدر المستطاع ومواجهة أو تجنب التهديدات والتحديات المحتملة، فإن الدراسة تنتهي إلى صياغة الأفكار الرئيسية التي يمكن أن تستند عليها الخطة الاستراتيجية لتنمية المحافظة المقترحة كما يلي:

١ - الاستفادة من نظرة متخذي القرار إلى أهمية المحافظة المقترحة كمحور أساسي لإعادة توزيع السكان، لاسيما وأن المحافظة المقترحة تتمتع بمساحة كبيرة وإمكانات متنوعة لزيادة الطاقة الاستيعابية من السكان.

٢ - وضع مخطط تنموي شامل للمحافظة المقترحة يأخذ في الاعتبار كافة الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية ويستفيد من القاعدة الاقتصادية لتوفير فرص عمل وجذب العمالة والسكان، ويراعي في الوقت ذاته الأصول والمعايير التخطيطية في تشكيل النسيج العمراني للمحافظة المقترحة لتوفير بيئة عمرانية متجانسة ومميزة في إقليمها الجغرافي.

٣ - تقليص دور الدولة في إدارة التنمية بالمحافظة المقترحة، ولا يكون إلا لضرورة حتمية للحفاظ على البعد الاجتماعي في التنمية وخاصة تلك التي تمس فئات الدخل المحدود والمتوسط في أحيان أخرى. في السياق ذاته يجب ألا يتقلص دور الدولة إلا بعد وضع الإطار التشريعي والقانوني الذي ينظم عمليات الولاية على الأرض ويحد من النزاع على ملكية أراضي المحافظة المقترحة. ويوحدها في إطار قانوني وإداري واحد ممثل في سلطة الحكم والإدارة بالمحافظة المقترحة.

٤ - أهمية مشاركة المجتمع المحلي من سكان المحافظة المقترحة في إدارة وتنمية محافظتهم ليشاركوا في تحمل عبء مسؤوليات المجتمع الجديد وحل

مشكلاته ومراقبة مستويات الخدمة واتخاذ القرارات المؤثرة على مساره، على أن تتم هذه المشاركة من خلال صياغة صورة للإدارة الذاتية للمحافظة، ويمكن أن تتخذ شكل الهيئات التنموية بحيث تضم كل الأطراف المستفيدة والمعنية بالتنمية على أرض المحافظة المقترحة مع تحقيق نوعاً من التوازن النسبي لقوة الأطراف المشاركة والاتفاق على تحقيق المصلحة المجتمعية.

٥ - أهمية توجيه الاستثمارات في المراحل الأولى لتعمير المحافظة المقترحة إلى القطاع الصناعي والأنشطة الإنتاجية بصفة عامة أولاً من أجل توفير فرص العمل وجذب العمالة والسكان، على أن يتبع ذلك أو يصاحبه توجيه الاستثمارات إلى قطاع الخدمات لدعم استقرار السكان.

٦ - أهمية مشاركة القطاع الخاص في إدارة التنمية بالمحافظة المقترحة من أجل تقليل الاعتماد على الحكومة المركزية كمصدر أساسي للتمويل مع التأكيد على ضرورة وجود دور الدولة الرقابي على إدارة القطاع الخاص ومدى تحقيقه لأهداف التنمية بالمحافظة المقترحة، ولن يحدث ذلك إلا من خلال فتح آفاق الاستثمار وفق أنظمة السوق وآلياته ومنها نظام "BOT" الذي يتيح للشركات الاستثمار في مجالات مختلفة تطرحها الحكومات للقطاع الخاص لتوفير الخدمات والمرافق وفق عقود امتياز لأجل محددة، وذلك لإشباع حاجة عامة ثم تنتقل الشركة ملكية المرافق أو المشروع إلى الدولة أو الجهة المتعاقدة في حالة جيدة قابلة للاستمرار بعد نهاية المدة.

٧ - أهمية تحرير إدارة المحافظة المقترحة من المركزية والبيروقراطية المفروضة على البيئات الصحراوية عامة، ومراجعة السلوك الإداري للأجهزة المنوط بها

تعميرها وتوحيد جهودها تحت إدارة واحدة للتنمية العمرانية تتمتع بكافة الصلاحيات في وضع مخططات التنمية وتنفيذها بعيداً عن تغير الجهات السياسية وما يصاحبها من تغيرات للأجهزة الإدارية والتنفيذية بالمحافظات المختلفة.

الذي لا ريب فيه، أن أسلوب التحليل الرباعي لنقاط القوة الجغرافية والضعف لمحافظة العلمين المقترحة، يظهر أهمية إنشاء تلك المحافظة وتمتعها بنقاط قوة متنوعة، كما أن نقاط الضعف يمكن السيطرة على معظمها والتقليل من تأثيرها وكذلك مواجهة التهديدات والتحديات المتوقعة. وبصفة عامة فقد أوضحت الدراسة أن الإدارة إن لم تكن على المستوى المطلوب لإدارة هذه المحافظة الجديدة سوف يصبح هذا العنصر (الإدارة) موطن الضعف الرئيسي ومكمن التهديد الحقيقي لإنجاح التنمية بالمحافظة المقترحة.

المراجع:

- ١ - اتحاد بلديات صور (٢٠١٠): نحو تخطيط إستراتيجي، التحديات والمقومات والتوجهات المستقبلية - سبع بلديات في قضاء صور - لبنان.
- ٢ - أشرف محمد عاشور (٢٠٠٤) : جغرافية العمران في مركز الحمام، دراسة تحليلية لإمكانات التنمية العمرانية ومشكلاتها، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية.
- ٣ - الهيئة العامة للتخطيط العمراني (٢٠١٣) : إعادة ترسيم حدود مصر إلى أقاليم تنموية، تفعيل توجهات المخطط الإستراتيجي القومي للتنمية العمرانية، وزارة الإسكان والمرافق والمجتمعات العمرانية - القاهرة.
- ٤ - شبكة المعلومات الدولية، المواقع الرسمية لصحف الأهرام، أخبار اليوم، اليوم السابع، الوطن - أعداد مختلفة للفترة من ٢٠١٢ إلى ٢٠١٤.
- ٥ - محمد محمود الأنسي (١٩٨٤) : حي العامرية - دراسة في جغرافية العمران، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية.
- ٦ - مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمحافظة مطروح، الدليل الإحصائي، بيانات غير منشورة، مرسي مطروح.
- 7 - Lawrence G. Fine (2009): The SWOT Analysis, Using your Strength to Overcome Weaknesses Using Opportunities to Overcome Threats, Kick Lt, LLC, Charleston, South Carolina.
- 8 - Kathy Mcguire (2014): SWOT Analysis 34 Success Secrets : 34 Most Asked Questions on SWOT Analysis – What You Need to Know, <http://www.amazon.com>

أحكام الإمامة بالتغلب في الفقه الإسلامي

د. إسلام عبد العزيز عبد الفتاح الشافعي

المدرس بقسم الشريعة الإسلامية

بكلية دار العلوم - جامعة الفيوم

يناير ٢٠١٥

(أ) :

التعريف بمصطلحي الإمامة والتغلبفي اللغة والاصطلاحأولاً : تعريف الإمامة :

الإمامة في اللغة : تقع على معنيين :

الأول : التقدّم ، تقول : أمّمهم وأمّ بهم أي : تقدّمهم^١ .الثاني : القصد ، تقول : أمّه وأمّمه وتأمّمه إذا قصده^٢ .

والإمام : كلّ ما ائتم به من رئيس أو غيره ، فيقال عن فلان : إنّه إمام

القوم ، ويقال للدليل : إمام السفر ، ويقال للحادي : إمام الإبل ، أي :

المتقدّم عليهم ، والموجّه لهم^٣ ، والإمام : المثال ، تقول : اجعله إمامك ،

^١ - انظر : (تاج العروس من جواهر القاموس) لأبي الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي/ تحقيق : مجموعة من المحققين/ جزء ٣١/ ص ٢٤٣/ مادة : أمم/ طبعة دار الهداية .

^٢ - انظر : (تاج اللغة وصحاح العربية) لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)/ تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار/ جزء ٥/ صفحة ١٨٦٥/ طبعة دار العلم للملايين (بيروت)/ الطبعة الرابعة (١٩٩٠م) .

^٣ - قال ابن منظور - رحمه الله - : " الإمام كلّ ما ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين ، والجمع أئمة ، وإمام كلّ شيء قيمه والمصلح له ، والقرآن إمام المسلمين ، ومحمد رسول الله - ﷺ - إمام الأئمة ، والخليفة إمام الرعية ، وأممت القوم في الصلاة إمامة ، وائتم به : اقتدى به " . [انظر : (لسان العرب) لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بت علي بن منظور الأنصاري الرويفعي الأفرريقي (٧١١هـ)/ جزء ١٢/ صفحة ٢٢/ مادة : أمم/ ط دار صادر (بيروت)/ الطبعة الثالثة (١٤١٤هـ)] .

أي : مثلاً تقتدي به ، والإمام : الخيط الذي يمد على البناء فيبنى عليه ،
ويسوى عليه ساف البناء^٤ ، والإمام : الطريق الواسع ، ومنه قوله تعالى :
﴿ ... وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ (٧٩) ﴾ (الحجر) ، أي : بطريق يُؤمُّ ، أي :
يقصد فيتميز^٥ .

في الاصطلاح :

قال الماوردي - رحمه الله - : " الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في
حراسة الدين وسياسة الدنيا به "^٦ .

وقال النسفي - رحمه الله - : " نيابة عن الرسول عليه السلام في إقامة
الدين ، بحيث يجب على كافة الأمم الاتباع "^٧ .

قال ابن خلدون - رحمه الله - : " هي حَمْلُ الكافة - أي : العامة -
على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الرَّاجعة
إليها ، إذ أحوال الدنيا ترجع كُلُّها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة
، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة
الدنيا به "^٨ .

^٤ - انظر : (لسان العرب) ج ١٢ / ص ٢٢ / مادة : أمم .

^٥ - انظر : (تاج العروس) ج ٣١ / ص ٢٤٤ / مادة : أمم .

^٦ - انظر : (الأحكام السلطانية) لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي/
تحقيق : أحمد مبارك البغدادي / ص ١٥ / ط دار ابن قتيبة (الكويت) / الطبعة
الأولى (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م) .

^٧ - انظر : (العقائد النسفية) لعمر بن محمد النسفي / ص ٩ / ط شركة صحافة
عثمانية/ سنة : (١٣٢٦ هـ) .

^٨ - انظر : (المقدمة للعلامة ابن خلدون) لعبد الرحمن بن خلدون المغربي / ج ١ /

وقال محمد نجيب المطيعي - رحمه الله - : " المراد بها - أي : الإمامة - الرئاسة العامة في شؤون الدنيا والدين " ^٩ .

وَيُعَدُّ ما ذكره ابن خلدون من تعريف للإمامة أفضل هذه التعريفات ؛ إذ إنَّه ينطبق عليه كونه جامعًا مانعًا ، فقلوه : (حمل الكافة) : قيد خَرَجَتْ به ولايات الأمراء والقضاة وغيرهم ؛ إذ إنَّ لكلٍ منهم حدوده الخاصَّة به ، وصلاحياته المقيدة .

وقوله : (على مقتضى النظر الشرعي) : قيد لسلطته ، فالإمام يجب أن تكون سلطاته مقيدة بموافقة الشريعة الإسلامية .

وقوله : (في مصالحهم الأخروية والدينية) : تبين لشمول الإمام لمصالح الدين والدنيا ، لا الاقتصار على طَرَفٍ دون الآخر .

وقوله : (حراسة الدين وسياسة الدنيا به) : قيد يوجب سياسة الدنيا بالدين ، لا بالأهواء والشهوات والمصالح الفردية ، وهذا القيد يخرج به المُلْك .

هذا وقد ذهب أهل العلم إلى ترادف لفظتي الإمامة والخلافة ، بحيث تؤديان معنى واحدًا .

قال النووي - رحمه الله - : " يجوز أن يقال للإمام : الخليفة ، والإمام ، وأمير المؤمنين " ^{١٠} .

ص ١٩١ / ط دار التراث العربي (بيروت) // الطبعة الرابعة .

^٩ - انظر : (تكملة المجموع) لمحمد نجيب المطيعي/ ج ٥ / ص ٥١٢ / ط مكتبة الإرشاد (جدة) .

^{١٠} - انظر : (روضة الطالبين وعمدة المفتين) لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) // تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد معوض /

وقال ابن خلدون - رحمه الله - : " ، وأتته نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وإمامة ، والقائم به خليفة وإمام " ١١ .

ثانياً : تعريف التغلب :

التغلب في اللغة : من غَلَبَ أي : قَهَرَ واستولى وأجبر وأكره وقسر وقهر عنوة ، يقال : غَلَبَ فلانٌ فلاناً على الشيء ، إذا أخذه منه كَرْهاً ١٢ .
ويقال للرجل إذا كان كثير أو شديد الغلبة : غُلْبَةً ، وغُلْبَةً ، وإذا غَلَبَ على فلانٍ صفةً كالكرم أو البخل نقول : غَلَبَ عليه الكرمُ أو البُخْلُ أي : كانت أكثر صفاته الكرم أو البخل أو غير ذلك من الصفات التي غَلَبَتْ عليه ، ويقال - أيضاً - : غَلَبَتْ عليه الحُمْرَةُ أو الصُّفْرَةُ أي : إنَّ الحمرَةَ أو الصفرة أوضحت ما فيه من لونٍ ١٣ .
وإذا استغلب على فلانٍ شيءٌ : اشتدَّ ، كقولك : استغلب عليه الضَّحِكُ أو البكاء ١٤ .

واسم الفاعل من غَلَبَ : غَالِبٌ ، وجمعه غَالِبَةٌ ، واسم المفعول منه :

ج ٧/ ص ٢٦٩/ ط دار الكتب العلمية .

١١ - انظر : (مقدمة ابن خلدون) ١/١٩١ .

١٢ - انظر : (الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة) لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك بن مالك الجبائي الطائي (١٤١١هـ) / تحقيق : محمد حسن عواد/ ط دار الحيل (بيروت) / الطبعة الأولى .

١٣ - انظر : (لسان العرب) ج ١/ ص ٦٥١/ مادة : غلب .

١٤ - انظر : (المعجم الوسيط) لإبراهيم مصطفى وآخرون/ تحقيق : مجمع اللغة العربية/ ج ٢/ ص ٦٥٨/ مادة : غلب/ ط دار الدعوة .

مغلوب ، قال تعالى : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ (١٠) ﴾
(القمر) ١٥ .

والمغْلَب : هو المغلوب مرارًا ، تقول : شاعر مَغْلَبٌ أي : يُغْلَبُ كثيرًا ،
وقد تعني الذي يحكم له بالغبية ، وذلك إذا غُلِبَ على غيره ، قال امرؤ
القيس :

وَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبْكَ إِلَّا مُغْلَبٌ ١٦

وحديقة غلباء إذا كانت ملتفة على بعضها بعضًا ؛ لكثرة عشبها وشجرها
، وجمعها غُلْب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) ﴾ (عبس) ١٧ .

ويقال : على الأغلب ، وفي الأغلب ، أي : على الأكثر ، وفي الأكثر ،
والأغلبية : الكثرة ١٨ .

والتغليب في اللغة : إيثار أحد اللفظين على الآخر في الأحكام العربية إذا
كان بين مدلوليهما علاقة أو اختلاط ، كما في الأبوين : الأب والأم ،
والمشركين : المشرك والمغرب ، والعُمَريين : أبي بكرٍ وعمر ١٩ .

١٥ - انظر : المرجع السابق .

١٦ - انظر : (لسان العرب) ج ١ / ص ٦٥١ / مادة : غلب .

١٧ - انظر : المرجع السابق .

١٨ - انظر : (المعجم الوسيط) ج ٢ / ص ٦٥٨ / مادة : غلب .

١٩ - انظر : (الكليات) لأبي النقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي/ تحقيق :
عدنان درويش ، ومحمد المصري/ ص ٤٢٨ / ط مؤسسة الرسالة (بيروت) /
سنة : (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) .

في الاصطلاح :

قال الجويني - رحمه الله - في تعريفه للمتغلب - : " من يستبد بالاستيلاء من غير نصبٍ ممن يصحُّ نصبه " ٢٠ ، وقال - أيضًا - : " من استظهر - أي : استعان - بالعدَدِ والعدَدِ ، ودعا الناس إلى الطاعة " ٢١ .

وقال النووي - رحمه الله - : " مَنْ تصدَّى للإمامة ... من غير استخلافٍ ولا بيعة ، وقَهَرَ النَّاسَ بشوكته وجنوده " ٢٢ .
وقال القلقشندي - رحمه الله - : " هو من تصدَّى للإمامة ... من غير عهدٍ إليه من الخليفة المتقدِّم ، ولا بيعة من أهل الحلِّ والعقد " ٢٣ ٢٤ .

٢٠ - انظر : (غياث الأمم في التياث الظلم) لأبي المعالي الجويني (ت ٤٧٨هـ) / تحقيق ودراسة : أ.د. مصطفى حلمي ، ود : فؤاد عبد المنعم / ص ٢٣٦ / ط دار الدعوة (الإسكندرية) / سنة : (١٤٠٤هـ) .

٢١ - انظر : المرجع السابق .

٢٢ - انظر : (روضة الطالبين) ٧ / ٢٦٦ .

٢٣ - إنَّه عند النظر في نصوص الكتاب والسنة لا نجد نصًّا صريحًا في تعيين الطريقة التي تثبت بها الإمامة للحاكم ، وليس ثمة إلا النصوص العامة المتعلقة بالولاية والتولية ، سواء أكانت صغرى أم كبرى ، ذلك كالحثِّ على الشورى في قوله تعالى : ﴿ وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ... ﴾ (٣٨) (الشورى) ، ولكن إذا تحرَّينا الطرق التي انعقدت بها الإمامة للخلفاء الرَّاشدين - أبو بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - وقد أُمِرْنَا باتِّباع نهجهم في قوله - ﷺ - : " ... فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ... " ، سنقف على طريقتين لانعقاد الإمامة :

الأول : الاختيار : وله صورتان :

الأولى : أن يكون الاختيار من قبل أهل الحل والعقد - هم فئة من الناس على درجة عالية من الدين والخلق والدراية بأحوال الناس وشؤونهم ، ويسمون بأهل الاختيار ، وأهل الشورى ، وأهل الرأي ، وقد اشترط الفقهاء فيهم : الإسلام ، والعقل ، والذكورة ، والحرية ، والعدالة ، والحكمة - ، وهذه الصورة في اختيار الإمام حدثت من الصحابة بعد وفاة رسول الله - ﷺ - ، حيث اختاروا أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - وبايعوه بالخلافة في سقيفة بني ساعدة .

الثانية : أن يكون الاختيار من قبل الناس كافة بما فيهم أهل الحلّ والعقد ، وهذه الصورة في اختيار الإمام حدثت في مبايعة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بالخلافة ؛ حيث تمت مبايعته بمسجد النبي - ﷺ - من قبل أهل المدينة كافة سواء من يُعَدُّ منهم من أهل الحلّ والعقد أو من غيرهم .

الثاني : الاستخلاف : وله صورتان :

الأولى : أن يقوم الإمام الشرعي باستخلاف أو تولية العهد لرجل يختاره لولاية المسلمين من بعده ، فتصبح طاعته واجبة ، وذلك كما عهد أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - بالخلافة بعده إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، فأطاعه الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - .

الثانية : أن يقوم الإمام الشرعي باستخلاف جماعة يختارون واحداً منهم لإمامة المسلمين بعد وفاته ، وذلك ما حدث من عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، إذ اختار عند موته سبعة من الصحابة - هم عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، وعبد الرحمن بن عوف - ، بحيث يختارون - بعد وفاته - واحداً يلي أمر المسلمين ، وقد انتهى الأمر إلى تولية الصحابي الجليل عثمان بن عفان - رضي الله عنه - .

[انظر : (البداية والنهاية) لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ) // ط مكتبة المعارف (بيروت) // الطبعة الثالثة (١٩٧٩م) ، (تاريخ الخلفاء) لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١هـ) // تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد/ ط المكتبة التجارية الكبرى بمصر/ الطبعة

الأولى (١٣٧١هـ) ، (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) // تصحيح وتعليق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز/ أشرف على طبعه : محب الدين الخطيب/ رَقَم أبوابه وأحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي/ ط المكتبة السلفية [.

قال الماوردي - رحمه الله - : " إِنَّ الإمامة تتعقد من وجهين : أحدهما : باختيار أهل العقد والحل ، والثاني : بعهد الإمام من قبل ، والشروط المعتمدة في أهل الاختيار ثلاثة شروط : أحدها : العدالة ، والثاني : العلم الذي يتوصل به إلى معرفة من هو للإمامة أصلح ... ، إذا اجتمع أهل العقد والحل للاختيار ، وتصفحوا أحوال أهل الإمامة الموجودة فيهم شروطها ، فقدموا للبيعة منهم أكثرهم فضلا وأكملهم شروطاً ، ومن يسرع النَّاس إلى طاعته ، ولا يتوقفون عن بيعته ، فإذا تَعَيَّن لهم من بين الجماعة من أَدَّاهم الاجتهاد إلى اختياره عرضوها عليه ، فإنَّ أجاب إليها بايعوه عليها ، وانعقدت ببيعتهم له الإمامة ، فلزم كافة الأمة الدخول في بيعته والانقياد لطاعته ، وإن امتنع من الإمامة ، ولم يجب إليها لم يجبر عليها ؛ لأنَّها عقد مرضاة واختيار لا يدخله إكراه ولا إجبار وعدل عنه إلى من سواه من مستحقيها ، وتتم بيعة أهل العقد والحل : بالحضور والمباشرة بصفقة اليد ، وإشهاد النائب منهم ، وكفي العامي اعتقاد أنَّه تحت أمره ، فإنَّ أضرَم خلاف ذلك فَسُق ، ودخل تحت قوله - ﷺ - : (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) ، وأما انعقاد الإمامة بعهد من قبله فهو مما انعقد الإجماع على جوازه ووقع الاتفاق على صحته لأمرين عمل المسلمون بهما ولم يتناكروهما ، أحدهما : أن أبا بكر رضي الله عنه عهد بها إلى عمر - رضي الله عنه - فأثبت المسلمون إمامته بعهد ، والثاني : أن عمر رضي الله عنه عهد بها إلى أهل الشورى فقبلت الجماعة دخولهم فيها وهم أعيان العصر اعتقاداً لصحة العهد بها وخرج باقي الصحابة منها ، وقال علي للعباس رضوان الله عليهما حين عاتبه على الدخول في الشورى كان أمراً عظيماً من أمور الإسلام لم أر لنفسي الخروج منه فصار العهد بها إجماعاً في انعقاد الإمامة ، فإذا أراد الإمام أن يعهد بها فعليه أن يجهد رأيه في الأحق بها والأقوم بشروطها ، فإذا

تعين له الاجتهاد في واحد نظر فيه ، فإن لم يكن ولدا ولا والدا جاز أن ينفرد بعقد البيعة له وبتقويض العهد إليه ، وإن لم يستشر فيه أحدا من أهل الاختيار ، لكن اختلفوا هل يكون ظهور الرضا منهم شرطا في انعقاد بيعته أو لا ؟ فذهب بعض علماء أهل البصرة إلى أن رضا أهل الاختيار لبيعته شرط في لزومها للأمة ؛ لأنها حق يتعلق بهم فلم تلزمهم إلا برضا أهل الاختيار منهم ، والصحيح أن بيعته منعقدة وأن الرضا بها غير معتبر ؛ لأن بيعة عمر رضي الله عنه لم تتوقف على رضا الصحابة ؛ ولأن الإمام أحق بها فكان اختياره فيها أمضى ، وقوله فيها أنفذ ... " . [انظر : (الأحكام السلطانية) ص ٦] .

غير أن الطريقتين السابقتين ليستا الطرق الوحيدة لانعقاد الإمامة ، بل كل طريقة مباحة ارتضاها الناس ، وحصلت بها الشوكة والمنعة ، وتحققت بها مقاصد الإمامة فهي طريقة صحيحة ومباحة ، ولو لم تكن كالطرق الشرعية التي حصلت في عهد الصحابة ، ويُستدل لذلك بما يلي :

١- أن المقصود من الإمامة في الإسلام هو تحقيق المقاصد الشرعية - حفظ الدين ، وحفظ النفس ، وحفظ النسل ، وحفظ المال ، وحفظ العقل - ، والطريق الموصول إلى ذلك وسيلة وليس بغاية ، فالأصل فيها الإباحة والعفو ما لم يدل الدليل على تحريمه ، فأبى طريق تحققت به هذه الغاية فهو طريق شرعي مباح .

٢- أن طرق التولية في عصر الخلفاء الراشدين قد اختلفت من خليفة لآخر ، ولم ينكر أحد من الصحابة أي طريقة من هذه الطرق ، مع أن كل طريقة جاءت مخالفة للتي قبلها ، فكان هذا إجماعاً سكوتياً على إباحة هذه الطرق ، مما يدل على أن الأصل في طرق انعقاد الإمامة الإباحة والحل .

٣- أن طريق اختيار الحاكم مما يختلف بحسب الزمان والمكان ، ويتأثر وضعه بحال المجتمع والظروف الطارئة عليه ، والقول بأن الأصل في الطرق الموصلة للحكم هو الإباحة هو الأيسر للمسلمين ، ليختاروا أنفع السبل المحققة لمقاصد الإمامة ورضا الناس بما يناسب عصرهم .

وبناءً عليه : يُعدُّ ترشُّحُ عددٍ من المؤهلين للإمامة ، ثمَّ الرجوع إلى الناس

وقال العارف خليل أبو عيد : " التغلب يحصل إذا تولى الحكم غاصب متسلط ، وفرض نفسه على الناس قسراً وقهراً دون اختيارٍ منهم " ٢٥ .

وقال عليّ بن فهيد السّرياتي : " التغلب هو الاستيلاء على منصب الإمامة بالقوة المسلحة ، حيث يستولي من تهيأت له أسباب القوّة والمنعة على مقاليد الأمور ، ويفرض نفسه بذلك رئيساً أعلى على الناس ، ويعرف هذا المسلك في العصر الحديث بالانقلاب العسكري " ٢٦ .

وقال محمد رأفت عثمان : " إنَّ التغلب يقع عندما يثب من توافرت لهم أسباب القوة والغلبة على هذا المنصب ، ويفرضون أنفسهم على الناس قسراً وقهراً كما يحدث بما نسميه في عصرنا بالانقلابات العسكرية والثورات المسلحة " ٢٧ .

(ب) :

لاختيار أحدهم حاكماً عليهم - كما هو الحال في الانتخابات الرئاسية المعاصرة - طريقاً شرعياً مباحاً للوصول إلى الحكم .

٢٤ - انظر : (مآثر الإنافة في معالم الخلافة) لأحمد بن عبد الله القلقشندي/ تحقيق :

عبد الستار أحمد فرّاج/ ط عالم الكتب (بيروت) // ج ١ / ص ٥٨ .

٢٥ - انظر : (نظام الحكم في الإسلام) لعارف خليل أبو عيد/ ط دار النفائس (عمان) // الطبعة الأولى (١٩٩٦م) .

٢٦ - انظر : (تولية الإمام بين النظرية والتطبيق عبر تاريخ الإسلام السياسي) لعلي بن فهيد الدغيمان السّرياتي/ ط مطبوعات جامعة محمد بن سعود الإسلامية/ ج ١ / ص ٣٨١ .

٢٧ - انظر : (رئاسة الدولة في الفقه الإسلامي) لمحمد رأفت عثمان/ ط دار الكتاب الجامعي (القاهرة) // ص ٢٩٢ .

حكم الخروج على الحاكم العادل بقصد الاستيلاء على السلطة

" حكم التغلب "

لا يجوز الخروج على الحاكم بغير وجه حقّ ، فإذا خرج خارج على الحاكم ، وأراد أن يَتَغَلَّبَ أو يستولي على الحكم بغير ضرورة ملجئة أو حاجة ملحةٍ عُدَّ فاسقًا وظالمًا وباغيًا ومتجاوزًا لحدوده ، وتجب مقاومته ومدافعته بل ومقاتلته لظلمه وعدوانه ، ويستدلُّ لذلك بما يلي :

١- ما ثبت عن عرفة بن ضريح الأشجعي قال : قال رسول الله - ﷺ - :
 - : " مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَأَرَادَ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ ،
 أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ فَأَقْتُلُوهُ " ٢٨ .

٢- ما ثبت أن رسول الله - ﷺ - قال : " يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها " ٢٩ .

٣- عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : دخلت على النبي - ﷺ - أنا ورجلان من بني عمي ، فقال أحد الرجلين : يا رسول الله أمّرنا على بعض ما ولّك الله - عزَّ وجلَّ - ، وقال الآخر مثل ذلك ، فقال : " إنا والله لا نولي على هذا العمل أحدًا سألناه ، ولا أحدًا حرص

٢٨ - رواه مسلم في صحيحه/ كتاب : الإمارة/ باب : حكم من فرّق أمر المسلمين وهو مجتمع/ رقم : ٤٩٠٤ / ج ٦ / ص ٢٣ .

٢٩ - رواه البخاري في صحيحه/ كتاب : الأحكام/ باب : من سأل الإمارة وكل إليها/ رقم : ٦٧٢٨ / ج ٦ / ص ٢٦١٣ .

عليه ^{٣٠} . وجه الدلالة من الحديثين السابقين : أنهما يدلان على أنه ليس لأحد أن يسأل الإمارة ، وإن سألها فلا يجوز لمن له الحق في إجابته أن يجيبه لما سأل ، ولا شك أن القتال وإرادة الاستيلاء والتغلب عليها أشد من مجرد سؤالها ، فيأثم بذلك ، وتجب مدافعتة وعدم إعانتة فيما يريده .

٤- عن عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - قال : رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين اليوم فقال : يا أمير المؤمنين هل لك في فلان ؟ يقول : لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت ، فغضب عمر ، ثم قال : " إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمورهم " ^{٣١} .

وجه الدلالة من الأثر : أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - جعل قيام واحد من الناس أو قلة لا تمثل رأي الأمة باختيار ولي الأمر غصبا لأمرها ، وحذر من ذلك ، فكيف بمن يقاتل عليها ، ويقهر الناس ، أو يستخدم ما لديه من قوة مفرطة لإخافتهم ، وجعلهم يذعنون لولايته كرها ؟

٥- ما رواه ابن القاسم عن مالك قال : " إذا خرج على الإمام العدل خارج وجب الدفع عنه ، مثل عمر بن عبد العزيز " ^{٣٢} .

^{٣٠} - رواه مسلم في صحيحه/ كتاب : الإمارة/ باب : النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها/ رقم : ٤٨٢١/ ج ٦/ ص ٦ .

^{٣١} - رواه البخاري في صحيحه/ كتاب : المحاربين من أهل الكفر والردة/ باب : رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت/ رقم : ٦٤٤٢/ ج ٦/ ص ٢٥٠٣ .

^{٣٢} - انظر : (شرح منح الجليل على مختصر العلامة خليل - وبهامشه : حاشية تسهيل منح الجليل) لشمس الدين محمد عليش المالكي/ ج ٤/ ص ٤٥٦/ ط

٦- قال يحيى بن يحيى - من أصحاب مالك - حين سُئِلَ : البيعة مكروهة؟ ، قال : لا ، قيل له : وإن كانوا أئمة جورٍ ؟ ، فقال : قد بايع ابن عمر لعبد الملك بن مروان ، وبالسيف أخذ الملك ، أخبرني بذلك مالك... ٣٣ .

وجه الاستشهاد : أن مالك عدَّ عبد الملك بن مروان ظالمًا جائرًا - وهو مما يقتضي تأثيمه وتفسيقه - بسبب خروجه على عبد الله بن الزبير ، واستيلائه وتغلبه على الحكم بالقوة .

قال أبو المعالي الجويني - رحمه الله - : " فإنَّ الذي ينتهز لهذا الشأن لو بادره من غير بيعةٍ وحاجةٍ حافزةٍ ، وضرورةٍ مستقرّةٍ ، أشعر ذلك باجترائه ، وغلوه في استيلائه ، وتشوفه إلى استعلائه ، وذلك يسمه بابتغاء العلو في الأرض بالفساد ، ولا يجوز عقد الإمامة لفاسق - أي : حال الاختيار لا الاضطرار - ، وإن كانت ثورته لحاجة ثمَّ زالت وحالت ، فاستمسك بعدته محاولاً حمل أهل الحلِّ والعقد على بيعته ، فهو - أيضاً - من المطاولة والمصاولة ، وحمل أهل الاختيار على العقد له بحكم الاضطرار ، وهذا ظلمٌ وغشمٌ يقتضي التيسيق " ٣٤ .

وقال النووي - رحمه الله - : " أمَّا الطريق الثالث فهو القهر والاستيلاء ،

دار صادر .

٣٣ - انظر : (الاعتصام) لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي (٧٩٠هـ) / تحقيق : سليم عيد الهلالي / ج ٢ / ص ٦٢٦ / ط دار ابن عفان (السعودية) / الطبعة الأولى : (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) .

٣٤ - انظر : (غياث الأمم) ص ٢٣٨ .

فإذا مات الإمام فتصدى للإمامة من جمع شرائطها من غير استخلافٍ ولا بيعةٍ ، وقهر الناس بشوكته وجنوده ، انعقدت خلافته ؛ لينتظم شمل المسلمين ، فإن لم يكن جامعاً للشرائط ، بأن كان فاسقاً أو جاهلاً ، فوجهان أصحهما انعقادها لما ذكرناه ، وإن كان عاصياً بفعله" ٣٥ .

وقال ابن حجر الهيتمي - رحمه الله - : " المتغلب فاسق معاقب ولا يستحق أن يبشّر ، ولا يؤمر بالإحسان فيما تغلب عليه ، بل إنما يستحق الزجر والمقت ، والإعلام بقبيح أفعاله وفساد أحواله " ٣٦ .

إلا أنه في واقع الأمر : لا يعد المتغلب عاصياً بالاستيلاء على السلطة إذا كانت هناك ضرورة ملحة أو حاجة مستعزة ، وهذا متصورٌ في حالتين :

الأولى : إذا مات الإمام السابق أو أُسِرَ ، وصار منصب الإمامة شاغراً ، وكانت هناك ضرورة ملحة أو حاجة مستعزة من تربيص أعداء ، وبوادر فوضى ... وغير ذلك ، وقد تقاعس أهل الاختيار في اختيار من هو صالح للإمامة ، فطالت الفترة ، وتمادت العسرة ، وظهرت دواعي الخلل ، فقام من هو أهل للإمامة بالاستيلاء على السلطة ، فنصب نفسه إماماً ، محاولاً ضم النشر ، ورد ما ظهر من دواعي الخلل ، فإنه لا يحمل فعل

٣٥ - انظر : (روضة الطالبين) ٢٦٦/٧ .

٣٦ - انظر : (الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة) لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي/ تحقيق : عبد الرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمد الخراط/ ج ٢ / ص ٦٢٧ / ط مؤسسة الرسالة (بيروت) / الطبعة الأولى : (١٩٩٧م) .

المتغلب - في هذه الحالة - على الفسوق والعصيان والمروق ، بل يُحْمَدُ على ذلك^{٣٧} .

الثانية : إذا ثار على الإمام الشرعي قِطَاعٌ عريضٌ من الأمة بسبب سوء تصرفه في إدارة البلاد ، وقد أَصْرُوا على خلعه بعد بيان عدم جواز فعلهم ، وسوء عاقبته ، وفي الوقت ذاته أَصْرَ الحاكم على عدم خلع نفسه ، فانقسمت الأمة إلى طائفتين كبيرتين ما بين مؤيدٍ ومعارضٍ ، وغَلَبَ على الظنِّ صِدَامٌ عظيمٌ بين الطائفتين ، بما يسمَّى في الفقه السياسي بالحرب الأهلية ، فقام من هو صالحٌ للإمامة ، متصفٌ بالقدرة والقبول عند غالبية الناس ، بخلع الحاكم ، وتنصيب نفسه إمامًا ، فإنَّه لا يحمل فعل المتغلب - في هذه الحالة - أيضًا - على الفسوق والعصيان والمروق .

(ج) :

شروط قبول إمامة المتغلب :

اتفق الفقهاء على قبول إمامة المتغلب إذا اتصف بثلاثة أمور :

أولاً : أن يكون المتغلب مسلماً :

اتفق الفقهاء على اشتراط الإسلام لتولي منصب الإمامة ، ويستدلُّ لذلك

بالكتاب والسنة والإجماع والعقل :

أولاً : من الكتاب :

١- قال تعالى : ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (١٤١) ﴾

﴿ (النساء) .

^{٣٧} - انظر : (غياث الأمم) ص ٢٣٦ .

وجه الدلالة من الآية : أَنَّ الله - سبحانه وتعالى - أَمَرَ - بصيغة الخبر - بالألّا نجعل الكفار يتسلطون على المسلمين في الدنيا ، والإمامة أو الولاية هي أعظم سبيل وأقوى تسليط على المحكوم ، فَلَزِمَ عدم تمكينهم منها^{٣٨} .

٢- قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ... (٥٩) ﴾ (النساء) .

وجه الدلالة من الآية : أَنَّ الخطاب والنداء للمؤمنين ، وقد قُيِّدَ لفظ " أولي الأمر " بقوله : " منكم " ، مما يدلُّ على أَنَّ ولي أمر المسلمين الذي تجب طاعته هو من كان من المؤمنين ، لا من غيرهم^{٣٩} .

٣- قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ... (٥١) ﴾ (المائدة)

وقال ابن القيم - رحمه الله - : " ولما كانت التولية شقيقة الولاية كانت الولاية نوعاً من توليتهم ، وقد حكم تعالى بأن من تولاهم فإنه منهم ، ولا يتم الإيمان إلا بالبراءة منهم ، والولاية تنافي البراءة ، فلا تجتمع البراءة والولاية أبداً ، والولاية إعزاز فلا تجتمع هي وإذلال الكفر أبداً ، والولاية

^{٣٨} - انظر : (تفسير القرآن العظيم) لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ)/ تحقيق : محمود حسن/ ج ١/ ص ٧٠٠/ ط دار الفكر/ الطبعة الثانية : (١٤١٤هـ - ١٩٩٤) .

^{٣٩} - انظر : (الإمامة العظمى عند أهل السنة) لعبد الله بن عمر بن سليمان الدَّمِيجِي/ ص ٢٣٥/ ط دار طيبة .

وصلة ، فلا تجامع معادة الكافر أبداً "٤٠ .

ثانياً : من السنة :

١- عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : خرج رسول الله - ﷺ - قبل بدر فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح أصحاب رسول الله - ﷺ - حين رأوه فلما أدركه قال لرسول الله - ﷺ - جئت لأتبعك وأصيب معك قال له رسول الله - ﷺ - : " **تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؟** " ، قال : لا ، قال : " **فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ** "٤١ .

وجه الدلالة من الحديث : أن النبي - ﷺ - امتنع من الاستعانة بالكافر في بعض الأمور ، فكيف يستعان به في تولية أمر المسلمين وتدبير شؤونهم .

ثالثاً : من الإجماع :

نَقَلَ غير واحدٍ من أهل العلم الإجماع على عدم جواز انعقاد الإمامة للكافر ابتداءً ، قال عياض - رحمه الله - : " أجمع العلماء على أن الإمامة لا تتعدد لكافرٍ ، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل "٤٢ .

٤٠ - انظر : (أحكام القرآن) لأبي بكر أحمد بن علي الرّازي الجصاص/ تحقيق : محمد الصادق قمحاوي/ ج ٣/ ص ٢٨٠/ ط دار التراث العربي (بيروت)/ سنة: (١٤٠٥هـ) .

٤١ - رواه مسلم في صحيحه/ كتاب : الجهاد والسير/ باب : كراهة الاستعانة في الغزو بكافر/ رقم : ٤٨٠٣/ ج ٥/ ص ٢٠٠ .

٤٢ - انظر : (شرح النووي على مسلم) ١٢/ ٢٢٩ .

رابعًا : من العقل :

إنَّ الخلافة منصب ديني أساسه إقامة الدين ، وسياسة الدنيا بالدين ، وهذا يتنافى مع الكفر ، فلا يستقيم أن يلي الكافر إمامة المسلمين ، كما أن الله - سبحانه وتعالى - أمرَ بإصغار أهل الكتاب بأخذ الجزية منهم ، وقتل من لم يكن من أهل الكتاب حتى يسلموا - وذلك في حال القدرة والتمكين - ، ولا يستقيم ذلك مع توليتهم إمامة المسلمين ؛ وذلك لما فيه من تسييدهم وإعلاء شأنهم فوق المسلمين^{٤٣} .

وبناءً عليه : لا يصحُّ انعقاد الإمامة للكافر المتغلب ، ولا يصحُّ ما ترتب على استيلائه على الحكم من تصرفات .

هذا وقد شدَّ الإمامان العزُّ بن عبد السَّلام وشهاب الدِّين الرملي - رحمهما الله - فذهبا - في ظاهر رأيهما - إلى جواز عقد الإمامة للكافر المتغلب ، قال العزُّ بن عبد السلام - رحمه الله - : " ولو استولى الكفار على إقليم فولَّوا القضاء رجلاً مسلماً ، فالذي يظهر انعقاده "٤٤" ، فإنَّ هذا الكلام يوهم بانعقاد إمامة المتغلب الكافر ، وصحة ما يترتب على ذلك من تصرفات .

^{٤٣} - انظر : (منهاج الإسلام في الحكم) لمحمد أسد/ ترجمة : منصور محمد ماضي/ ص ٨٣/ ط دار العلم للملايين (بيروت) // الطبعة الخامسة : (١٩٧٨م)

^{٤٤} - انظر : (قواعد الأحكام في مصالح الأنام) لعز الدين أبي محمد عبد العزيز بن عبد السلام السلمي/ دراسة وتحقيق : محمود بن التلاميذ الشنقيطي/ ج ١/ ص ٩٩/ ط دار المعارف (بيروت) .

وقال شهاب الدين الرملي - رحمه الله - : " وكذا فاسق وجاهل وغيرهما ، وإن اختلفت الشروط كلها "٤٥ ، قال الشبراملسي - في حاشيته - : " ظاهره ولو كافر " .

وقد عُوِرِضَ ذلك بما قاله العز بن عبد السلام نفسه - عن ولاية الصبي والمرأة - : " ولو ابتلي الناس بتولية امرأة أو صبي مميز يرجع إلى رأي العقلاء فهل ينفذ تصرفهما العام فيما يوافق الحق كتجنيد الأجناد وتولية القضاة والولاية ؟ ففي ذلك وقفة "٤٦ ، فإن كان عنده وقفة في ذلك فالكافر أولى .

هذا ويجب على المسلمين - إذا تغلب الكفار على بلادهم - أمران : أولهما : أن يتفق المسلمون على واحدٍ منهم يجعلونه إمامًا لهم ، بحيث يقوم على أمورهم ، ويولي قاضيًا يحكم بينهم . ثانيهما : ألا يطيع المسلمون الكفار ، بل يجاهدونهم - إذا قدروا على ذلك - مع الإمام الذي نصبوه ، وبايعوه على قتالهم ، فإن لم يقدروا على قتالهم تهيئوا لذلك بإعداد العدة والعدد .

٤٥ - انظر : (نهاية المحتاج) لشمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة بن شهاب الدين الرملي الشهير بالشافعي الصغير (١٠٠٤هـ) / ج ٧ / ص ٤١٢ / ط دار الفكر (بيروت) / سنة : (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) .

٤٦ - انظر : (قواعد الأحكام في مصالح الأنام) ٩٨/١ .

ولكن إن لم يتمكن المسلمون من القيام بالأميرين السابقين ، ومنعوا من إقامة شعائر دينهم وجبت عليهم الهجرة من تلك البلد إلى بلد آخر يمكنهم فيه إقامة شعائر دينهم^{٤٧} .

٤٧ - إنّه باستقراء كتب الفقهاء يتضح أنّ الدور تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : دار الإسلام : هي الدار التي تجري فيها الأحكام الإسلاميّة ، وتحكم بسلطان المسلمين ، وتكون القوّة والمنعة فيها للمسلمين .

الثاني : دار الحرب : هي الدار التي تجري فيها أحكام الكفر ، أو تلوها أحكام الكفر ، ولا يكون السلطان والمنعة فيها بيد المسلمين ، ويُخارِبُ فيها الإسلام والمسلمون ، بحيث لا يتمكن المسلم من إقامة شعائر دينه ، بل ولا يأمن فيها على نفسه ، مثل : دولة إسرائيل وميانمار ونحوهما ، وهذه البلاد يجب على المسلمين الهجرة منها إلى غيرها .

الثالث : دار السّلم : هي الدار التي يكون فيها السلطان لغير المسلمين ، ولكن يتمتع المسلمون فيها بحقوق المواطنة الكاملة ، ويستطيعون إظهار شعائر دينهم ، ويمارسون عباداتهم ، ولا يُكرهون على المنكر ، مثل : أغلب بلدان العالم اليوم ، وهذه البلاد لا يجب على المسلمين الهجرة منها ، سُئِلَ شهاب الدين الرملي - رحمه الله - : عن المسلمين الساكنين في وطن من الأوطان الأندلسية يسمى أرغون وهم تحت ذمة السلطان النصراني يأخذ منهم خراج الأرض بقدر ما يصيبونه فيها ، ولم يتعدّ عليهم بظلم غير ذلك لا في الأموال ولا في الأنفس ولهم جوامع يصلون فيها ويصومون رمضان ويتصدقون ويفكّون الأسارى من أيدي النصارى إذا حلّوا بأيديهم ، ويقومون حدود الإسلام جهرا كما ينبغي ويُظهرون قواعد الشريعة عيانا كما يجب ، ولا يتعرض لهم النصارى في شيء من أفعالهم الدينية ويَدْعُونَ في خطبهم لسلطين المسلمين من غير تعيين شخص ، ويطلبون من الله نصرهم وهلاك أعدائهم الكفار ، وهم مع ذلك يخافون أن يكونوا عاصين بإقامتهم ببلاد الكفر ، فهل تجب عليهم الهجرة ، وهم على هذه الحالة من إظهار الدين نظرا إلى أنهم ليسوا على أمان أن يكلفهم الارتداد

قال ابن حجر - رحمه الله - : " ينعزل بالكفر إجماعاً ، فيجب على كل مسلم القيام في ذلك ، فمن قَوِيَ على ذلك فله الثواب ، ومن داهن فعله الإثم ، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض "٤٨ .

ويعُدُّ كلُّ من رَضِيَ وتابَع الكفار وركن إليهم آثمٌ بذلك إثمًا عظيمًا ؛ حيث قال تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ (١١٣) (هود) ، وقد نهى النبي - ﷺ - عن الرِّضا والمتابعة للأئمة الفسقة الفجرة فكيف بالكفرة ، فعن أم سلمة زوج النبي - ﷺ - عن النبي - ﷺ - قال : " إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتكفرون ، فمن كره فقد برئ ، ومن أنكر فقد سلم ،

والعياذ بالله تعالى ، أو على إجراء أحكامهم عليهم ، أو لا تجب نظرا إلى ما هم فيه من الحال المذكور ؟ فأجاب : " بأنه لا تجب الهجرة على هؤلاء المسلمين من وطنهم ؛ لقدرتهم على إظهار دينهم به ؛ ولأنه - ﷺ - بعث عثمان يوم الحديبية إلى مكة لقدرتهم على إظهار دينه بها ، بل لا تجوز لهم الهجرة منه ؛ لأنه يرجى بإقامتهم به إسلام غيرهم ؛ ولأنه دار إسلام فلو هاجروا منه صار دار حرب ، وفيما ذكر في السؤال من إظهارهم أحكام الشريعة المطهرة وعدم تعرض الكفار لهم بسببها على تطاول السنين الكثيرة ما يفيد الظن الغالب بأنهم آمنون منهم من إكراههم على الارتداد عن الإسلام أو على إجراء أحكام الكفر عليهم " . [انظر : (الفتاوى الكبرى) لأبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحرّاني/ تحقيق : حسنين محمد مخلوف/ ج ٣ / ص ٥٣٢ / ط دار المعرفة (بيروت) // الطبعة الأولى : (١٣٨٦هـ) ، (فتاوى الرّملي) لشمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة بن شهاب الدين الرّملي الشهير بالشافعي الصغير (١٠٠٤هـ) // ج ٤ / ص ١٨٢ / ط دار صادر (بيروت)] .

٤٨ - انظر : (فتح الباري) ١٣/ ١٢٣ .

ولكن من رضى وتابع " ، قالوا : يا رسول الله ألا نقاتلهم ؟ قال : " لا ما صلوا " ٤٩ .

أما من تولّى الكفار بتعضيدهم على المسلمين فإنه يكون منهم أي : يأخذ حكمهم ؛ لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) ﴾ (المائدة) .

ثانياً : أن يكون المتغلب مستجمعاً شروط الإمامة :

اتفق الفقهاء على أن المتغلب يجب أن يكون مستجمعاً شروط الإمامة وهي : الإسلام ، والتكليف - أي : العقل والبلوغ - ، والذكورة ، والحرية ، والعلم ، والعدالة - أي : عدم الفسق - ، والكفاءة النفسية - أي : الجرأة والشجاعة وحسن التدبير - ، والكفاءة الجسمية - أي : سلامة الحواس والأعضاء - ، والقرشية - وهي شرط في الإمامة العامة ، وليست شرطاً فيما هو دونها - ، وعدم الحرص على الإمامة ، والأفضلية - أي : أن يكون أفضل من غيره - ٥٠ .

٤٩ - رواه مسلم في صحيحه/ كتاب : الإمارة/ باب : وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع/ رقم : ٤٩٠٦ / ج ٦ / ص ٢٣ .

٥٠ - انظر : (الأحكام السلطانية) لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي (ت ٤٥٨هـ) // تحقيق : محمد حامد الفقي/ ص ٢١ / ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة) // الطبعة الثانية : (١٣٨٦هـ) ، (مأثر الإنافة) ٣٢/١ ، (فتح الباري) ١٢٢/١٣ .

قال القرطبي المالكي - رحمه الله - : " فإذا تغلب من له أهلية الإمامة ، وأخذها بالقهر والغلبة ، فقد قيل : إنَّ ذلك يكون طريقًا رابعًا " ^{٥١} .

وقال ابن خويز منداد المالكي - رحمه الله - : " ولو وثب على الأمر من يصلح له من غير مشورةٍ ولا اختيار ، وباع له الناس تمت له البيعة " ^{٥٢}

وقال الشرييني - رحمه الله - : " والثالثة باستيلاء شخص متغلب على الإمامة أهل لها " ^{٥٣} .

وقال الجويني - رحمه الله - : " فتقدّم صالحٌ للإمامة داعيًا إلى نفسه " ^{٥٤}

وقال الغزالي - رحمه الله - : " لو انتهض لهذا الأمر من فيه الشروط كلها سوى شروط القضاء ... ، يجب خلعه إن قدر عليه ، على أن يستبدل عنه من هو موصوف بجميع الشروط من غير إثارة فتنة ، وتهيج قتال ، وإن لم يكن ذلك إلا بتحرك قتالٍ وجبت طاعته وحكم بإمامته ... ، ليست هذه مسامحة في الاختيار ، ولكن الضرورات تبيح المحظورات

. ^{٥٥}

^{٥١} - انظر : (الجامع لأحكام القرآن) ١/ ٢٦٩ .

^{٥٢} - انظر : المرجع السابق .

^{٥٣} - انظر : (الإقناع في حلِّ ألفاظ أبي شجاع) لمحمد الشرييني الخطيب/ ج ٢ / ص ٥٥٠ / ط دار الفكر (بيروت) / سنة : (١٤١٥ هـ) .

^{٥٤} - انظر : (غياث الأمم) ص ٢٣٦ .

^{٥٥} - انظر : (الاقتصاد في الاعتقاد) لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي/ مراجعة : مصطفى القباني الدمشقي/ ص ٧٧ / ط المطبعة الأدبية بسوق الخضار القديم بمصر .

وقال بدر الدين بن جماعة - رحمه الله - : " فتصدَّى لها من هو من أهلها انعدت بيعته ... " ^{٥٦} .

ثالثاً : أن يكون التغلب حال كون منصب الإمامة شاغراً ، أو حال كونه واقعاً على متغلبٍ آخر :

إنَّ خلو منصب الإمامة جعل أهل العلم يتفقون على القول بتثبيت إمامة المتغلب أملاً في ملء الفراغ الحاصل في السلطة السياسية للدولة الإسلامية ، حتى يمكن الحفاظ على المجتمع الإسلامي ، مما قد يتعرض له من انفراط عقد الأمن في ظلِّ غياب السلطة لفترةٍ طويلةٍ .

قال الجويني - رحمه الله - : " إنَّ قَصْرَ العاقدون فيه وأخْرُوا تقديم إمام ، فطالت الفترة ، وتمادت العسرة ، وانتشرت أطراف المملكة ، وظهرت دواعي الخلل ، فتقدَّم صالحٌ للإمامة داعياً إلى نفسه ، محاولاً ضم لنشر ، ورد ما ظهر من دواعي الغرر ، فإذا استظهر بالعدَّة التامَّة من وصفناه ، فظهور هذا لا يحمل على الفسوق والعصيان والمروق ، فإذا جرى ذلك ، وكان يجزُّ صرفه ونصب غيره فتناً ، وأموراً محذورةً ، فالوجه أن يوافق ، ويلقى إليه السِّلْم ، وتصفق له أيدي العاقدين " ^{٥٧} .

^{٥٦} - انظر : (تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام) لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنايني الحموي الشافعي (ت ٧٣٣هـ) / تحقيق ودراسة : د. فؤاد عبد المنعم أحمد/ ص ٥٥ / ط دار الثقافة بتقويض من دار المحاكم الشرعية بقطر/ الطبعة الثالثة : (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) .

^{٥٧} - انظر : (غياث الأمم) ص ٢٣٦ .

وقال الجويني - رحمه الله - أيضًا - : " يجب العقد له - أي : للمتغلب - ؛ لما فيه من تقرير غرض الإمامة ، وإقامة حقوقها ، وتسكين الفتن الثائرة ، وتطفئة النَّائرة " ٥٨ .

وقال بدر الدين بن جماعة - رحمه الله - : " فإذا خلا الوقت عن إمامٍ فتصدى لها من هو من أهلها ، وقهر النَّاس بشوكته وجنوده بغير بيعةٍ أو استخلاف انعقدت بيعته ، ولزمت طاعته ؛ لينتظم شمل المسلمين ، وتجتمع كلمتهم " ٥٩ .

هذا وقد اتفق أهل العلم - أيضًا - على صحّة انعقاد الإمامة للمتغلب إذا كان قد تغلب على متغلبٍ مثله:

قال الشرييني - رحمه الله: " أمّا الاستيلاء على الحي، فإن كان الحي متغلبًا انعقدت إمامة المتغلب عليه، وإن كان إمامًا ببيعة أو عهدٍ لم تنعقد إمامة المتغلب عليه " ٦٠ .

وقال شهاب الدين الرّملي - رحمه الله: " وباستيلاء جامع للشروط بالشوكة لانتظام الشمل، هذا إن مات الإمام، أو كان متغلبًا " ٦١ .

٥٨ - انظر: المرجع السابق .

٥٩ - انظر: (تحرير الأحكام) ص ٥٥ .

٦٠ - انظر: (مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج) لمحمد الخطيب الشرييني/ ج ٤/ ص ١٣٢/ ط دار الفكر .

٦١ - انظر: (غاية البيان شرح زيد ابن رسلان) لشهاب الدين محمد بن أحمد الرّملي الأنصاري (ت ١٠٠٤هـ) / ج ١/ ص ٢٩٧/ ط دار المعرفة (بيروت) .

وعن عبدوس بن مالك العطار أن أحمد بن حنبل قال : " ومن غَلَبَ عليهم بالسيف حتى صار خليفة ، وسُمِّي أمير المؤمنين ، فلا يحلُّ لأحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إمامًا برًّا كان أو فاجرًا " ٦٢ .

(د) :

هل تنعقد الإمامة للمتغلب ؟

إذا خرج خارجٌ على الحاكم القائم بغير وجه حقٍّ ، فتغلب عليه بقتله أو خلعه أو سجنه ، وحمل الناس على الإقرار بولايته ، حتى استقرَّ له الأمر ، وذلك بتوافر أمرين :

أولهما : أن يُنَيَّقَنَّ أو يغلب على الظنِّ عدم مدافعته وردِّ بغيه ، بحيث يصير الحال إمَّا قبول حكم المتغلب - وإن كان ارتكب ما ارتكب - ، أو الدخول في منازعة واقتتال بلا قدرة بما يؤدي إلى مفاسد عظيمة من زيادة الفتنة ، وإراقة مزيدٍ من الدِّماء .

قال الإمام أحمد - رحمه الله - في رواية أبي الحارث في الإمام : " يخرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم ، ومع هذا قوم ، تكون الجمعة مع مَنْ غَلَبَ ، واحتجَّ بابن عمر صلَّى بأهل المدينة زمن الحرَّة ، وقال : نحن مع من غَلَبَ " ٦٣ .

ثانيهما : أن تؤيِّده أغلبية الناس ، ويذعنون ويقرُّون له ، ويتتابعون

٦٢ - انظر : (كشاف القناع) لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي/ تحقيق : هلال

مصيلحي مصطفى هلال/ ج ٦/ ص ١٥٩/ ط دار الفكر (١٤٠٢هـ) .

٦٣ - انظر : (الأحكام السلطانية) لأبي يعلى/ ص ٢٣ .

على قبول تغلبه وبيعته ، ويدلُّ على ذلك : أنَّ الصحابة - رضي الله عنهم - أنكروا على الحسين بن علي - رضي الله عنه - الخروج على يزيد بن معاوية - رضي الله عنه - وهو متغلبٌ ، بل عدُّوه إمامًا لهم - مع وجود قلةٍ من المعارضين غير المقرِّين بولايته - ؛ حيث بايعه جمهور الأُمَّة :

قال أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - : " غلبني الحسين على الخروج ، وقد قلت له : اتَّقِ الله في نفسك ، والزم بيتك ، ولا تخرج على إمامك " ^{٦٤} .

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنهما - قال : " كلمت حسينًا - رضي الله عنه - فقلت : اتَّقِ الله ، ولا تضرب النَّاس بعضهم ببعضٍ ، فوالله ما حمدتم ما صنعتم ، فعصاني " ^{٦٥} .

وقد رُوِيَ عن عمرة بن عبد الرحمن - رضي الله عنها - : أنَّها كتبت إليه - أي : إلى الحسين - تعظُّم عليه ما يريد أن يصنع ، وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة ^{٦٦} .

وقال ابن بطالٍ - رحمه الله : " ... ، فإن لم يكن معه إلا قطعةٌ من

^{٦٤} - انظر : (تاريخ دمشق) للحافظ أبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (٤٩٩هـ - ٥٧١م) // ج ١٤ / ص ٢٠٨ / ط دار الفكر (بيروت) // الطبعة الأولى : (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) .

^{٦٥} - انظر : المرجع السابق .

^{٦٦} - انظر : المرجع السابق .

النَّاسُ أو ما يوجب الفرقة ، فلا يحلُّ له الخروج^{٦٧} .
 يفهم من الأقوال السابقة: أنَّ المتغلب إذا أذعن له جمهور الناس، وأقرُّوا
 بإمامته عليهم، لم يجز خروج المعارضين لتغلبه، بل يجب عليهم الإقرار
 بإمامته؛ حيث يُعدُّون قلةً مقارنةً بمن أيَّده وأقرَّ له .
 فإنَّ الفقهاء - رحمهم الله - قد اتفقوا على جواز إمامته للضرورة في ثلاث
 حالات :

الأولى : إذا كان الإمام السابق قد كفر بعينه - أو كافرًا أصلاً - ، أو
 كان تاركًا للصلاة ، أو كان طاغيةً .

الثانية : إذا كان الإمام السابق متغلبًا ، أي : أنَّه تولى الحكم بالتغلب
 على من سبقه .

الثالثة : إذا مات الإمام السابق ، وصار منصب الإمامة شاغراً ، قال
 النووي - رحمه الله - : " أمَّا الطريق الثالث فهو القهر والاستيلاء ، فإذا
 مات الإمام فتصدَّى للإمامة من جمع شرائطها من غير استخلافٍ ولا
 بيعةٍ ، وقهر الناس بشوكته وجنوده ، انعقدت خلافته ؛ لينتظم شمل
 المسلمين ، فإنَّ لم يكن جامعًا للشرائط ، بأن كان فاسقًا أو جاهلاً ،
 فوجهان أصحهما انعقادها لما ذكرناه ، وإن كان عاصيًا بفعله^{٦٨} .

بينما اختلف الفقهاء فيما إذا كان الإمام السابق متولياً بالاختيار أو

^{٦٧} - انظر : (شرح صحيح البخاري) لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن
 بطل البكري القرطبي/ تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم/ ج ٨/ ص ٢١٥/ ط
 مكتبة الرشد (الرياض)/ الطبعة الثانية : (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م) .

^{٦٨} - انظر : (روضة الطالبين) ٢٦٦/٧ .

الاستخلاف، ولم يكن المتغلب مستجمعًا شروط الإمامة على رأيين :
الرأي الأول: ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من جواز إمامة المتغلب
وانعقادها للضرورة، وحجتهم في ذلك ما يلي :

١- عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :
" اِسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَيْبَةٌ " ^{٦٩}
وجه الدلالة من الحديث : أنه على الرغم من كون الحرية شرطًا من
شروط الإمامة ابتداءً حال الاختيار ، فإنه إذا تغلب عبد حقيقةً على البلاد
بقوته وشوكته وأتباعه ، ففي هذه الحالة يصير إمامًا تجب طاعته إخمادًا
للفتنة ، وصونًا للدماء - ما لم يأمر بمعصية - ، وهو ما أمر به النبي -
ﷺ - بقوله : " اِسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ... " ^{٧٠} .

٢- عن سيف المازني قال : كان ابن عمر - رضي الله عنهما - يقول :
" لا أقاتل في الفتنة ، وأصلي وراء من غلب " ^{٧١} ، وقد جاء في هذا
المعنى ما أثير عن الإمام أحمد من أن ابن عمر صلى بأهل المدينة -
زمن الحرّة - وقال : " نحن مع من غلب " ^{٧٢} .

^{٦٩} - رواه البخاري في صحيحه/ كتاب : الجماعة والإمامة/ باب : إمامة العبد
والمولى/ رقم : ٦٦١ / ج ١ / ص ٢٤٦ .

^{٧٠} - انظر : (فتح الباري) ١٣/ ١٢٢ .

^{٧١} - رواه ابن سعد في الطبقات/ ج ٤ / ص ١٤٩ / قال الألباني في (إرواء الغليل)
٣٠٤/ ٢ : " وإسناده صحيح إلى سيف وأما هو فأورده ابن أبي حاتم ولم يذكر
فيه جرحًا ولا تعديلاً " .

^{٧٢} - انظر : (الأحكام السلطانية) لأبي يعلى/ ص ٢٣ .

٣- أن من أعظم مقاصد الشريعة الإسلامية: حفظ النفس، وهو يقتضي انعقاد الإمامة للمتغلب؛ دفعًا للفتنة، وجمعًا للكلمة، وحفظًا للأنفس من إراقة دمائها.

الرأي الثاني: ما ذهب إليه الشافعية في وجه^{٧٣}، والخوارج، والمعتزلة^{٧٤} من عدم انعقاد الإمامة للمتغلب، وحجتهم في ذلك ما يلي:

١- رفض الحسين بن علي، وعبد الله بن الزبير - رضي الله عنهم - مبايعة يزيد بن معاوية؛ حيث عدّوه متغلبًا على الحكم؛ إذ تولى أمر المسلمين بغير اختيارٍ أو استخلاف^{٧٥}، وقد رأيا عدم انعقاد الإمامة

٧٣ - قال الخطيب الشربيني - رحمه الله - : " أما الاستيلاء على الحي فإن كان الحي متغلبا انعقدت إمامة المتغلب عليه وإن كان إماما ببيعة أو عهد لم تتعقد إمامة المتغلب عليه " [انظر : (مغني المحتاج) ٤/ ١٣٢] .

٧٤ - قال ابن تيمية - رحمه الله - : " لا يجوز الإنكار عليهم بالسيف كما يراه من يقاتل ولاية الأمر من الخوارج والزيدية والمعتزلة وطائفة من الفقهاء وغيرهم " [انظر : (منهاج السنة النبوية) لأبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحرّاني/ تحقيق : د. محمد رشاد سالم/ ج ٣ / ص ٣٩٢ ط مؤسسة قرطبة/ الطبعة الأولى : (١٤٠٦ هـ)] .

٧٥ - لا يصحُّ اعتبار استخلاف معاوية - رضي الله عنه - لابنه يزيد على الإمامة نقضًا للتغلب؛ حيث كان من شروط الصلح الذي تنازل الحسن بن علي - رضي الله عنهما - بمقتضاه عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - ، حتى سُمِّي هذا العام بعام الجماعة ، ما يلي :

١- العمل بكتاب الله ، وسنة نبيه - ﷺ - ، وسيرة الخلفاء .

٢- ترك الأموال التي صرفت سابقًا .

٣- العفو عن الدماء التي أريقت سابقًا .

٤- أن يكون الأمر من بعده شوري بين المسلمين .

لمتغلب^{٧٦} .

٢- عن عائشة - رضي الله عنها - : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قال : " لَا طَلَّاقَ وَلَا عِتَاقَ فِي إِغْلَاقٍ " ^{٧٧} .

وجه الدلالة من الحديث : قياس عدم انعقاد الإمامة للمتغلب على عدم وقوع الطلاق حال الإغلاق بجامع الإكراه فيهما ، ولذلك استدلَّ مالك - رحمه الله - بهذا الحديث على عدم انعقاد إمامة أبي جعفر المنصور ، إذ إنَّه متغلبٌ مُكرهٌ للناس على مبايعته ، ومن أجل ذلك لمَّا قام محمد النفس الزكية بخلع بيعة المنصور والخروج عليه ، وافقه مالك على ذلك وشجَّع النَّاسَ على مبايعته ، فقال له الناس : في أعناقنا بيعة للمنصور ، قال : " إِنَّمَا كُنْتُمْ مُكْرَهِينَ ، وليس لمكره بيعة " ، فبايع النَّاسَ محمد النفس الزكية بفتوى مالك - رحمه الله - ^{٧٨} .

٣- أَنَّ المتغلب على الحكم - بقره الحاكم السابق الشرعي - فاسق بفعله

ولهذا الشرط الأخير عدَّ الحسين وابن الزبير - رضي الله عنهما - يزيدًا متغلبًا لا تتعد له الإمامة ؛ لانعدام شرط الشورى والاستئثار بالسلطة ، وهو ما يخالف منهج الإسلام في الإمامة . [انظر : (الصواعق المحرقة) ٢/ ٣٩٩] .

^{٧٦} - انظر : (تاريخ الخلفاء) لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي/ تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد/ ج ١/ ص ١٨٢ / ط مطبعة السعادة (مصر) // الطبعة الأولى : (١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م) .

^{٧٧} - رواه ابن ماجه في السنن/ كتاب : الطلاق/ باب : طلاق المكره والناسي/ رقم : ٢٠٤٦ / ج ١/ ص ٦٦٠ ، والدار قطني في السنن/ كتاب : النكاح/ باب : الطلاق والخلع/ رقم : ٩٩ / ج ٤/ ص ٣٦ .

^{٧٨} - انظر : (البدائية والنهاية) ١٠/ ٨٤ .

، ولا تتعقد الإمامة لفاسق .

سبب الخلاف:

أنَّ أصحاب الرأي الأول القائلين بعقد الإمامة للمتغلب يرون أنَّ في هذا الرأي المحافظة على الاستقرار والوحدة السياسية للدولة الإسلامية ، ودرء الفتنة تهدد وحدة الأمة ، انطلاقاً من الواقع السياسي المفروض بالقوَّة من قبل المتغلب ، في حين يرى أنصار الرأي الثاني القائلين بعدم عقد الإمامة له ، أنَّ التغلب يهدم مبدأ البيعة السياسية الشرعية ، وينزع حقَّ الأمة في أن تختار من شاء ليكون خليفةً .

ترجيح وبيان ومناقشة

أرى أنَّ ما ذهب إليه أنصار الرأي الأول - جمهور الفقهاء - من جواز الإمامة للمتغلب وصحة انعقادها له للضرورة هو الراجح والأولى بالاعتبار ، حتى وإن كان الإمام السابق متولِّياً بالاختيار أو الاستخلاف ، ولم يكن المتغلب مستجمعاً شروط الإمامة^{٧٩} ؛ حيث حثَّت الشريعة الغزاة

^{٧٩} - قال ولي الله الدهلوي - رحمه الله - : " إن استولى من لم يجمع الشروط لا ينبغي أن يبادر إلى المخالفة ؛ لأنَّ خلعها لا يتصور غالباً إلا بحروب ومضايقات ، وفيها من المفسدة أشد مما يرجى من المصلحة " . [انظر : (حجة الله البالغة) لأحمد شاه ولي الله ابن عبد الرحيم الدهلوي/ مراجعة وتعليق : محمد شريف شاكر/ ج ٢/ ص ٢٠٨/ ط دار إحياء العلوم (بيروت)/ الطبعة الثانية : (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م)] .

وقال الدسوقي المالكي - رحمه الله - : " إنَّ الإمامة تثبت أيضاً بالتغلب على النَّاس ؛ لأنَّ من اشتدت وطأته بالتغلب وجبت طاعته ، ولا يراعى في هذا شروط الإمامة ؛ إذ المدار على درء المفاسد وارتكاب أخف الضررين " . [انظر

: (حاشية الدسوقي على الشرح الكبير) لشمس الدين محمد بن عرفة الدسوقي -
على الشرح الكبير لأبي البركات سيدي أحمد الدردير ، وبهامشه الشرح المذكور
مع تقريرات للعلامة المحقق محمد عليش شيخ السادة المالكية رحمه الله/ ج ٤/
ص ٢٩٨ / طبع بدار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) .
وقال البيجوري - رحمه الله - : " ولو تغلّب عليها شخصٌ قهراً انعقدت له ،
وإن لم يكن أهلاً ، كصبي وامرأة وفاسق ، وتجب طاعته فيما أمر به أو نهى
عنه كالمستوفي للشروط " . [انظر : (حاشية البيجوري على شرح ابن قاسم
العزي على متن أبي شجاع في مذهب الإمام الشافعي) لإبراهيم بن محمد بن
أحمد الشافعي البيجوري - أو الباجوري - (ت ١٢٧٦هـ) / تحقيق : محمد عبد
السلام شاهين/ ج ٢ / ص ٢٨٣ / ط دار الكتب العلمية/ الطبعة الأولى :
(١٤٢٠هـ)] .

وقال زكريا الأنصاري - رحمه الله - : " ... وثالثها : باستيلاء شخص متغلب
على الإمامة ، ولو غير أهل لها ، كصبي وامرأة ، بأن قهر الناس بشوكته
وجنده ؛ وذلك لينتظم شمل المسلمين " . [انظر : (فتح الوهاب شرح منهج
الطلاب) لزكريا الأنصاري/ ج ٥ / ص ١٢١ / ط دار الفكر] .
وقال شهاب الدين الرملي - رحمه الله - : " وكذا فاسق وجاهل وغيرهما ، وإن
اختلفت الشروط كلها " . [انظر : (نهاية المحتاج) ٤١٢/٧] .

وقال الغزالي - رحمه الله - : " ليست هذه مسامحة عن الاختيار ولكن
الضرورات تبيح المحظورات ، فنحن نعلم أن تناول الميتة محظور ولكن الموت
أشد منه ، فليت شعري من لا يساعد على هذا ويقضي ببطلان الإمامة في
عصرنا لفوات شروطها وهو عاجز عن الاستبدال بالمتصدي لها بل هو فاقد
للمتصف بشروطها ، فأى أحواله أحسن : أن يقول القضاة معزولون والولايات
باطلة والأنكحة غير منعقدة وجميع تصرفات الولاة في أقطار العالم غير نافذة ،
وإنما الخلق كلهم مقدمون على الحرام ، أو أن يقول الإمامة منعقدة والتصرفات
والولايات نافذة بحكم الحال والاضطرار ، فهو بين ثلاثة أمور إما أن يمنع الناس
من الأنكحة والتصرفات المنوطة بالقضاة وهو مستحيل ومؤذي إلى تعطيل

على وحدة الأمة الإسلامية ونبذ الفرقة والخلاف ، قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ... (١٠٣) ﴾ (آل عمران) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) ﴾ (الأنفال) ، ولا يمكن لهذه الوحدة السياسية أن تتحقق دون أن يكون المسلمون مجتمعين حول إمامٍ - وإن كان متغلبًا - ، ذلك أن من مقاصد الإمامة جمع شمل المسلمين ، وارتباط الأهواء المتفاوتة ، وليس بخافٍ على ذوي البصائر أن الدول إنما تضطرب بتحزب الأمراء ، وتفرق الآراء ، وتجادب الأهواء ، وعلى الرغم من أن جمع المسلمين يعتبر أحد مقاصد الإمامة ، فإن الإمامة والتنازع عليها قد تسبب في كثير من الصراعات بين أبناء الأمة الإسلامية على مَرِّ العصور والأزمان ، قال الشهرستاني - رحمه الله - : " وأعظم خلافٍ بين الأمة خلاف الإمامة ؛ إذ ما سُلَّ سيف في الإسلام على قاعدةٍ دينية مثل ما سُلَّ على الإمامة في كلِّ زمانٍ ^{٨٠} ، بل إنَّ أبا حامد الغزالي - رحمه الله - قد

المعاش كلها ويفضي إلى تشتيت الآراء ومهلك للجماهير والدهماء ، أو يقول إنهم يقدمون على الأنكحة والتصرفات ولكنهم مقدمون على الحرام ، إلا أنه لا يحكم بفسقهم ومعصيتهم لضرورة الحال ، وإما أن نقول يحكم بانعقاد الإمامة مع فوات شروطها لضرورة الحال ومعلوم أن البعيد مع الأبعد قريب ، وأهون الشرين خير بالإضافة ، ويجب على العاقل اختياره " . [انظر : (الاقتصاد في الاعتقاد) ص ٧٨] .

^{٨٠} - انظر : (الملل والنحل) لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني/ تحقيق : محمد سيد كيلاني/ ج ١/ ص ٢٠ / ط دار المعرفة (بيروت) سنة : (١٤٠٤هـ) .

ذهب إلى أن مجرد البحث في موضوع الإمامة قد يشعل الفتن ، ويثير الخلاف والصراع ، فقال : " ... النظر في الإمامة مثار للتعصبات ، والمعرض عن الخوض فيها أسلم من الخائض ، بل وإن أصاب فكيف إذا أخطأ " ^{٨١} .

ولعلّ هذا هو ما جعل الإمام الجويني - رحمه الله - يُصرِّح بوجوب انعقاد الإمامة للمتغلب ؛ إذ قال : " إذا ثار لحاجة ، ثم تألبت عليه جموعٌ لو أراد أن يتحول عنهم لم يستطع ، وكان يجر محاوله ذلك عليه وعلى النَّاس فتناً لا تطاق ، ومحناً يضيق عن احتمالها النطاق ، وفي استقراره الاتساق والانتظام ، ورفاهية أهل الإسلام ، فيجب تقريره " ^{٨٢} .

وإنه باستقراء تاريخ الدولة الإسلامية على مرِّ العصور والأزمان نلاحظ أن معظم الحروب والنكبات نتجت عن الخروج على الحكام المتغلبين ، وانطلاقاً من ذلك فإنَّ مقاومة الحاكم المتغلب الذي يملك القوَّة والشوكة مدعاةً إلى تفريق الأمة الإسلاميَّة ، وتشتيت شملهم ، ولذلك فإنَّ عقد الإمامة له ، والإقرار لحكمه فيه حفاظٌ على هذه الوحدة ، ومما يؤيد ذلك : ما قاله عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - للحسين بن علي وعبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما - عندما خرجا من المدينة إلى مكة بعد وفاة معاوية امتناعاً عن بيعة يزيد - : " اتقيا الله ولا تفرِّقوا جماعة

^{٨١} - انظر : (الاقتصاد في الاعتقاد) ص ٧٦ .

^{٨٢} - انظر : (غياث الأمم) ص ٢٣٩ .

المسلمين^{٨٣} ، ففي قوله إشارة إلى أن تقوى الله - عزَّ وجلَّ - تفرض على المسلم ألا يشعل الفتن بين المسلمين ، وألا يفرِّق جماعتهم بخروجه على المتغلب .

قال الشيخ محمد أبو زهرة - رحمه الله - : " فإنَّ الفتن التي صحبت مقتل الحسين ومن بعده كان ضررها أشد من بقاء الحال قائماً على عهد يزيد ، مع أن يزيد ما تولى بالطريقة العادلة ، وإنَّ من المنصوص عليه أمرين : أولهما : الامتناع عن الفتنة والسعي في عزله بالطرق الممكنة بشرط ألا تؤدي إلى فتنة ، كما أدال الله من الحكم الأموي بالحكم العباسي .

والثاني : ألا يطاع في معاصيه ، وألا يعلن تأييده مطلقاً ما دام في عامَّة أموره غير عدل ، ولو كان قد تولَّى بالطريق العادلة ، وبالأولى لا يؤيد حكمه ، ولا يُدعى إليه إذا كان فاسقاً تولَّى بغير العدل ، أمَّا الشعبة الثانية وهي التولي بطريق غير شرعية - وهي طريق الشورى - ، ولكنه عادل في نفسه ، فإنَّ المروري عن مالك والشافعي وأحمد أنه إن تغلب شخص على الحكم وكان عادلاً وارتضاه الناس لعدله ، فإنه يكون إماماً ؛ وذلك لأنَّ العبرة بالرضا ولو مآلاً ، والعدالة متوافرة ، فهو إمام عدل مستوفٍ لشروط الإمامة ... ، وعلى أيِّ حالٍ لا يطاع في معصية ، وإنَّ غلبت على الوالي المعاصي كان لا بد من السعي في تغييره من غير تعرض للفتن ، فإنَّ الفتن ظلم وظلمات ، وهي تتكشف في كثيرٍ من

^{٨٣} - انظر : (تاريخ الأمم والرسول والملوك) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري/ ج ٣/ ص ٢٧٢/ ط دار الكتب العلمية (بيروت) // الطبعة الأولى : (١٤٠٧هـ) .

الأحوال عن حاكم لا يقلُّ عن الأول سوءًا وفسادًا^{٨٤} .
 ولكن إذا استقرَّ أن رأي جمهور الفقهاء هو جواز إمامة المتغلب وانعقادها له ، وأنه هو الرأي الصحيح الذي يلزم المصير إليه حفاظًا على وحدة الدولة الإسلاميَّة ، فإنَّ تبني جمهور الفقهاء لهذا المذهب - وترجيحه من قبل الباحث - إنما هو من باب الضرورة فقط ، امتثالًا للقاعدة الفقهية : " الضرورات تبيح المحظورات " ، قال ابن عابدين - رحمه الله - : " (وتصحُّ سلطنة متغلبٍ للضرورة) أي : من تولَّى بالقهر والغلبة بلا مبايعة أهل الحل والعقد ... ، وأفاد أنَّ الأصل فيها أن تكون بالتقليد ، (للضرورة) أي : لدفع الفتنة^{٨٥} .

وقال د/ عبد الله الدميحي: " وهناك طريق آخر تجب الطاعة بموجبه، ويحرم الخروج عليه بسببه، ولكنه ليس من الطرق الشرعية، ولا يجوز إلا للضرورة؛ لأجل مصلحة المسلمين وحقق دمائهم، وهذا هو طريق القهر والغلبة والاستيلاء على الحكم^{٨٦} .

فنحن أمام حالة ضرورة يقوم فيها متغلب غير مقدورٍ عليه بخلع الحاكم الشرعي من السلطة ، ولا يمكن إعادة هذا الحاكم الشرعي إلى الحكم بلا إحداث فتنة وإراقة للدماء ، مع ما يغلب على الظنِّ من عدم تغيير شيءٍ من الواقع ، بل سيزداد الواقع سوءًا وتعقيدًا ، وتشخيص الحالة من الناحية

^{٨٤} - انظر : (الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي - الجريمة) ص ١٣٠ .

^{٨٥} - انظر : (حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار) لمحمد

أمين الشهير بابن عابدين/ ج ١/ ص ٥٩١/ ط دار الفكر .

^{٨٦} - انظر : (الإمامة العظمى) ص ٢٠٧ .

الشرعية يجعلنا بين مفسدتين : مفسدة تضييع حقِّ الحاكم الشرعي المخلوع في الحكم ، ومفسدة الفتنة وإراقة الدماء وزيادة المنكر ، ونحن مخاطبون ، بارتكاب أخفِّ الضررين ، ودرء الأفسد بالفاسد ، فنحكم بجواز إمامة المتغلب وصحة انعقادها له ، فحين يقول شخص : إنني لا أستطيع أن أصليَّ مستقبل القبلة ، فهل أصليَّ لأيِّ جهةٍ أم أترك الصلاة ؟ ، فليس يصحُّ أن نجيب عليه : بأنَّه يجب على المسلم أن يحافظ على استقبال القبلة ، وأنَّها من شروط صحة الصلاة ، وتضييعها من تضييع الصلاة ؛ لأنَّ الحالة حالة ضرورةٍ بحيث إنَّه إمَّا يصلي إلى غير القبلة أو يترك الصلاة ، وليس في حال اختيار أن يصلي الشخص إلى القبلة أو غيرها ، فإذا كانت البيعة لإمامٍ واجبةً شرعاً ؛ لقوله - ﷺ - : " مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ فَقَدْ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً " ^{٨٧} ، والحالة حال ضرورةٍ إمَّا البيعة للحاكم المتغلب - وإن كان فاسقاً ظالماً بفعله - وإمَّا عدم البيعة ^{٨٨} ومنازعة الحاكم بما يؤدي إلى مفاسد عظيمة من إدامة الفتنة وإراقة مزيد من الدماء ، فإنَّ هذا يقتضي إقرار الحاكم المتغلب على الحكم ، وصحة انعقاد الإمامة له .

^{٨٧} - رواه مسلم في صحيحه/ كتاب : الإمامة/ باب : الأمر بلزوم جماعة المسلمين عند ظهور الفتن/ رقم : ٤٨٩٩ / ج ٦ / ص ٢٢ .

^{٨٨} - ولا يصحُّ أن يقال : إنَّ البيعة لا زالت ثابتة للحاكم الشرعي المخلوع ؛ إذ لا أمر له ولا نهي ، قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - في رواية أبي الحارث - : في الإمام يخرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم ، ومع هذا قوم ، مع من تكون الجمعة ، قال : " مع من غلب " .

قال العز بن عبد السلام - رحمه الله : " ... ولكن قد يجوز الإعانة على المعصية لا لكونها معصية ، بل لكونها وسيلة إلى تحصيل المصلحة الراجحة ، وكذلك إذا حصل بالإعانة مصلحة تربو على مصلحة تقويت المفسدة ، كما تبذل الأموال في فدى الأسرى الأحرار المسلمين من أيدي الكفرة والفجرة ... ، ومبنى هذه المسائل كلّها على الضرورات ومسيس الحاجات ، وقد يجوز في حال الاضطرار ما لا يجوز في حال الاختيار .^{٨٩}

وقال الحصكفي - رحمه الله - : " لو تعذر وجود العلم والعدالة فيمن تصدى للإمامة وكان في صرفه عنها إثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد إمامته كي لا تكون كمن يبني قصرا ويهدم مصرا^{٩٠} .
وبناءً عليه: يتبين أنّ السكوت عن المتغلب ، والحكم بصحة انعقاد الإمامة له ، ليس إقرارًا لظلمه ، ولا دفاعًا عنه ، ولا دعمًا له ، وإنّما هو فقط نزولٌ على ما تقتضيه الضرورة الشرعية ، ومراعاةً لما يحقق مصالح الأمة ، ويعدُّ هذا ردًا صريحًا على قسمين من الناس :

الأول : من توهم أنّ الفقهاء في موقفهم هذا يجيزون التغلب والخروج على الحاكم الشرعي بغير وجه حقّ ، ويبيحون للمستبد الدم والأموال ، ويدافعون عن الظالم ، ويشرعون لظلمه ، ويؤيدونه ، ويقفون معه ، فإنّه بذلك إمّا لا يحسن أن يميز بين المسائل فيخلط بين موقف جمهور الفقهاء

^{٨٩} - انظر : (قواعد الأحكام) ١/١٠١ .

^{٩٠} - انظر : (الدر المختار) ١/٥٩٠ .

من حكم التغلب نفسه - وهو التحريم - ، وحكم عقد الإمامة للمتغلب عندما يسيطر على الأمور - وهو الجواز - ، وإمّا أنّه يتعمّد الكذب والافتراء في سبيل تشويه رأي جمهور الفقهاء - رحمهم الله - .

الثاني : من توهم أنّ موقف الفقهاء من المتغلب هو نصرته ، فجعل ذلك ذريعةً إلى دعم ظلمه ، وتشريع جرائمه ، ومشاركته في انتهاك حقوق الناس ، والتعدي على حرمتهم ، فإنّه بذلك - أيضاً - إمّا لا يحسن أن يميز بين المسائل فيخلط بين موقف جمهور الفقهاء من حكم التغلب نفسه - وهو التحريم - ، وحكم عقد الإمامة للمتغلب عندما يسيطر على الأمور - وهو الجواز - ، وإمّا أنّه يتعمّد الكذب والافتراء والتدليس من أجل ستر جرائمه ، وتبرير مسلكه .

هذا ويمكن مناقشة أدلة أنصار الرأي الثاني كما يلي :

أولاً : ذكرت كتب التاريخ والسير أنّ رفض الحسين وعبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما - مبايعة يزيد بن معاوية قد قُوبِلَ بالإنكار من جمهور الصحابة - رضي الله عنهم - :

عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - قال : دخلنا على رجلٍ من أصحاب رسول الله - ﷺ - حين استخلف يزيد بن معاوية ، فقال : " أتقولون : إنّ يزيد ليس بخير أمّة محمدٍ ، لا أفقه منها فقهاً ، ولا أعظمها فيها شرفاً ؟ " ، قلنا : نعم ، قال : " وأنا أقول ذلك ، ولكن - والله - لأنّ تجتمع أمّة محمدٍ أحبّ إليّ من أن تفترق ، رأيتم باباً لو دخل فيه أمّة محمد وسعهم ، أكان يعجز عن رجلٍ واحدٍ لو دخل فيه ؟ " ، قلنا

: لا ، قال : " أرايتم لو أنّ أمّة محمد قال كلّ رجلٍ منهم : لا أهريق دم أخي ، ولا آخذ ماله ، أكان هذا يسعهم ؟ " ، قلنا : نعم ، قال : " فذلك ما أقول لكم " ^{٩١} .

وقال أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - : " غلبني الحسين على الخروج ، وقد قلت له : اتق الله في نفسك ، والزم بيتك ، ولا تخرج على إمامك " ^{٩٢} .

وقال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - : " أذكركما الله إلا رجعتما فدخلتما في صالح ما يدخل فيه الناس ... " ^{٩٣} .

وكان - أي : ابن عمر - يقول - بعد ذلك - : " ... غلبنا الحسين بن علي بالخروج ، ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة ، ورأى من الفتنة وخذلان الناس لهم ما كان ينبغي له ألا يتحرك ما عاش ، وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس ، فإن الجماعة خير " ^{٩٤} .

وقد روي عن عمرة بن عبد الرحمن - رضي الله عنها - : أنّها كتبت إليه - أي : إلى الحسين - تعظّم عليه ما يريد أن يصنع ، وتأمره بالطاعة

^{٩١} - انظر : (العواصم من القواصم) لمحمد بن عبد الله بن محمد المعافري الشهير

بابن العربي المالكي/ تحقيق : د. محمد جميل غازي/ ص ٢٣١/ ط دار الجيل

(بيروت) // الطبعة الثانية : (١٤٠٧هـ) .

^{٩٢} - انظر : (تاريخ دمشق) ٢٠٨/١٤ .

^{٩٣} - انظر : (البدائية والنهائية) ١٦٣/٨ .

^{٩٤} - انظر : المرجع السابق .

ولزوم الجماعة^{٩٥} .

وعن أبي واقد الليثي - رضي الله عنه - قال : " بلغني خروج الحسين ، فأدركته بمللٍ ، فناشدته الله ألا يخرج ، فإنه يخرج في غير وجه خروج ...^{٩٦} ، ويراد بقوله : " ... في غير وجه خروج " أنه يخرج على إمامٍ - يزيد بن معاوية - وجبت البيعة له بمبايعة أغلب الأمة له ، فتجوز إمامته ، ولا يصح الإعراض عن بيعته ، والخروج عليه .
وبناءً عليه : فإن ما قام به الحسين وابن الزبير - رضي الله عنهما - يعدُّ اجتهدًا خاطئًا أصابا به أجرًا واحدًا ، قال الشوكاني - رحمه الله - :
 " ولكنه لا ينبغي لمسلم أن يحط على من خرج من السلف الصالح من العترة وغيرهم على أئمة الجور فإنهم فعلوا ذلك باجتهد منهم وهم أنقى لله وأطوع لسنة رسول الله من جماعة ممن جاء بعدهم من أهل العلم^{٩٧} .^{٩٨}
 وقد نُقِلَ الإجماع على جواز إمامته وصحة انعقادها ، قال ابن حجر - رحمه الله - : " وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب

^{٩٥} - انظر : (تاريخ دمشق) ٢٠٨/١٤ .

^{٩٦} - انظر : (البداية والنهاية) ١٦٣/٨ .

^{٩٧} - انظر : (نيل الأوطار) لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني/ ج ٧/ ص ٢٠١ / ط إدارة الطباعة المنيرية .

^{٩٨} - يفهم من كلام الشوكاني - رحمه الله - : أن خروج أولئك السلف الصالح على المتغلبين إنما هو من قبيل الاجتهاد ، ولكن مجتهد نصيب ولو أخطأ ، ولا ينبغي الحط من قدرهم كونهم أخطأوا في اجتهادهم ، كما لا ينبغي في الوقت ذاته الاقتداء بهم في الخروج ؛ لأنه قد ثبت خطأ ذلك .

والجهاد معه "٩٩ .

قال الشافعي - رحمه الله - : " كلُّ متغلبٍ على الخلافة بالسيف حتى يسمّى خليفة ، ويجتمع النَّاسُ عليه فهو خليفة "١٠٠ .

وقال أحمد بن حنبل - رحمه الله - : " ومن غَلَبَ عليهم بالسيف حتى صار خليفةً ، وسُمِّيَ أمير المؤمنين ، فلا يحلُّ لأحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر ، أن يبیت ولا يراه إمامًا "١٠١ .

وقال عبد اللطيف آل الشيخ - رحمه الله - : " وأهل العلم مع هذه الحوادث متفقون على طاعة من تغلب عليهم في المعروف ، يرون نفوذ أحكامه ، وصحة إمامته ، لا يختلف في ذلك اثنان ... "١٠٢ .

ثانيًا : إنَّ ما ذهبوا إليه من عدم صحة إمامة المتغلب وبيعته ؛ لأنَّها قائمة على الإكراه استدلالاً بموقف مالك من عدم الاعتراف ببيعة المنصور مردودٌ عليه بأمرين :

١- ما ذهب إليه المحققون من أهل العلم من عدم صحة ما نُسِبَ إلى الإمام مالك من أنه يرى عدم إمامة المتغلب ، وعدم صحة بيعته ، بل إنَّه

٩٩ - انظر : (فتح الباري) ٧/١٣ .

١٠٠ - انظر : (مناقب الشافعي) لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي/ تحقيق : السيد أحمد صقر/ ج ١/ ص ٣٣٨/ ط دار التراث (مصر)/ الطبعة الأولى : (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) .

١٠١ - انظر : (كشاف القناع) ١٥٩/٦ .

١٠٢ - انظر : (مجموعة الرسائل والمسائل النجدية) لجمع من العلماء/ ج ٢/ ص ١٦٧/ ط وزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد السعودية .

كان يفتي بعد صحة طلاق المكره ، وعدم وقوعه ، ففهم من ذلك أنه يرى عدم صحة إمامة المتغلب ، وأن بيعته منقوضة ؛ لإكراهه الناس عليها ، وفي واقع الأمر لم يكن هذا رأياً له ، ولم يصرح بذلك ، وإنما يقولون الإمام مالك ما لم يقله ، قال الشيخ محمد أبو زهرة - رحمه الله - : " أنه - أي : مالك - كان يحدث بحديث : (ليس على مستكره طلاق) ، وأن مروّجي الفتن اتخذوا من هذا الحديث حجة لبطلان بيعة أبي جعفر المنصور ، وأن هذا ذاع وشاع وقت خروج محمد بن عبد الله بن حسن النفس الزكية بالمدينة ، وأن المنصور نهاه عن أن يحدث بهذا الحديث ، ثم دس إليه من يسأله عنه ، فحدث به على رؤوس الناس ، فضربه ، ولقد ظن ابن جرير المؤرخ مالكا كان بتحديثه بهذا الحديث ، يحرّض على بيعة محمد بن عبد الله ، فقد روى أن مالكا أفتى الناس بمبايعته ، فقيل له : فإن في أعناقنا بيعة المنصور ، فقال : إنما كنتم مكرهين ، وليس لمكره بيعة ، فبايعه الناس عند ذلك عن قول مالك ، ولزم مالك بيته ، ونحن نختار أنه ضرب لتحديثه بهذا الحديث في وقت خروج محمد بن عبد الله بالمدينة ، لا لأنه كان يحرّض بذلك التحديث ، بل الذي نعتده أنه حدث بهذا الحديث ورواه ، ونقله الناس عنه ، فوجد الناس فيه ما يدل على أنه يجوز أن يتحللوا من بيعة المنصور زاعمين أنها كانت بالغلب والإكراه ، ووجد الكائدون لمالك في ذلك فرصة للكيد له ، فأخبروا والي المدينة بذلك فكانت المحنة ، ولقد وجدنا في الأخبار ما يصرح بذلك ، فإنه جاء في الانتقاء لابن عبد البر : (لما دُعِيَ مالك بن أنس ، وشور ، وسمع منه ،

وقبل قوله شتّف له النَّاس ، وحسدوه ، وبعثوه بكلِّ شيءٍ ، فلمّا وليّ جعفر بن سليمان على المدينة ، سعوا به إليه ، وكثروا عليه عنده ، وقالوا : لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشيء ، وهو يأخذ بحديث رواه عن ثابت ابن الأحنف في طلاق المكره أنّه لا يجوز) ، فهذا يدلُّ على أنّه وجد من الكائدين من صوّروا مالكا بصورة الثائر بتحديثه بهذا الحديث ، ويظهر أنّه في كهولته كان له خصوم من النَّاس من أهل العلم ، ينفسون عليه ما وصل إليه من تقدير الخاصّة والعامّة له ، وعندي أنّ سبب المحنة ليس هو التحديث بالحديث وحده ، بل التحديث به في وقت الفتن ، واستخدام الثائرين لذلك الحديث ، لتحريض النَّاس على الخروج مستغلين مكانة مالك في العلم والإفتاء ، ووجد الذين يسعون بالعلماء وأهل الفضل في ذلك سبيلاً للكيد بمالك فكادوا له ، فنهى مالك عن التحديث به فلم يفعل ، وسوق الخبر على ذلك النحو هو الذي يتفق مع قول الأكثرين ، وهو الذي يتفق مع ما عُرفَ عن مالك طول حياته من أنه لم يخض في فتنة ، ولم يحرض على خروج ... ، ولكنه في الوقت نفسه لا يستطيع أن يمتنع عن التحديث إرضاءً لأحد ، ولا اتباعاً لهوى أحد ، فهو يرى أن ذلك كتمان للعلم ، وقد نهى الله -سبحانه وتعالى - عن كتمان العلم ... ، وقد يقول قائل : إن ابن جرير الطبري يصرح بأن مالكا أفتى الناس بمبايعة محمد بن عبد الله بن حسن ، وأنه أفتى بأن بيعتهم لأبي جعفر كانت بالإكراه ، ولابن جرير مكانته في التاريخ ، وإنا نرى أن ابن جرير قد فهم ذلك من

تحديثه بالحديث ... "١٠٣".

٢- أنه إذا فُرِضَ صحة ما نُسِبَ للإمام مالك - رحمه الله - من عدم الاعتداد ببيعة المتغلب ؛ للإكراه الحاصل فيها ، فإنَّ هذا كان رأيه أولاً ، أمَّا الرأي الذي استقرَّ عليه بعد ذلك هو عدم عزل الحاكم - وإن كان متغلبًا - ، وإقرار مبدأ الطاعة له ، وعدم الخروج عليه ؛ وذلك لأنَّه رأى أنَّ عزلهم يقتضي الخروج عليهم ، والخروج عليهم يؤدي إلى فتنٍ جسيمة ، وقتلٍ للأبرياء ، ورأى أن يقدِّم النصح للحاكم ، ويسعى إلى تغييره بالموعظة الحسنة ، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لأنَّ ظلم ساعةٍ خلال الفتنة شرٌّ من جور حاكم متغلب ظالم طيلة حياته ، وأنَّ يجتهد العلماء في تحقيق الأعمال الصالحة التي تفيد الرعية وتتوافق مع الكتاب والسنة ، وتقبيح الجور والنصح بالابتعاد عنه ، فما استقرَّ عليه رأي مالك هو مواجهة ظلم المتغلبين بالموعظة الحسنة كلما لقيهم في مواسم الحجِّ أو زيارة الحرم النبوي ، ومما يؤيد ذلك ما قاله يحيى بن يحيى - من أصحاب مالك - حين سُئِلَ : البيعة مكروهة ؟ ، قال : لا ، قيل له : وإن كانوا أئمة جورٍ ؟ ، فقال : " قد بايع ابن عمر لعبد الملك بن مروان ، وبالسيف أخذ الملك ، أخبرني بذلك مالك عنه : أنه كتب إليه ، وأمر له بالسمع والطاعة على كتاب الله وسنة نبيه "١٠٤ .

١٠٣ - انظر : (مالك حياته وعصره وآراؤه الفقهية) للشيخ : محمد أبو زهرة/ ص ٧٨

- ٨٠ / ط دار الفكر العربي (القاهرة)/ الطبعة الثانية .

١٠٤ - انظر : (الاعتصام) ٦٢٦/٢ .

ولذلك أنكر عليه - أي : مالك - بعض تلاميذه أنه يتصل بالأمرء ؛ لأنهم ظالمون ، وما ينبغي لرجلٍ صالحٍ فقيهٍ مثله أن يلتقيهم ، فردَّ عليه مالك - رحمه الله - : " حقٌّ على كلِّ مسلمٍ ، أو رجلٍ جعل الله في صدره شيئاً من العلم والفقهِ أن يدخل على ذي سلطانٍ يأمره بالخير وينهاه عن الشرِّ " ١٠٥ .

ولعلَّ مطالعة كتب التاريخ والسير للوقوف على ما كان بين الإمام مالك وأبي جعفر المنصور من علاقة حميمة يثبت صحة نسبة هذا الرأي - صحَّة إمامة المتغلب وانعقاد البيعة له - للإمام مالك - رحمه الله - .

٣- إنَّ الإمامة لا تتعدَّد لفاسق ابتداءً في حال الاختيار ، وأمَّا في حال الاضطرار فإنَّه يجوز أن تتعدَّد الإمامة للفاسق - طالما أنَّه ليس بكافرٍ - ، وقد تقرَّر - في علم الشرع - : أنَّه يجوز في حال الاضطرار ما لا يجوز في حال الاختيار ، فالمتغلب - إذا استقرَّت له الأمور - وإن كان فاسقاً بفعله - ، تتعدَّد الإمامة له ، وتجب بيعته وطاعته في غير معصية ، ويدلُّ على ذلك قوله - ﷺ - : " اِسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ، وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَانَ رَأْسَهُ زَيْبَةً " ١٠٦ ، فعلى الرِّغم من كون الحرية والعدالة شرطين من شروط الإمامة ابتداءً حال الاختيار ، فإنَّه إذا تغلَّب عبد حقيقةً على البلاد بقوته وشوكته وأتباعه ، ففي هذه الحالة يصير إماماً -

١٠٥ - انظر : (الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب) لابن فرحون المالكي/ تحقيق : د. محمد الأحمدى أبو النور/ ج ١/ ص ١٥/ ط دار التراث (القاهرة) .

١٠٦ - سبق تخريجه .

وإن كان عبداً فاسقاً بفعله - ، وتجب بيعته وطاعته إخماداً للفتنة ،
 وصوناً للدماء - ما لم يأمر بمعصية - ، وهو ما أمر به النبي - ﷺ -
 بقوله : " **إِسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ...** " .

(ه) :

الحكم الشرعي للخروج على المتغلب بعد استقرار الأمور له

إنَّ الحاكم المتغلب إذا استقرَّت له الأمور ، بتأييد جماهير الأمة له طوعاً
 أو كَرْهًا ، يصير إمامًا للضرورة ، بحيث يكون كالإمام الذي جاء إلى
 الحكم بالاختيار أو الاستخلاف من حيث الحقوق والواجبات ، فلا يجوز
 قتاله والخروج عليه .

قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - : " والسمع والطاعة للأئمة
 وأمير المؤمنين البرِّ والفاجر ، ومن وَلِيَ الخِلافة فاجتمع النَّاس عليه
 ورضوا به ، ومن غلبهم بالسَّيف حتى صار خليفة وسمِّي أمير المؤمنين
 ... ، ومن خرج على إمام المسلمين ، وقد كان النَّاس اجتمعوا عليه وأقرُّوا
 له بالخِلافة بأيِّ وجهٍ كان بالرضا أو بالغلبة فقد شق هذا الخارج عصا
 المسلمين ، وخالف الآثار عن رسول الله - ﷺ - ، فإن مات الخارج عليه
 مات ميتةً جاهلية ، ولا يحلُّ قتال السلطان ، ولا الخروج عليه لأحدٍ من
 النَّاس ، فمن فعل ذلك فهو مبتدعٌ على غير السُّنة والطريق " ١٠٧ .

قال ابن عابدين الحنفي - رحمه الله - : " (قوله : على الإمام الحق) :
 الظاهر أنَّ المراد به ما يُعْمُ المتغلب ؛ لأنَّه بعد استقرار سلطنته ، ونفوذ

١٠٧ - انظر : (كشاف القناع) ١٥٩/٦ .

قهره ، لا يجوز الخروج عليه كما صرحوا به ، ثم رأيت في الدر المنتقى قال : إن هذا في زمانهم ، وأما في زماننا فالحكم للغلبة ؛ لأنَّ الكلَّ يطلبون الدنيا فلا يدرى العادل من الباغي "١٠٨ .

وقال ابن بطالٍ المالكي - رحمه الله - : " ... ، وإنَّ أمكنه إمام عدلٍ ، واتفق عليه جمهور الناس ، فلا بأس بخلع الأوَّل ، فإنَّ لم يكن معه إلَّا قطعةٌ من النَّاسِ أو ما يوجب الفرقة ، فلا يحلُّ له الخروج "١٠٩ .

وقال ابن حجر الشافعي - رحمه الله - : " وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه ، وأنَّ طاعته خيرٌ من الخروج عليه ، ولما في ذلك حقن الدِّماء ، وتسكين الدهماء "١١٠ .

وقال ابن قدامة الحنبلي - رحمه الله - : " ولو خرج على الإمام فقهره وغلب الناس بسيفه حتى أقرُّوا له وأذعنوا بطاعته وتابعوه ، صار إمامًا يحرم قتاله ، والخروج عليه ، وذلك لما في الخروج عليه من شقِّ عصا المسلمين وإراقة دمائهم ، وذهاب أموالهم ... ، فمن خرج على مَنْ ثبتت إمامته بأحد هذه الوجوه باغيًا وجب قتاله "١١١ .

هذا وينقسم الخارجون عن طاعة الإمام المتغلب - بعد استقرار الأمر له - إلى ثلاثة أقسام ١١٢ :

١٠٨ - انظر : (حاشية رد المحتار) ٤/٤٤٨ .

١٠٩ - انظر : (شرح صحيح البخاري) ٨/٢١٥ .

١١٠ - انظر : (فتح الباري) ٧/١٣ .

١١١ - انظر : (المغني) ٤٩/١٠ .

١١٢ - انظر : (شرح فتح القدير) ٤/٤٠٨ ، (رد المحتار) ٤/٢٦٢ ، (الذخيرة) لشهاب

الأول : الخارجون عن طاعة الإمام وقبضته بغير تأويل ، بمنعة أو بلا منعة ، فهؤلاء قطاع طريق مفسدون في الأرض ، وقد بيّن حكمهم في آية الحرابة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ (٣٤) ﴾ (المائدة) ، بحيث إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا ، وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا ، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وإذا أخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم يأخذوا مالاً سجنوا حتى تظهر توبتهم .

الثاني : الخارجون عن طاعة الإمام بتأويل ، وليس لهم منعة وشوكة ، فهؤلاء - أيضاً - حكمهم حكم قطاع الطريق ، ويدل على ذلك : أن علياً - رضي الله عنه - قال للحسن - عندما جرحه عبد الرحمن بن ملجم - : " إن برئت رأيت رأبي ، وإن متُّ فلا تمثلوا به " ١١٣ ، فإنه لم يثبت لفعله حكم البغاة من عدم ضمان ما أتلف .

الثالث : الخارجون عن طاعة الإمام بتأويل ، ولهم منعة وشوكة ، وليسوا في قبضة الإمام ، فهؤلاء يعدُّ فعلهم بغياً ، وهم قسمان :

الدين أحمد بن إدريس القرافي (ت ٦٨٤هـ - ١٢٨٥م) / تحقيق : أ. محمد بو
 حُبْزَة/ ج ١٢ / ص ٥ / ط دار الغرب الإسلامي ، (تكملة المجموع) ٥٢٣/١٧ ،
 (مغني المحتاج) ١٢٣/٤ ، (الفروع) ١٥٢/٦ ، (الإنصاف) ٣١٢/١٠ .
 ١١٣ - انظر : (المغني) ٤٠٨/٤ .

أولهما : الخارجون على الإمام على النحو المبين ، لكنهم لم يكفروا المسلمين ، ولم يستحلوا دماءهم وأموالهم ونساءهم ، فهؤلاء بغاةٌ .
 ثانيهما :الخارجون على الإمام على النحو المبين ، ويكفرون المسلمين ، ويستحلون دماءهم وأموالهم ونساءهم ، فهؤلاء خوارج^{١١٤} .

١١٤ - تعريف الخوارج :

عرّف الحنفية الخوارج : بأنهم قوم لهم منعة خرجوا على الإمام بتأويل يرون أنه على باطل كفر أو معصية توجب قتاله بتأويلهم ، ويستحلون دماءنا وأموالنا ، ويسبون نساءنا ويكفرون أصحاب نبينا - ﷺ - . [انظر : (رد المحتار) ٤/٤٤٩] .

وعرفهم الحنابلة : بأنهم الذين يكفرون بالذنب ، ويكفرون عثمان وعليًا وطلحة والزبير وكثيرًا من الصحابة ، ويستحلون دماء المسلمين وأموالهم إلا من خرج معهم . [انظر : (الإنصاف) ١٠/٣١٣] .

والذي يظهر من تعريفي الحنفية والحنابلة أنّ الخوارج هم الذين خرجوا على إمام المسلمين في فترة زمنية معينة دون ما سواها ؛ إذ يقصدون من خرجوا على علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، فكفروه ، وكفروا أصحاب النبي - ﷺ - ، واستحلوا دماءهم ونساءهم وأموالهم ، وفي واقع الأمر لا ينبغي أن يقتصر مسمى الخوارج وما يجري عليهم من أحكام على من قصدهم الأحناف والحنابلة دون من سواهم ، وإنما يجب أن يعم ذلك كل من خرج على إمام عصره مكفّرًا إياه ومن شايعه - ممن ظاهرهم الإسلام - دون تحقق شروط التكفير وموانعه . قال ابن عابدين - رحمه الله - : " الظاهر أن المراد تعريف الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله تعالى عنه ؛ لأن مناط الفرق بينهم وبين البغاة هو استباحتهم دماء المسلمين وذراريهم بسبب الكفر ؛ إذ لا تسبى الذراري ابتداء بدون كفر ، لكن الظاهر من كلام الاختيار وغيره أن البغاة أعم ، فالمراد بالبغاة ما يشمل الفريقتين ، ولذا فسر في البدائع البغاة بالخوارج لبيان أنهم منهم ، وإن كان البغاة أعم ، وهذا من حيث الاصطلاح ، وإلا فالبغي والخروج متحققان في

كلّ من الفريقين على السوية ، ولذا قال علي - رضي الله تعالى عنه - في الخوارج : إخواننا بغوا علينا ، قوله : (لهم منعة) بفتح النون : أي عزة في قومهم فلا يقدر عليهم من يريدهم ، قوله : (بتأويل) أي : بدليل يؤولونه على خلاف ظاهره ، كما وقع للخوارج الذين خرجوا من عسكر علي عليه بزعمهم أنه كفر هو ومن معه من الصحابة ، حيث حكم جماعة في أمر الحرب الواقع بينه وبين معاوية ، وقالوا : إن الحكم إلا الله ، ومذهبيهم أن مرتكب الكبيرة كافر ، وأن التحكيم كبيرة لشبه قامت لهم استدلوها بها مذكورة مع ردها في كتب العقائد ، مطلب في أتباع عبد الوهاب الخوارج في زماننا ، قوله : (ويكفرون أصحاب نبينا - ﷺ -) علمت أن هذا غير شرط في مسمى الخوارج ، بل هو بيان لمن خرجوا على سيدنا علي - رضي الله تعالى عنه - ، وإلا فيكفي فيهم اعتقادهم كفر من خرجوا عليه " [انظر : (رد المحتار) ٤/٤٤٩] .

وفي واقع الأمر : لقد اختلف الفقهاء في حكم الخوارج هل هم كفار أم بغاة ؟ على رأيين :

الرأي الأول : ما ذهب إليه جمهور الفقهاء الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنابلة في رواية من أن الخوارج بغاة ، وليسوا كفارًا [انظر : (بدائع الصنائع) ١٤٠/٧ ، (الموافقات) ٤/٤٥٢ ، (شرح النووي على مسلم) ٥٠/٢ ، (كشف القناع) ٤/٤٠٩ ، (مجموع الفتاوى) ٥٤/٣٥] ، وحجتهم في ذلك ما يلي :

١- عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : " يخرج فيكم قومٌ تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وعملكم مع عملهم ، ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر في النصل فلا يرى شيئاً ، وينظر في القدح فلا يرى شيئاً ، وينظر في الرّيش فلا يرى شيئاً ، ويتمارى في الفوق " [رواه البخاري في صحيحه/ كتاب : فضائل القرآن/ باب : إثم من رأى بقرأة القرآن أو تأكل به أو فخر به/ رقم : ٤٧٧١ / ج ٤ / ص ١٩٢٨] .

وجه الدلالة من الحديث : أن قوله - ﷺ - : " يتمارى في الفوق " يدل على أنه لم يكفرهم ؛ لأنهم علقوا من الإسلام ، بحيث يشك في خروجهم منه .

٢- عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : أَنَّهُ سئِلَ عن أهل النهر : أَكْفَارٌ هم ؟ ، قال : " من الكفر فُرُوا ، قيل : فمناقفون ، قال : " إِنَّ المنافقين لا يذكرن الله إِلَّا قليلاً " ، قيل : فما هم ؟ ، قال : " هم قَوْمٌ أصابتهم فتنة فعموا وصمُّوا وبغوا علينا ، وقاتلونا فقاتلناهم " [رواه عبد الرزاق في مصنفه/ كتاب : اللقطة/ باب : ما جاء في الحرورية/ رقم : ١٨٦٥٦ / ج ١٠ / ص ١٥٠] .

٣- الإجماع على عدم تكفيرهم :

قال الخطابي - رحمه الله - : " وقد أجمع علماء المسلمين على أَنَّ الخوارج على ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين ، وأجازوا مناكحتهم ، وأكل ذبائحهم ، وقبول شهادتهم " [انظر : (فتح الباري) ٣٠٠/١٣] .

وقال ابن المنذر - رحمه الله - : " لا أعلم أحدًا وافق أهل الحديث على تكفيرهم " ، قال الكمال بن الهمام - تعليقًا على كلام ابن المنذر - : " وهذا يقتضي نقل إجماع الفقهاء ، نعم يقع في كلام أهل المذاهب تكفير كثير ، ولكن ليس من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون ، بل من غيرهم ، ولا عبرة بغير الفقهاء ، والمنقول عن المجتهدين ما ذكرنا ، وابن المنذر أعرف بنقل مذاهب المجتهدين " [انظر : (شرح فتح القدير) ١٠٠/٦] .

الرأي الثاني : ما ذهب إليه بعض أهل العلم - الحنابلة في رواية ، والبخاري ، وابن العربي ، والطبري ، والسبكي - من أَنَّ الخوارج كفار مرتدون ، تباح دماؤهم وأموالهم ، فإنَّ تحيُّزوا في مكانٍ ، وكانت لهم شوكة ومنعة صاروا أهل حربٍ كسائر الكفار ، وإنَّ كانوا في قبضة الإمام استتابهم كاستتابة المرتدين ، فإنَّ تابوا وإلاَّ ضُربتْ أعناقهم ، وكانت أموالهم شيئًا لا يرثهم ورثتهم المسلمون [انظر : (الإنصاف) ٣١٣/١٠ ، (فتح الباري) ١٩٩/١٢ ، (نيل الأوطار) ١٨٩/٧] ، وحجتهم في ذلك ما يلي :

١- عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " يخرج قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وأعمالكم مع أعمالهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر في النصل فلا يرى شيئًا ، وينظر

في القدر فلا يرى شيئاً ، وينظر في الزيش فلا يرى شيئاً ، ويتمارى في الفوق
" [سبق تخريجه] .

٢- عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ -
- يقول : " يخرج قومٌ في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام ،
يقولون من قول خير البرية ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من
الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم
أجر لمن قتلهم يوم القيامة " [رواه البخاري في صحيحه / كتاب : استنابة
المرتدين والمعاندين وقتالهم / باب : قتل الخوارج والملحدين / رقم : ٦٥٣١ / ج
٦ / ص ٢٥٣٩] .

٣- عن أبي أمامة - رضي الله عنه - أنه رأى شيئاً رؤوساً منصوبة على درج
مسجد دمشق ، فقال : " كلاب النار ، شرُّ قتلى تحت أديم السماء ، خير قتلى
من قتلوه " ، ثم قرأ ، فقيل له : أنت سمعته من رسول ﷺ - ، قال : " لو
لم أسمعته إلا مرةً أو مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً حتى عدّ سبعا ما حدثتكموه " [رواه
الترمذي في سننه / كتاب : تفسير القرآن / باب : سورة آل عمران / رقم :
٣٠٠٠ / ج ٥ / ص ٢٢٦ / وعلق عليه بقوله : " هذا حديث حسن] .

وجه الدلالة من الأحاديث : أنه كما خرج هذا السهم نقياً خالياً من الدم والفرث
لم يتعلق منها بشيء ، فكذلك خروج هؤلاء - أي : الخوارج - من الدين .
قال ابن العربي - رحمه الله - : " الصحيح أنهم كفار ؛ لقوله - ﷺ - :
(يمرقون من الدين) ، ولقوله : (لأقتلنهم قتل عاد) ، وفي لفظ (ثمود) ، وكلُّ
إنما هلك بالكفر ، ولقوله : (هم شرُّ الخلق) ، ولا يوصف بذلك إلا الكفار ،
ولقوله : (إنهم أبغض الخلق إلى الله تعالى) ، ولحكمهم على كلِّ من خالف
معتقدهم بالكفر والتخليد في النار ، فكانوا هم أحقُّ بالاسم منهم " [انظر :
(عارضة الأحوزي بشرح صحيح الترمذي) لابن العربي المالكي (٤٣٥ -
٥٤٣هـ) / ج ٩ / ص ٣٨ / ط دار الكتب العلمية (بيروت)] .

وقال القرطبي - رحمه الله - : " ويؤيد القول بتكفيرهم ما في الأحاديث من أنهم
خرجوا من الإسلام ، ولم يتعلقوا منه بشيء كما خرج من الرمية لسرعته ، وقوة

والذي يظهر من كلام الفقهاء - رحمهم الله - أنهم اتفقوا على أنه يشترط للحكم على فعل الخارجين عن طاعة الإمام بأنهبغي ثلاثة شروط :

١- أن يكونوا طائفةً ، فيهم منعة وشوكة ، بحيث يحتاج الإمام في كفهم إلى عسكر ، فإن لم تكن فيهم منعة ، وإنما كانوا عددًا قليلاً لم تتعلق بهم أحكام البغاة ، وإنما هم قطاع طريق ، ويدل على ذلك : ما روي أن عبد الرحمن بن ملجم قتل على بن أبي طالب - رضي الله عنه - وكان متأولاً في قتله فاقيد به ، ولم ينتفع بتأويله ؛ لأنه لم يكن في طائفة ممتعة ، وإنما كانوا ثلاثة رجال تبايعوا على أن يقتلوا علياً ومعاوية وعمرو بن العاص في يوم واحد .

٢- أن يخرجوا عن قبضة الإمام ، فإن لم يخرجوا من قبضته لم يكونوا بغاة ويدل على ذلك : ما روي أن رجلاً قال على باب المسجد وعلي يخطب على المنبر : لا حكم إلا لله ولرسوله تعريضاً في التحكيم في صفين ، فقال علي : " كلمة حق أريد بها باطل " ، ثم قال : " لكم علينا ثلاث ، لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ، ولا نمنعكم الفياء ما دامت أيديكم معنا ، ولا نبدؤكم بقتال " ^{١١٥} ، فأخبر أنهم ما لم يخرجوا

راميه ، بحيث لم يتعلق من الرّمية بشيء ، وقد أشار إلى ذلك بقوله : (سبق الفرث والدم) " [انظر : (نيل الأوطار) ١٩٧/٧] .

^{١١٥} - رواه البيهقي في السنن الكبرى/ كتاب : قتال أهل البغي/ باب : القوم يظهرون رأي الخوارج/ رقم : ١٦٥٤٠ / ج ٨ / ص ١٨٤ / قال الألباني في (إرواء الغليل) ١١٧/٨ : " ضعيف : ذكره ابن جرير الطبري في " تاريخه " (٥٣/٤) معلقاً قال : قال أبو مخنف : حدثني الأجلح بن عبد الله عن سلمة بن كهيل

عن قبضته لا يبدؤهم بقتال ؛ ولأن النبي - ﷺ - لم يتعرض للمنافقين الذين كانوا معه في المدينة ، فلئلا يتعرض لأهل البغي وهم مسلمون أولى .

٣- أن يكون لهم تأويل سائغ ، مثل أن تقع لهم شبهة يعتقدون فيها الخروج على الإمام ، أو منع حقّ لهم ، وإن أخطأوا في ذلك ، ويدلّ على ذلك : منع بعض الخارجين على أبي بكر - رضي الله عنه - الزكاة

عن كثير بن بهز الحضرمي قال : " قام علي في الناس يخطبهم ذات يوم ، فقال رجل من جانب المسجد : لا حكم إلا لله ، فقام آخر ، فقال مثل ذلك ، ثم توالى عدة رجال يحكمون ، فقال علي : الله أكبر كلمة حق يلتبس بها باطل ، أما إن لكم عندنا ثلاثا ما صحبتونا ... " فنكرها ، قلت : ورجاله ثقات غير أبي مخنف ، واسمه لوط بن يحيى وهو إخباري هالك ولكنه قد توبع فأخرجه البيهقي (١٨٤/٨) من طريق ابن نمير عن الأجلح به ، ولم يتفرد به الأجلح ، فقال أبو عبيد في " الأموال " (٥٦٥/٢٣٢) : حدثنا الأشجعي عن سفيان عن سلمة بن كهيل عن كثير بن نمر قال : " جاء رجل لرجل من الخوارج إلى علي ، فقال : يا أمير المؤمنين إني وجدت هذا يسبك ، قال : فسبه كما سبني ، قال : ويتوعدك ، فقال : لا أقتل من يقتلني ، قال : ثم قال علي ، لهم علينا . قال أبو عبيد : حسبته قال : ثلاث ... فنكرها ، قلت : وكثير بن نمر إنما وثقه ابن حبان فقط أورده في " الثقات " وقال (١٩٣/١) : " يروى عن علي ، روى عنه سلمة بن كهيل " ، وكذا قال ابن أبي حاتم عن أبيه (١٥٧/٢/٣) ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، فهو في حكم المجهولين " .

قلت : ولكن على الرغم مما قاله الألباني - رحمه الله - فهو أثر صحيح المعنى جائز الاحتجاج به ؛ إذ تلقته الأمة بالقبول ، وعليه العمل عند جميع فقهاء المذاهب .

ورفضهم دفعها لهم متأولين قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٠٣) (التوبة) ، فقالوا : أمر الله بدفع الزكاة إلى من صلاته سكن لنا ؟ ، وهو رسول الله - ﷺ - ، فأما ابن أبي قحافة فليست صلاته سكناً لنا ، ولذلك لمّا انهزموا قالوا : والله ما كفرنا بعد إيماننا ، ولكن شحنا على أموالنا^{١١٦} ، فإذا لم يكن لهم تأويل سائغ ، فحكمهم حكم قطاع الطريق .
١١٧ .

النتائج :

١- أن طريق اختيار الحاكم مما يختلف بحسب الزمان والمكان ، ويتأثر وضعه بحال المجتمع والظروف الطارئة عليه ، والقول بأن الأصل في الطرق الموصلة للحكم هو الإباحة هو الأيسر للمسلمين ؛ ليختاروا أنفع السبل المحققة لمقاصد الإمامة ورضا الناس بما يناسب عصرهم . وبناءً عليه : يُعَدُّ ترشُّحُ عددٍ من المؤهلين للإمامة ، ثم الرجوع إلى الناس لاختيار أحدهم حاكماً عليهم - كما هو الحال في الانتخابات الرئاسية

^{١١٦} - رواه البيهقي في السنن الكبرى/ كتاب : قتال أهل البغي/ باب : ما جاء في قتال الضرب الثاني من أهل الردة/ رقم : ١٦٥١٤ / ج ٨ / ص ١٧٨ .

^{١١٧} - هناك شرطان آخران ضعيفان ذكرهما بعض الفقهاء : الأول : ما اشترطه الشافعي في الجديد ، والحنابلة في رواية من وجود مطاعٍ فيهم ينصبونه إماماً لهم ، الثاني : ما اشترطه بعض الشافعية من انفراد البغاة بحصنٍ أو بلدةٍ أو قريةٍ أو موضعٍ من الصحراء . [انظر : (نهاية المحتاج) ٤٠٣/٧ ، (الإنصاف) (٣١٢/١٠)] .

المعاصرة - طريقاً شرعياً مباحاً للوصول إلى الحكم .

٢- أن الحاكم يستحقُّ العزل بشروط: الأول : أنه لا يكفي مجرد الظنِّ والإشاعة ، وإنما يجب أن نتيقن وقوع الكفر منه ، بأن نرى ذلك رؤيةً عينية ، فلا يجوز العمل بمجرد الخبر بذلك . الثاني : أنه لا يكفي رؤية بعض أهل الحل والعقد من العلماء أو المنوط بهم عزله لذلك الكفر دون البعض الآخر ، بحيث إذا عَلِمَ البعض كفره ؛ لكونهم اطلَّعوا عليه بطريقةٍ أو بأخرى دون الآخرين ، لم يُخْرَجْ عليه منهم ، وإنما يجب الإجماع في ذلك ، وعلة ذلك : أنه إذا عَلِمَ البعض كفر الإمام ، وَخَفِيَ ذلك عن الآخرين ، انقسم الناس لموالٍ له ومنازع ، وفي هذا فتنة عظيمة للأمة . الثالث : أنه لا يكفي وقوعه في الفسوق ولو كَبُرَ ، كالظلم وشرب الخمر ، ولعب القمار ، وأخذ الأموال بغير وجه حقٍّ ، وسفك الدِّماء ، وإنما يجب للخروج عليه أن يصدر منه الكفر الأكبر الناقل عن الملة ، وأن يكفر بعينه بعد تحقق شروط التكفير وانتفاء موانعه . الرابع : أنه يُشترط أن يكون ذلك الكفر صريحاً ظاهراً قائماً على الدليل الشرعي الصحيح من الكتاب أو السنة أو الإجماع ، بحيث لا يختلف أهل العلم فيه ، وذلك إمَّا لاختلافهم في التكفير به أصلاً أو لاحتماله التأويل ، فإذا لم يُجْمَعْ على كونه كفرًا أكبر ظاهراً غير محتملٍ للتأويل ، لم يُخْرَجْ عليه ؛ لأنَّ ذلك مدعاةٌ لانقسام الناس إلى موالٍ له ومنازع ، وفي هذا فتنة عظيمة للأمة .

٣- أنه لا يجوز الخروج على الحاكم الفاسق - الذي يعد فسقه من قبيل الفسق الذاتي كشرب الخمر مثلاً - والظالم - الذي يقع ظلمه على فردٍ أو

أفراد معدودين من شعبه - ، ولكن إذا كان الحاكم طاغيةً ، بحيث لا يكون فسقه ذاتيًا ، وإنما يعد فسقه من قبيل عدم مؤاخذه الفاسقين بإطلاق العنان لهم ، حتى انتشر العُريُّ والفجور والمجون ، وانتشرت الخمر والمخدرات ... وغير ذلك من المحرمات ، وصار ظلمه عامًا ملجئًا ، حيث ضاعت الحقوق ، وأخذت الرشاوى ، وساد قانون القوة والبلطجة ، واضطهد الأبرياء ، وأكلت أموال الناس بالباطل ... وغير ذلك ، حتى صار بعض الناس يقدمون على قتل أنفسهم بسبب شدة الفقر والعوز ، وقد وُعِظَ ونُصِحَ - على الوجه الشرعي - ، فلم يزد إلا تماديًا في طغيانه ، وصار الحال من سوءٍ إلى أسوأ ، فإنَّ هذا الحاكم يستحق العزل ، ويجوز الخروج عليه من قبل سلطةٍ لديها القوة المادية التي لا يجابهها أحدٌ ، بحيث يغلب على الظنِّ عدم إحداث فتنةٍ وفوضى وسفكٍ للدماء ، ويمكن التمثيل لذلك بالانقلاب العسكري الذي قام به الجيش المصري على الملك فاروق سنة (١٩٥٢م) . وبناءً عليه : لا يجوز قيام أفراد أو جماعة أو حركة بالخروج على الحاكم الطاغية ؛ إذ إنَّ ما يغلب على الظن أنَّه سيترتب على ذلك منكر أكبر من المراد تغييره ، ويعد ذلك من الإفساد في الأرض .

٤- أنه لا يجوز الخروج على الحاكم بغير وجه حقٍ ، فإذا خرج خارج على الحاكم ، وأراد أن يتعلَّب أو يستولي على الحكم بغير ضرورةٍ ملجئةٍ أو حاجةٍ ملحةٍ عدُّ فاسقًا وظالمًا وباغيًا ومتجاوزًا لحدوده ، وتجب مقاومته ومدافعتة بل ومقاتلته لظلمه وعدوانه ، ولكن لا يعدُّ المتغلب عاصيًا

بالاستيلاء على السلطة إذا كانت هناك ضرورة ملحة أو حاجة مستترة ، وهذا متصورٌ في حالتين : الأولى : إذا مات الإمام السابق أو أُسِرَ ، وصار منصب الإمامة شاغراً ، وكانت هناك ضرورة ملحة أو حاجة مستترة من تربيص أعداء ، وبوادر فوضى ... وغير ذلك ، وقد تقاعس أهل الاختيار في اختيار من هو صالح للإمامة ، فطالت الفترة ، وتمادت العسرة ، وظهرت دواعي الخلل ، فقام من هو أهلٌ للإمامة بالاستيلاء على السلطة ، فنصّب نفسه إماماً ، محاولاً ضم النشر ، ورد ما ظهر من دواعي الخلل ، فإنه لا يحمل فعل المتغلب - في هذه الحالة - على الفسوق والعصيان والمروق ، بل يُحمَدُ على ذلك . الثانية : إذا ثار على الإمام الشرعي قِطَاعٌ عريضٌ من الأمة بسبب سوء تصرفه في إدارة البلاد ، وقد أصروا على خلعهِ بعد بيان عدم جواز فعلهم ، وسوء عاقبته ، وفي الوقت ذاته أصرَّ الحاكم على عدم خلع نفسه ، فانقسمت الأمة إلى طائفتين كبيرتين ما بين مؤيدٍ ومعارضٍ ، وغلبَ على الظنِّ صِدَامٌ عظيمٌ بين الطائفتين ، بما يسمّى في الفقه السياسي بالحرب الأهلية ، فقام من هو صالحٌ للإمامة ، متصفٌ بالقدرة والقبول عند غالبية الناس ، بخلع الحاكم ، وتنصيب نفسه إماماً ، فإنه لا يحمل فعل المتغلب - في هذه الحالة - أيضاً - على الفسوق والعصيان والمروق .

٥- يشترط في المتغلب - الذي تقبل إمامته اختياراً لا اضطراراً - : أن يكون مسلماً ، وأن يكون مستجمعاً شروط الإمامة ، وأن يكون التغلب حال كون الإمامة شاغراً أو حال كونه واقعاً على متغلب آخر .

٦- يتمثل ضابط استقرار الأمر للمتغلب في أمرين: الأول: أن يُتَيَقَّنَ أو يغلب على الظن عدم مدافعتة وردّ بغيه ، بحيث يصير الحال إمّا قبول حكم المتغلب - وإن كان ارتكب ما ارتكب - ، أو الدخول في منازعة واقتتال بلا قدرة بما يؤدي إلى مفاسد عظيمة من زيادة الفتنة ، وإراقة مزيد من الدماء . الثاني: أن تؤيِّده أغلبية الناس - المنتمين لدولته - ، ويزعنون ويقروون له ، ويتتابعون على قبول تغلبه وبيعته .

٧- أنه تصحُّ إمامة المتغلب وتتعد له للضرورة - حتى وإن كان الإمام السابق متولياً بالاختيار أو الاستخلاف ، ولم يكن المتغلب مستجمعاً شروط الإمامة - ؛ حيث حثت الشريعة الغراء على وحدة الأمة الإسلامية ونبذ الفرقة والخلاف ، قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ... (١٠٣) ﴾ (آل عمران) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) ﴾ (الأنفال) ، ولا يمكن لهذه الوحدة السياسية أن تتحقق دون أن يكون المسلمون مجتمعين حول إمامٍ - وإن كان متغلباً - ، ذلك أن من مقاصد الإمامة جمع شمل المسلمين ، وارتباط الأهواء المتفاوتة ، وليس بخافٍ على ذوي البصائر أنَّ الدول إنما تضطرب بتحزب الأمراء ، وتفرق الآراء ، وتجادب الأهواء ، وعلى الرِّغم من أنَّ جمع المسلمين يعتبر أحد مقاصد الإمامة ، فإنَّ الإمامة والتنازع عليها قد تسبب في كثيرٍ من الصراعات بين أبناء الأمة الإسلامية على مرِّ العصور والأزمان ... ، وإنَّه باستقراء تاريخ الدولة الإسلامية على مرِّ العصور والأزمان نلحظ أنَّ معظم الحروب والنكبات

نتجت عن الخروج على الحكام المتغلبين ، وانطلاقاً من ذلك فإن مقاومة الحاكم المتغلب الذي يملك القوة والشوكة مدعاة إلى تفريق الأمة الإسلامية ، وتشتيت شملهم ، ولذلك فإن عقد الإمامة له ، والإقرار لحكمه فيه حفاظاً على هذه الوحدة ... ، ولكن إذا استقرَّ أن رأي جمهور الفقهاء هو جواز إمامة المتغلب وانعقادها له ، وأنه هو الرأي الصحيح الذي يلزم المصير إليه حفاظاً على وحدة الدولة الإسلامية ، فإن تبني جمهور الفقهاء لهذا المذهب - وترجيحه من قبل الباحث - إنما هو من باب الضرورة فقط ، امتثالاً للقاعدة الفقهية : " الضرورات تبيح المحظورات " ... ، فنحن أمام حالة ضرورة يقوم فيها متغلب غير مقدرٍ عليه بخلع الحاكم الشرعي من السلطة ، ولا يمكن إعادة هذا الحاكم الشرعي إلى الحكم بلا إحداث فتنة وإراقة للدماء ، مع ما يغلب على الظن من عدم تغيير شيءٍ من الواقع ، بل سيزداد الواقع سوءاً وتعقيداً ، وتشخيص الحالة من الناحية الشرعية يجعلنا بين مفسدتين : مفسدة تضييع حقِّ الحاكم الشرعي المخلوع في الحكم ، ومفسدة الفتنة وإراقة الدماء وزيادة المنكر ، ونحن مخاطبون ، بارتكاب أخفِّ الضررين ، ودرء الأفسد بالفساد ، فنحكم بجواز إمامة المتغلب وصحة انعقادها له ، فحين يقول شخص : إنني لا أستطيع أن أصليَّ مستقبل القبلة ، فهل أصلي لأبي جهة أم أترك الصلاة ؟ ، فليس يصحُّ أن نجيب عليه : بأنه يجب على المسلم أن يحافظ على استقبال القبلة ، وأنها من شروط صحة الصلاة ، وتضييعها من تضييع الصلاة ؛ لأنَّ الحالة حالة ضرورة بحيث إنه إما

يصلي إلى غير القبلة أو يترك الصلاة ، وليس في حال اختيار أن يصلّي الشخص إلى القبلة أو غيرها

وبناءً عليه: يتبين أن السكوت عن المتغلب، والحكم بصحة انعقاد الإمامة له، ليس إقراراً لظلمه، ولا دفاعاً عنه، ولا دعماً له، وإنما هو فقط نزول على ما تقتضيه الضرورة الشرعية، ومراعاة لما يحقق مصالح الأمة ...

٨- أن الحاكم المتغلب إذا استقرت له الأمور، بتأييد جماهير الأمة له طوعاً أو كرهاً، يصير إماماً للضرورة، بحيث يكون كالإمام الذي جاء إلى الحكم بالاختيار أو الاستخلاف من حيث الحقوق والواجبات ، فلا يجوز قتاله والخروج عليه ، وينقسم الخارجون عن طاعة الإمام المتغلب - بعد استقرار الأمر له - إلى : محاربين ، وبغاة ... ، ولكلٍ منهما أحكامٌ خاصّة به مفصلة في ثنايا البحث .

٩- أنه إذا تأملنا النصوص الإسلامية الواردة في كيفية التعامل مع الحاكم المتغلب الظالم سيتبين لنا أن الإسلام يقدم لنا منظومة متكاملة لحلّ هذه الإشكالية - الخروج على الحاكم - ، ولا يمكن إغفال أيّ من عناصر هذه المنظومة حتى تؤتي ثمرتها المرجوة ، وتتخلص عناصر هذه المنظومة فيما يلي : الأول : إصلاح الرّعية ، الثاني : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الثالث : تحريم الطاعة في المعصية ، وقصر الطاعة على المعروف ، الرابع : تحريم منابذة الحاكم بالسيف ، ما لم يترك الصلاة ، وما لم يظهر كفرًا بواحا .
وهذه العناصر مفصلة في ثنايا البحث .

دور الخطاب الديني المرئي في مواجهة تطرف الشباب: دراسة تطبيقية

إعداد

الباحثة / مروة أحمد رياض المنصوري

يناير ٢٠١٥

دور الخطاب الديني المرئي في مواجهة تطرف الشباب: دراسة تطبيقية

مقدم من الباحثة/مروة أحمد رياض المنصوري

مقدمة:

إن للإعلام دوراً حيوياً في تكوين الوجدان والسيطرة على عقول الشباب وتوجيههم فكانت مهمة الجماعات الدينية الأصولية تدعيم أفكارها عبر وسائل الإعلام واعتناق مبادئ محددة خاصة وإن كانت لا تتفق ما يرتضيه المجتمع. (١)

ومن هنا بدأ الاهتمام بقضية التطرف ضمن القضايا الرئيسية التي يهتم بها الكثير من المجتمعات المعاصرة فهي قضية يومية حياتية تمتد جذورها في التكوين الهيكلي للأفكار والمثل والأيدولوجيا التي يرتضيها المجتمع فالفكر المتطرف شأنه شأن أي نسق معرفي ظاهرة اجتماعية تتأثر وتؤثر في غيرها من ظواهر مرتبطة إلى حد كبير بالظروف التاريخية والسياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من ظروف يتعرض لها المجتمع. (٢)

(١) جعفر عبد السلام : الإسلام وتطوير الخطاب الديني لمواجهة الحملة الشرسة ضد الإسلام والمسلمين ، أعمال ندوة عقدت بجامعة السويس ، سلسلة فكر المواجهة ، العدد الثالث ، ٢٠٠٢ ، ص ١٦١ .

(٢) محمد أحمد بيومي : التطرف والعنف في المجتمع المصري ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ١٩٩٣م ، ص ٢٠ .

وقد تعرض الخطاب الديني لحالة من الانقسام والتشردم إلي
أيديولوجيات مختلفة وبالتالي خطابات دينية متعددة ومتصارعة ومزيد من
التكك في كثير من قضايا الفكرية والدعوية والوقوع ضحية الإفراط وفقدان
الوسطية. (٣)

وبعد ثورة ٣٠ يونيو بدأت قطاعات عريضة من الشباب الإسلامي
تحت مسارات جديدة مستقلة في التفكير والفعل عن المسارات المركزية وفي
اتجاهات أكثر توافقية خاصة بعد فشل حكم الإخوان في إعادة التوازن بين
المؤسسات السياسية والسيادية وعلاقتها بالمجتمع والمواطن بما يجدد كيان
الدولة بجانب خروج بعض الشباب من أسر تصورات التدين التقليدي
للمؤسسات الرسمية والبدء في تفكير مستقل بشأن الدين ودوره يطالب بخطاب
ديني له ركيزة حقوقية ومدنية. (٤)

وبدأ الأزهر الشريف باعتباره المرجعية الإسلامية للأمة الإسلامية
ويمثل بوسطيته واعتداله حضناً قويا لوحدة المجتمع في مواجهة الفكر التكفيري
والتفسيرات المتطرفة والعنيفة التي ظهرت بعد ٣٠ يونيو بشكل واضح من
خلال تصحيح المفاهيم المغلوطة وشرح أصول الدين والذي كان بارزاً في
صياغة خطاب ديني واع رشيد يتأسس بنيانه علي القرآن الكريم والسنة النبوية

(٣) نبيل عبد الفتاح : الخطاب الديني في وسائل الإعلام المصرية (مقاربة أولية) ، قسم
التنمية الثقافية ، منتدى حوار الثقافات ، الهيئة الانجليزية للخدمات الاجتماعية ،
٢٠٠٦ ، ص ٢٠١ .

(٤) هبة رؤوف عزت : ما بعد الإسلامية (نظرة نقدية) ، مجلة الديمقراطية ، العدد ٥٢ ،
مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، اكتوبر ٢٠١٣ م ، ص ١١٥ .

الشريفة والاجتهادات التي تلقاها المجتمع بقبول سواء من خلال وسائل الإعلام أو الخطب الدينية أو الندوات أو المؤتمرات.^(٥)

أولاً : مشكلة الدراسة:

تعكس الفضائيات الدينية محاوله للتحكم بإعادة تسويق الخطاب الديني وترتيب القيم الدينية وفق سياسات الحفاظ على البنى الاجتماعية أو اللعب بالتوازنات الدينية التقليدية داخل هذه البنى كما أن أزمة الفراغ الفكري التي تركها ندرة وجود مؤسسة دينية قادرة على انتاج خطاب ديني له مصداقية ، وظهر خطابا دينيا راديكاليا اتخذ من الدين ستارا للصراعات السياسية في اطار تعدد وتناقضات مواقع القوى وسيطرة هذا الخطاب على الحياة السياسية في مصر مما أدى الى اتسام الخطاب بالعنف الفكري الذي أصبح يهدد السلم الاجتماعي ويفكك النسيج الاجتماعي، وبعد ثورة ٣٠ يونيو كان لابد للأزهر الشريف وأهل السنة بما يمثله من مرجعية دينية للمسلمين ان يأخذ المبادرة لتصحيح المفاهيم وتحرير المقولات التي أساء المتطرفون توظيفها في خطابهم المرئى تجاه الشباب ورفع الصوت الإسلامي عاليا ضد التطرف.

وقد جاءت هذه الدراسة لتحليل دور الخطاب الديني المعتدل فى مواجهة أوجه التطرف الفكري للشباب الجامعي.

(٥) أحمد الطيب : **مواجهة التطرف والإرهاب** ، مؤتمر الأزهر الشريف لمواجهة الإرهاب والتطرف في الفترة من ١١ إلى ١٢ صفر ١٤٣٦هـ الموافق ٣ إلى ٤ ديسمبر ٢٠١٤م ، مجلة الأزهر ، الجزء ٣ ، السنة ٨٨ ، ديسمبر ٢٠١٤م / يناير ٢٠١٥م ، ص ٥٢٣.

ثانياً: أهداف الدراسة:

الهدف الرئيسي:

التعرف على دور الخطاب الديني المرئي في مواجهة تطرف الشباب

وينبثق من الهدف الرئيسي مجموعه من الاهداف الفرعية وهى :

١- التعرف على نوعية القيم التى يبيتها الخطاب الدينى فى البرنامج الدينى.

٢- التعرف على نوعية البرامج الدينية المفضلة لدى أفراد العينة بالقنوات الدينية الفضائية المتخصصة.

٣- الكشف عن القضايا التى يناقشها الخطاب الدينى فى البرنامج الدينى.

٤- التعرف على مدى معالجة الخطاب الدينى لانماط التطرف الفكرى فى البرنامج الدينى.

ثالثاً : تساؤلات الدراسة:

التساؤل الرئيسي:

ما دور الخطاب الدينى المرئى فى مواجهة تطرف الشباب؟

وينبثق من التساؤل الرئيسى مجموعه من التساؤلات الفرعية وهى:

٥- ما نوعية القيم التى يبيتها الخطاب الدينى فى البرنامج الدينى؟

٦- ما نوعية البرامج الدينية المفضلة لدى أفراد العينة بالقنوات الدينية الفضائية المتخصصة؟

٧- ما القضايا التى يناقشها الخطاب الدينى فى البرنامج الدينى؟

٨- ما مدى معالجة الخطاب الدينى لانماط التطرف الفكرى فى البرنامج الدينى؟

رابعاً : مفاهيم الدراسة:

١- تعريف الخطاب لغوياً:

(خاطبه) مخاطبة، وخطاباً : كالمه وحادثه أو وجه اليه كلاماً ويقال: خاطبه فى الامر: حدثه بشأنه(وتخاطبا) تكالما وتحادثا(والخطاب):الكلام والرسالة وفصل الخطاب :ما يتصل به الامر من الخطاب وفى القرآن الكريم "وأتيناه الحكمة وفصل الخطاب" والخطاب المفتوح : خطاب يوجه الى بعض أولى الامر علانية (والخطب) الحال والشأن وفى القرآن الكريم قال "فما خطبكم أيها المرسلون" والامر الشديد الذى يكثر فيه الخطاب^(٦).

٢- تعريف الخطاب اصطلاحاً: (Discourse concept)

هو الكلام الذى يتكلم به المتكلم لاطهار حجة وإيراد دليل وتوضيح معنى والفصل فى القول بتفاوت الناس فى القدرة على ذلك، كما يقصد به القصد الذى ليس فيه اختصار مخل ولا إشباع ممل^(٧).

٣- تعريف الخطاب الدينى الإسلامى: Islamic religious discourse

يستخدم "أحمد زايد" مفهوم الخطاب الدينى ليشير الى مجموعة النصوص المكتوبة والمسموعة التى تصدر عن المؤسسات الدينية او عن أفراد يمثلون هذه

(٦) مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٢٠٢

(٧) سعيد مراد: الخطاب الإسلامى المعاصر ومقوماته، بحث مقدم ضمن اعمال ندوة الاسلام وتطوير الخطاب الدينى بجامعة السويس، سلسلة فكر المواجهة (مواجهة الحملة الشرسة ضد الاسلام والمسلمين)، العدد الثالث ، الطبعة الاولى، رابطة الجامعات الاسلامية، السويس، ٢٠٠٢م، ص٣٨

المؤسسات أو يتخذون موقفاً ذا صبغة دينية وتظهر هذه النصوص في شكل كتب أو خطب أو مقالات صحفية أو نشرات^(٨).

يعرفه دكتور "كمال المنوفى" أنه مجمل الأقوال والأفعال التي تنطلق من مرجعية دينية والتي ينتجها أو يدعو إليها من لهم سلطان معرفى أو سلطان روحى فالفقهاء منتجون لخطاب دينى وشيخ الأزهلا منتج لخطاب دينى ومفتى الديار المصرية منتج لخطاب دينى وأمراء الجماعات الإسلامية منتجون لخطاب دينى وطذلك مجموعة المرتزقة الذين يتاجرون بالدين والذين يكتبون فى كتبهم واسعة الانتشار عن موقف الإسلام من المرأة وموقف الإسلام فى أمور كثيرة وحتى هؤلاء الذين يكتبون عن عذاب القبر هم منتجون لخطاب دينى^(٩).

تعريف الخطاب الإسلامى المرئى اجرائيا :

رساله من مرسل الى مستقبل بهدف التأثير عليه وإقناعه بمضمون الرسالة التي تنطلق من مفاهيم وأهداف ومقاصد الإسلام والاستناد إلى القرآن الكريم والسنة النبوية كأطر مرجعية للمرسل وقد تشتمل الرسالة على جميع

^(٨) أحمد زايد: صور من الخطاب الدينى المعاصر (خطاب المؤسسة والنخبة)، دار

العين، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٧

^(٩) كمال المنوفى: مشروع حال تجديد الخطاب الدينى فى مصر، الكلمة الافتتاحية لأعمال

ندوة حال تجديد الخطاب الدينى فى مصر، الطبعة الأولى، المجلد الأول، مركز

البحوث والدراسات السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة

القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ١٥

نواحي الحياة من سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية وليس النواحي الدينية الشعائرية البحتة.

٤- تعريف التطرف :

1- التعريف اللغوي Language Definition:

الطائفية : التعصب لطائفة معينة.

الطائفة : المجموعة من الشيء وجماعة من الناس يجمعهم مذهب أو رأي يمتازون به.^(١٠)

يعرف لسان العرب التطرف كالاتي :

- تحويل المصدر إلى فعل ماض (طرف)
- بمعنى : الطرف : طرف العين والطرف : إطباق الجفن علي الجفن.
- والطرف : تحريك الجفون في النظر يقال : شخص بصره فما يطرف.
- الطرف : إصابتك عينا بثوب أ، غيره يقال : طرفت عينه وأصابتها طرفة وطرفها الحزن بالبكاء.
- واستطرف الشيء أي عده طريفا واستطرفت الشيء : استحدثته ، وقولهم : فعلت ذلك في مستطرف الأيام أي في مستأنف الأيام ، واستطرف الشيء وتطرفه واطرفه : استنفاذه ، ٢١٣ ، ٢١٤ / تطرف الشيء صار طرفاً ... وتطرفت الشمس أي دنت للغروب.^(١١)

^(١٠) مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٩٧.

^(١١) ابن منظور الاقريقي : لسان العرب ، المجلد التاسع ، دار صادر ، بيروت ، ص ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

يعرف "سمير نعيم" التطرف بأنه أسلوب مغلق للتفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل أية معتقدات تختلف عن معتقدات الشخص أو الجماعة أو التسامح معها ويتسم هذا الأسلوب بنظرة إلى المعتقد تقوم على ما يلي:

- أن المعتقد صادق صدقاً مطلقاً وأبدياً.
- يصنع لكل زمان ومكان.
- لا مجال للمناقشة ولا للبحث عن أدلة تؤكده أو تنفيه.
- إدانة كل ما يخالف المعتقد.
- المعرفة كلها بمختلف قضايا الكون لا تستمد إلا من خلال هذا المعتقد دون غيره.
- الاستعداد لمواجهة الاختلاف في الرأي أو حتى التفسير بالعنف.^(١٢)

تعريف التطرف الفكري إجرائياً:

التطرف الفكري هو الخروج عن القواعد الفكرية أو القانونية التي يرتضيها المجتمع لأي موقف من المواقف الحياتية وتبنى قيم ومعايير مخالفة له.

^(١٢) سمير نعيم أحمد: الدين في المجتمع العربي (المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الديني)، مركز دراسات الوحدة العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، بيروت، ١٩٩٠، ص ١١٣ : ١١٧.

خامسا: الإجراءات المنهجية للدراسة:

أولاً: نوع الدراسة:

تتنمى هذه الدراسة الى نمط الدراسات الوصفية التي تهدف الى وصف وتحليل الخطاب الدينى المرئى حيث تحليل نوعية القيم التي يبيثها الخطاب ، نوعية البرامج الدينية المفضلة لدى أفراد العينة، القضايا التي يناقشها الخطاب الدينى ومدى معالجته لأنماط التطرف الفكرى.

ثانياً: منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على منهج المسح الاجتماعى بالعينة حيث أن مجتمع الدراسة ممتد ويصعب حصره حصرا كاملا وتم استخدام المنهج على عينة عشوائية بسيطة من الشباب الجامعى قوامها (٢٠٠) مفردة بعدد (٢) كليات نظرى، و(٢) كليات عملى بجامعة الفيوم.

كما اعتمدت الدراسة على منهج تحليل المضمون للبرامج الدينية الاكثر مشاهدة من قبل الشباب الجامعى بالقنوات الدينية الاكثر مشاهدة بهدف التعرف على نوعية القيم التي يبيثها الخطاب، نوعية البرامج الدينية المفضلة لدى أفراد العينة،القضايا التي يناقشها الخطاب الدينى ومدى معالجته لأنماط التطرف الفكرى.

ثالثاً: أدوات الدراسة:

اعتمدت الدراسة على أداة الاستبيان وقد صممت الاداة وفقا لأهداف الدراسة وتساؤلاتها وتم تطبيقها على عينة الدراسة.

كما تم استخدام اداة تحليل المضمون لتحليل عينة البرامج الدينية الاكثر مشاهدة قوامها (٣) برامج دينية باجمالى عدد حلقات (٩١) حلقة وهما

: برنامج خواطر (١١)، برنامج انسان جديد، برنامج فكر، وقد صممت الاداة وفقا لأهداف الدراسة وتساؤلاتها.

رابعاً: الاساليب الإحصائية المستخدمة:

تم استخدام برنامج الSPSS أو (Statistical package for social sciences) "الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية"، وهو عبارة عن حزم حاسوبية متكاملة لإدخال البيانات وتحليلها. ويستخدم عادة في جميع البحوث العلمية التي تشتمل على العديد من البيانات الرقمية ولا يقتصر على البحوث الاجتماعية فقط بالرغم من أنه أنشأ أصلاً لهذا الغرض، ويعتبر من أفضل الأدوات في تحليل شتى أنواع البحوث العلمية، وقد تم استخدام اختبار (T-Test) لتحليل دلالة الفروق الجوهرية بين أفراد العينة حول توجهاتهم نحو البرامج الدينية ورؤاهم حول الخطاب الديني المرئي وظاهرة التطرف.

وحدات التحليل :

تم الاعتماد على العديد من وحدات التحليل مثل:

١- **الوحدة الطبيعية** للمادة الاعلامية أى الحلقة البرمجية كوحدة واحدة .

٢- **وحدة الموضوع** أى التعرف على القضايا والقيم التى يبيتها الخطاب الدينى وكيفية معالجتها.

٣- **وحدة الشخصية** أى دراسة نوعية وسمات الشخصية الرئيسية وهى مقدم البرنامج.

١- **وحدة المساحة** والزمن وهى الفترة الزمنية للحلقة البرمجية المذاعة بالدقائق.

٢- وحدة الكلمة وهى دراسة الالفاظ واللهجات المستخدمة

بالبرنامج.

فئات التحليل:

فئة دورية إذاعة البرنامج، فئة توقيت بث البرنامج، مدة البرنامج، القلب الفنى للبرنامج، اللغة المستخدمة، الجمهور المستهدف، مكان التسجيل، الجانب الصوتى للبرنامج، ديكور البرنامج، نوع مقدم البرنامج، مجال القضايا من قضايا دينية أو أخلاقية أو اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية، نوع القيم المقدمة من قيم دينية وأخلاقية، اجتماعية، سياسية، ثقافية، اقتصادية، معالجة الخطاب الدينى لانماط التطرف الفكرى من عرض مجرد لها ثم تنفيذها والاستشهاد بآيات قرآنية وأحاديث شريفة تنفى التفسيرات الخاطئة للدين وعرض لقصص من التاريخ الاسلامى للمسلمين وتجارب لهم.

رابعاً: مجالات الدراسة:

١- المجال البشرى:

وهى العينة البشرية للدراسة وتتمثل في عينة عشوائية بسيطة قوامها (٢٠٠) طالب وطالبة من الكليات النظرية والعملية بجامعة الفيوم من الفئة العمرية من (١٩:٢٠) وتتمثل في الفرقة الرابعة في كل كلية وقد تم تقسيم العينة كالاتي :

- (٥٠) مفردة في كلية دار العلوم (كلية نظرية).
- (٥٠) مفردة في كلية حاسبات ومعلومات (كلية نظرية).
- (٥٠) مفردة في كلية الهندسة (كلية عملي).
- (٥٠) مفردة في كلية علوم (كلية عملي).

الإجمالي (١٠٠) طالب وطالبة بالكليات النظرية ، و (١٠٠) طالب وطالبة بالكليات العملية، وقد تم اختيار طلاب الفرقة الرابعة حيث وصلوا في مرحلة من التعلم داخل الكلية وحققوا نوعاً من التوجهات السياسية ورؤيته للحياة بشكل عام.

- العينة البرمجية :

وهي عينة البرنامج الديني الأكثر مشاهدة من قبل عينة الدراسة وتتمثل في (٣) برامج دينية بإجمالي (٩١) حلقة وهي كالتالي :

- ١- برنامج خواطر (١١) بعدد (٣٠) حلقة.
- ٢- برنامج إنسان جديد بعدد (٢٩) حلقة.
- ٣- برنامج فكر بعدد (٣١) حلقة.

٢- المجال المكاني:

ويتمثل في مكان تطبيق العينة البشرية للدراسة وهو جامعة الفيوم بمحافظة الفيوم بعدد (٢) كلية نظرية وهما : (كلية دار العلوم ، كلية حاسبات ومعلومات) ، عدد (٢) كلية عملية (كلية هندسة ، كلية علوم) وقد تم اختيار جامعة الفيوم حسب محل إقامة الباحثه وتم ايضا اختيار عدد (٢) كلية نظرية ، (٢) كلية عملية وذلك لاختلاف التوجهات السياسية والدينية للشباب بالكليات العملية والنظرية.

٣-المجال الزمني:

وهو فترة جمع البيانات من مفردات العينة البشرية والبرمجية وهي:من الفترة (١/٣/٢٠١٦م : ١/٥/٢٠١٦م) .

نتائج الدراسة:

أسفرت نتائج الدراسة عن الآتي:

جدول رقم (١)

يوضح العلاقة الارتباطية بين أفراد العينة نحو نوعية القيم التي يناقشها

الخطاب الديني بالقنوات الفضائية الإسلامية وفق نمط الكلية

| T-test | | الإجمالي | | الكليات العملية | | الكليات النظرية | | نوعية القيم التي يناقشها الخطاب الديني بالقنوات الفضائية الإسلامية |
|---------|---------|----------|-----|-----------------|-----|-----------------|-----|--|
| القيمة | الدلالة | % | ك | % | ك | % | ك | |
| ٠,٠١ | ٢,٦٢ | ١٤,٨١ | ٣٦ | ٣٠,٠٠ | ٢٤ | ١٣,٦٤ | ١٢ | أ- قيم سياسية |
| ٠,٢٨ | ١,٠٨ | ٢١,٤٠ | ٥٢ | ٣٥,٠٠ | ٢٨ | ٢٧,٢٧ | ٢٤ | ب- قيم اجتماعية |
| ٠,٤٦ | ٠,٧٥ | ٤٧,٧٤ | ١١٦ | ٦٦,٢٥ | ٥٣ | ٧١,٥٩ | ٦٣ | ج- قيم دينية |
| ٠,١٩ | ١,٣٢ | ١٢,٣٥ | ٣٠ | ١٣,٧٥ | ١١ | ٢١,٥٩ | ١٩ | د- قيم ثقافية |
| ٠,٢٤ | ١,١٧ | ٣,٧٠ | ٩ | ٧,٥٠ | ٦ | ٣,٤١ | ٣ | هـ- قيم علمية |
| ١٦٦=ح.د | | ١٠٠ | ٢٤٣ | ١٠٠ | ١٢٢ | ١٠٠ | ١٢١ | المجموع |

يشير الجدول السابق إلى أن الطلاب يرون أن نوعية القيم التي يناقشها الخطاب الديني بالقنوات الفضائية الإسلامية هي القيم الدينية بنسبة (٧١,٥٩%) للكليات النظرية ، (٦٦,٢٥%) للكليات العملية ، يليها القيم الاجتماعية بنسبة (٢٧,٢٧%) للكليات النظرية ، (٣٥%) للكليات العملية.

ويشير ما سبق أن من أهم القيم التي يناقشها الخطاب الديني والتي جاءت في مقدمة نوعية القيم هي القيم الدينية وذلك حسب طبيعة الخطاب المقدم كخطاب ديني يركز أولاً على مناقشة القضايا والقيم الدينية التي تتعلق بسلوكيات الفرد وأخلاقياته في الحياة اليومية والعبادات والعقائد والمعاملات

والأخلاق يليها مناقشة القيم الاجتماعية في المرتبة الثانية وقد اتفقت دراسة (محمد علي غريب)^(١٣) مع الدراسة الحالية حيث ترى أن أهم القيم التي ناقشها الخطاب الديني في البرنامج الديني هي القيم الدينية ويليها القيم الاجتماعية . يوضح الجدول أنه لا توجد فروق دالة إحصائية بين طلاب الكليات العملية والنظرية في نوعية القيم التي يناقشها الخطاب الديني بالقنوات الفضائية الإسلامية ولكن توجد فروق دالة إحصائية في القيم السياسية لصالح الكليات العملية.

جدول رقم (٢)

يوضح دلالة الفروق الجوهرية بين أفراد العينة نحو البرامج المفضلة لديهم

وفق نمط الكلية

| T-test | | الإجمالي | | الكليات العملية | | الكليات النظرية | | أفضل اثنين من البرامج التي تفضل مشاهدتها من برامج القنوات الفضائية الإسلامية |
|--------|---------|----------|----|-----------------|----|-----------------|----|--|
| القيمة | الدلالة | % | ك | % | ك | % | ك | |
| ٠,٩١ | ٠,١١ | ٢٧,٤٤ | ٤٥ | ٣٢,٤٣ | ٢٤ | ٢٣,٣٣ | ٢١ | خواطر |
| ٠,٨١ | ٠,٢٥ | ١١,٥٩ | ١٩ | ٩,٤٦ | ٧ | ١٣,٣٣ | ١٢ | انسان جديد |
| ٠,٩١ | ٠,١١ | ١٠,٣٧ | ١٧ | ٤,٠٥ | ٣ | ١٥,٥٦ | ١٤ | فكر |
| ٠,٨١ | ٠,٢٥ | ٩,١٥ | ١٥ | ١٤,٨٦ | ١١ | ٤,٤٤ | ٤ | فتاوى |
| ٠,٩١ | ٠,١١ | ٨,٥٤ | ١٤ | ٤,٠٥ | ٣ | ١٢,٢٢ | ١١ | التفسير |

(١٣) محمد علي غريب : دور البرامج الدينية بالقنوات الفضائية العربية في التنقيف الديني لدي لطاب الجامعات ، دراسة ميدانية ، بحث منشور ، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام ، المجلد السادس ، العدد الثاني ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، يونيه / ديسمبر ٢٠٠٥ م.

| | | | | | | | | |
|----------|------|------|-----|------|----|------|----|-------------------|
| ٠,٠٦ | ١,٩١ | ٣,٠٥ | ٥ | ٠,٠٠ | ٠ | ٥,٥٦ | ٥ | سيرة الصحابة |
| ٠,٦٢ | ٠,٥٠ | ٣,٦٦ | ٦ | ٠,٠٠ | ٠ | ٦,٦٧ | ٦ | خطباء المستقبل |
| ٠,٦٢ | ٠,٥٠ | ٣,٦٦ | ٦ | ٠,٠٠ | ٠ | ٦,٦٧ | ٦ | ضع بصمتك |
| ٠,٨١ | ٠,٢٥ | ٢,٤٤ | ٤ | ٤,٠٥ | ٣ | ١,١١ | ١ | المسلمون يتساءلون |
| ٠,٤٠ | ٠,٨٥ | ٦,١٠ | ١٠ | ٦,٧٦ | ٥ | ٥,٥٦ | ٥ | ليلة في بيت النبي |
| ٠,٣٤ | ٠,٩٥ | ٢,٤٤ | ٤ | ٢,٧٠ | ٢ | ٢,٢٢ | ٢ | عيش اللحظة |
| ٠,٤٢ | ٠,٨١ | ٢,٤٤ | ٤ | ٤,٠٥ | ٣ | ١,١١ | ١ | خطوات الشيطان |
| ٠,٦٨ | ٠,٤٢ | ١,٨٣ | ٣ | ٤,٠٥ | ٣ | ٠,٠٠ | ٠ | دنيا ودين |
| ٠,٦٨ | ٠,٤٢ | ١,٨٣ | ٣ | ٤,٠٥ | ٣ | ٠,٠٠ | ٠ | عمار الارض |
| ٠,٤٠ | ٠,٨٥ | ١,٨٣ | ٣ | ١,٣٥ | ١ | ٢,٢٢ | ٢ | سواعد الاخاء |
| ٠,٦٨ | ٠,٤٢ | ١,٨٣ | ٣ | ٤,٠٥ | ٣ | ٠,٠٠ | ٠ | سحر الدنيا |
| ٠,٦٨ | ٠,٤٢ | ١,٨٣ | ٣ | ٤,٠٥ | ٣ | ٠,٠٠ | ٠ | فضفضة |
| ١٦٦=د.ح. | | ١٠٠ | ١٦٤ | ١٠٠ | ٧٤ | ١٠٠ | ٩٠ | المجموع |

يوضح الجدول السابق أن أكثر البرامج الدينية مشاهدة من قبل أفراد العينة برنامج خواطر بنسبة (٢٣,٣٣%) بالكليات النظرية ، (٣٢,٤٣%) بالكليات العملية ، يليها برنامج إنسان جديد بنسبة (١٣,٣٣%) بالكليات النظرية ، (٩,٤٦%) بالكليات العملية ، يليها برنامج فكر بنسبة (١٥,٥٦%) بالكليات النظرية ، (٤,٠٥%) بالكليات العملية.

وتشير النتيجة السابقة إلى أن هذه البرامج من أكثر البرامج الدينية تفضيلاً من قبل أفراد العينة حيث تتسم بالواسطية واتسامها أيضاً بالموضوعية والشمولية في معالجة القضايا التي تتناولها والحرص على عرض أكثر من جانب من الجوانب المرتبطة بكل قضية والاستناد إلى الأطر المرجعية الإسلامية ، كما أن مقدمي هذه البرامج من علماء الدين وخريجي جامعة الأزهر ، وتناقش هذه البرامج قضايا دينية وأخلاقية اجتماعية مرتبطة بالواقع

المعاصر وتعطي حلول مقترحة لتلك القضايا وبعضها تطبيقي يمكن تفعيله داخل المجتمع لذلك تجذب الشباب وتؤثر ايجابياً في اتجاهاتهم الدينية .
ويبين الجدول أنه لا توجد فروق دالة احصائية بين طلاب الكليات النظرية والعملية في البرامج الدينية الاكثر مشاهدة.

جدول رقم (٣)

يوضح العلاقة الارتباطية بين أفراد العينة نحو أكثر الموضوعات التي يركز

عليها البرنامج الديني وفق نمط الكلية

| T-test | | الإجمالي | | الكليات العملية | | الكليات النظرية | | أكثر الموضوعات التي يركز عليها البرنامج الديني بهذه القنوات |
|---------|---------|----------|-----|-----------------|-----|-----------------|-----|---|
| القيمة | الدلالة | % | ك | % | ك | % | ك | |
| ٠,٣٩ | ٠,٨٦ | ٢٣,٧٨ | ٧٣ | ٢١,٤٨ | ٣٢ | ٢٥,٩٥ | ٤١ | أ- قصص الأنبياء وسير الصحابة وسيرة النبي(ص) |
| ٠,٤٩ | ٠,٦٩ | ٢٣,٧٨ | ٧٣ | ٢٤,٨٣ | ٣٧ | ٢٢,٧٨ | ٣٦ | ب- علوم القرآن كالتفسير والاعجاز |
| ٠,٦١ | ٠,٥١ | ٢٢,١٥ | ٦٨ | ٢٢,٨٢ | ٣٤ | ٢١,٥٢ | ٣٤ | ج - تناقش قضايا اجتماعية مرتبطة بالواقع مثل الزواج والميراث الملابس الاسلامي للمرأة |
| ٠,٤٦ | ٠,٧٤ | ٩,٤٥ | ٢٩ | ٨,٠٥ | ١٢ | ١٠,٧٦ | ١٧ | د- الروحانيات |
| ٠,٧٣ | ٠,٣٤ | ١٣,٠٣ | ٤٠ | ١٣,٤٢ | ٢٠ | ١٢,٦٦ | ٢٠ | هـ- الفتاوى |
| ٠,٣٣ | ٠,٩٧ | ٥,٥٤ | ١٧ | ٦,٧١ | ١٠ | ٤,٤٣ | ٧ | و- التجديد الديني |
| ٠,٦١ | ٠,٥١ | ٢,٢٨ | ٧ | ٢,٦٨ | ٤ | ١,٩٠ | ٣ | ز- ظاهرة التطرف |
| ١٦٦=د.ج | | ١٠٠ | ٣٠٧ | ١٠٠ | ١٤٩ | ١٠٠ | ١٥٨ | المجموع |

يتضح من الجدول السابق يرى طلاب الكليات النظرية أن أكثر الموضوعات التي يركز عليها البرنامج الديني والتي جاءت في المرتبة الأولى هي قصص الأنبياء وسير الصحابة وسيرة النبي (ص) بنسبة (25.95%) ،

يليهما في المرتبة الثانية علوم القرآن كالتفسير والإعجاز بنسبة (٢٢,٧٨%) ، أما طلاب الكليات العملية يرون أن أكثر الموضوعات التي يركز عليها البرنامج الديني والتي جاءت في المرتبة الأولى علوم القرآن كالتفسير والإعجاز بنسبة (٢٤,٨٣%) يليها في المرتبة الثانية قصص الأنبياء وسيرة الصحابة وسيرة النبي (ص) بنسبة (٢١,٤٨%) وقد أكدت دراسة (منى سمير محمد) أن أكثر الموضوعات التي يركز عليها الدعاة الإسلاميين بالبرامج الدينية هي سيرة الأنبياء والصحابة ، علوم القرآن مما يدل على رغبة الطلاب في تنمية الثقافة الدينية لديهم من خلال وسائل الإعلام المرئية باعتبارها أحد المصادر الأساسية في الحصول على المعرفة الدينية .^(١٤)

جدول رقم (٤)

يوضح كيفية معالجة الموضوعات الدينية لأنماط التطرف الفكري في الحلقات البرامجية

| البرامج | | فكر | | إنسان جديد | | خواطر (١١) | |
|--|--|-----|-------|------------|-------|------------|-------|
| المتغيرات | | ك | % | ك | % | ك | % |
| الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تنفي التفسيرات الخاطئة للدين | | ٢٠ | ٣٣,٣٣ | ٢٢ | ٣٣,٣٣ | ١٥ | ٣٣,٣٣ |
| عرض لقصص من التاريخ الاسلامي للمسلمين . | | ٢٠ | ٣٣,٣٣ | ٢٢ | ٣٣,٣٣ | ١٥ | ٣٣,٣٣ |
| تفسير صحيح الدين من خلال أقوال ووجهات نظر أئمة | | ٢٠ | ٣٣,٣٣ | ٢٢ | ٣٣,٣٣ | ١٥ | ٣٣,٣٣ |

^(١٤)منى سمير محمد محمد: دور الدعاة الإسلاميين بالقنوات الفضائية فى تنمية الاتجاه الدينى لعينة من المراهقين،رسالة ماجستير غير منشورة،قسم الاعلام وثقافة الطفل،معهد الدراسات العليا للطفولة،جامعة عين شمس،القاهرة،٢٠٠٩م.

| | | | | | | |
|------|----|------|----|------|----|----------------|
| | | | | | | الفقه الاسلامي |
| %١٠٠ | ٤٥ | %١٠٠ | ٦٦ | %١٠٠ | ٦٠ | الاجمالي |

يوضح الجدول السابق كيفية معالجة البرامج الدينية الأكثر مشاهدة من قبل أفراد العينة لأنماط التطرف الفكري وجاءت طرق المعالجة لهذه الظاهرة من خلال الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تنفي التفسيرات الخاطئة للدين ، وتفسير صحيح الدين من خلال أقوال أئمة الفقه الإسلامي، وعرض قصص من التاريخ الإسلامي للمسلمين بنسبة (٣٣,٣٣%) حيث أن تقديم الحجج والبراهين في الموضوع الواحد أكثر فعالية وأقدر على التعبير لدى الشباب ولتوضيح مصداقية مصدر المعلومات ومقدم البرامج في عرض محتوى الحلقة .

تحليل نتائج الدراسة:

أشارت نتائج الدراسة المتعلقة بالتساؤل الأول إلى أنواعية القيم التي

يبثها الخطاب الديني في البرنامج الديني تتمثل في الآتي:

- نوعية القيم التي يناقشها الخطاب الديني بالقنوات الفضائية الاسلامية والتي جاءت في المرتبة الاولى هي القيم الدينية يليها في المرتبة الثانية القيم الاجتماعية يليها في المرتبة الثالثة القيم الثقافية.

أشارت نتائج الدراسة المتعلقة بالتساؤل الثاني الى ان توجهات

الشباب الجامعي نحو البرامج الفضائية الاسلامية المفضلة لديهم تتمثل

فيما يلي:

- أن أكثر البرامج الدينية التي يفضل الطلاب مشاهدتها من برامج القنوات الفضائية الإسلامية و التي جاءت في المرتبة الاولى برنامج خواطر (١١) يليها في المرتبة الثانية انسان جديد يليها في المرتبة الثالثة برنامج فكر .

أشارت نتائج الدراسة المتعلقة بالتساؤل الثالث إلى أن القضايا التي يناقشها الخطاب الديني في البرنامج الديني تتمثل في الآتي:

- يرى طلاب الكليات النظرية أن أكثر الموضوعات أو القضايا التي يناقشها الخطاب الديني في البرنامج الديني والتي جاءت في المرتبة الاولى هي قصص الانبياء وسير الصحابة وسيرة النبي (ص) يليها في المرتبة الثانية انه يناقش علوم القرآن كالتفسير والاعجاز أما طلاب الكليات العملية يرون أن أكثر الموضوعات التي يناقشها الخطاب الديني هي انه يناقش علوم القرآن كالتفسير والاعجاز يليها أنه يناقش قضايا اجتماعية مرتبطة بالواقع مثل الزواج والميراث والملبس الاسلامي للمرأة.

أشارت نتائج الدراسة المتعلقة بالتساؤل الرابع أن معالجة الخطاب الديني لانماط التطرف الفكري تمثلت في الآتي:

- الاستشهاد بالآيات القرآنية والاحاديث الشريفه التي تنفي التفسيرات الخاطئه للدين وتفسير صحيح الدين من خلال أقوال أئمة الفقه الاسلامي وعرض لقصص من التاريخ الاسلامي للمسلمين.

- شكلت الأطر المرجعية الإسلامية النسبة الأكبر من الأطر المرجعية التي استندت اليها البرامج حيث كان في مقدمة تلك الأطر القرآن الكريم يليه الأحاديث الشريفه يليه أقوال أئمة الفقه الاسلامي.

- مثلت قصص التاريخ غير الاسلامى مقدمة الاطر المرجعية التاريخية التى اعتمدت عليها البرامج الدينية يليها قصص التاريخ الاسلامى.
- استعانت البرامج بالاطر المرجعية الاجتماعية والى جاء فى مقدمتها مواقف من الواقع المعاصر للمسلمين بنسبة (٣٧,٣٦%) يليه مواقف من الواقع المعاصر لغير المسلمين بنسبة (٢,١٩%).
- اعتمدت برامج الدراسة فى الأطر المرجعية العلمية على نتائج البحوث العلمية بنسبة (٥٠,٣٤%) يليها النظريات العلمية بنسبة (٢٠,٣٤%).

خاتمة وتوصيات:

- ناقش الخطاب الدينى القيم الدينية بالبرامج الدينية عينة الدراسة، وجاءت نوعية القضايا التى تناولها الخطاب الدينى فى القضايا الدينية بهدف رفع مستوى الوعى الدينى للشباب خاصة بعد ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣م، وركز الخطاب على مواجهة بعض أنماط التطرف الفكرى التى سادت فى الفترة ما بين ٢٥ يناير ٢٠١١م ، ٣٠ يونيو ٢٠١٣م من خلال عرض المفاهيم الخاطئة عن الاسلام ونبذها وتقديم صحيح الدين فيها من خلال الاستشهاد بالآيات القرآنية والاحاديث الشريفة بجانب أقوال أئمة الفقه الاسلامى حول هذا المفهوم، وشكلت الأطر المرجعية الاسلامية النسبة الأكبر من الأطر المرجعية التى استندت اليها البرامج.

وتوجه الباحثة بعض التوصيات للاستعانة بها فى الدراسات المستقبلية

وتتمثل فى الاتى:

- ضبط الخطاب الدينى وتفعيل دور الأئمة فى طرح ما يخدم قضايا الشباب المعاصرة ، ودعوة المؤسسات والمراكز البحثية لاجراء الدراسات الميدانية

التي تختص بتحليل الاوضاع الحالية والمستقبلية فى تناول الخطاب الدينى للتحديات الدينية والاجتماعية التى تواجه الشباب فى الفترة الحالية ، ودور الخطاب الدينى فى تنمية الوعى الدينى والاجتماعى لدى الشباب.

قائمة المراجع

- ابن منظور الافريقي : لسان العرب ، المجلد التاسع ، دار صادر ، بيروت .
- أحمد الطيب : مواجهة التطرف والإرهاب ، مؤتمر الأزهر الشريف لمواجهة الإرهاب والتطرف فى الفترة من ١١ إلى ١٢ صفر ١٤٣٦ هـ الموافق ٣ إلى ٤ ديسمبر ٢٠١٤ م ، مجلة الأزهر ، الجزء ٣ ، السنة ٨٨ ، ديسمبر ٢٠١٤ م / يناير ٢٠١٥ م .
- أحمد زايد: صور من الخطاب الدينى المعاصر(خطاب المؤسسة والنخبة) ، دار العين، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- جعفر عبد السلام : الإسلام وتطوير الخطاب الدينى لمواجهة الحملة الشرسة ضد الإسلام والمسلمين ، أعمال ندوة عقدت بجامعة السويس ، سلسلة فكر المواجهة ، العدد الثالث ، ٢٠٠٢ م.
- سعيد مراد:الخطاب الاسلامى المعاصر ومقوماته،بحث مقدم ضمن اعمال ندوة الاسلام وتطوير الخطاب الدينى بجامعة السويس،سلسلة فكر المواجهة (مواجهة الحملة الشرسة ضد الاسلام والمسلمين)،العدد الثالث ، الطبعة الاولى،رابطة الجامعات الاسلامية،السويس،٢٠٠٢م.
- سمير نعيم أحمد: الدين فى المجتمع العربى (المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الدينى)، مركز دراسات الوحدة العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، بيروت، ١٩٩٠م.
- مجمع اللغة العربية:المعجم الوجيز،وزارة التربية والتعليم،القاهرة،١٩٩٧م.
- محمد أحمد بيومي : التطرف والعنف فى المجتمع المصرى ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ١٩٩٣ م .

- محمد علي غريب : دور البرامج الدينية بالقنوات الفضائية العربية في التنقيف الديني لدي لطاب الجامعات ، دراسة ميدانية ، بحث منشور ، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام ، المجلد السادس ، العدد الثاني ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، يونيه / ديسمبر ٢٠٠٥م.
- منى سمير محمد محمد: دور الدعاة الاسلاميين بالقنوات الفضائية فى تنمية الاتجاه الدينى لعينة من المراهقين،رسالة ماجستير غير منشورة،قسم الاعلام وثقافة الطفل،معهد الدراسات العليا للطفولة،جامعة عين شمس،القاهرة،٢٠٠٩م.
- نبيل عبد الفتاح : الخطاب الديني في وسائل الإعلام المصرية (مقاربة أولية) ، قسم التنمية الثقافية ، منتدي حوار الثقافات ، الهيئة الانجليزية للخدمات الاجتماعية ، ٢٠٠٦م.
- هبة رؤوف عزت : ما بعد الإسلاموية (نظرة نقدية) مجلة الديمقراطية ، العدد ٥٢ ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، اكتوبر ٢٠١٣م.

أثر دلالة حروف المعاني في توجيه الحكم الفقهي "أحكام القرآن للجصاص" نموذجاً

إعداد

الباحث/عشري أحمد على سالم

يناير ٢٠١٥

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف رسله وأنبيائه. يأتي هذا البحث في إطار العلاقة بين المعنى النحوي والحكم الفقهي ، وهي علاقة قائمة وبارزة تناولها الأصوليون والفقهاء في مؤلفاتهم ، وكان لحروف المعاني نصيب وافر في توجيه الأحكام الفقهية . وهذا البحث يتناول بعض النماذج التي تظهر أثر دلالة الواو من حروف العطف ، ودلالة (من) و (الباء) من حروف الجر في توجيه الحكم الفقهي من خلال كتاب "أحكام القرآن" للإمام أبي بكر الجصاص .

النموذج الأول:

قال تعالى: "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ". آل عمران ٧-

اختلف أهل العلم في حكم العلم بالمتشابه على قولين:

القول الأول: ذهب أصحابه إلى أن المتشابه بما اختص الله سبحانه العلم به فلا يعلم تأويله أحد غيره، ولا يجوز لأحد الخوض في تفسيره أو تأويله وهو قول ابن مسعود وأبي بن كعب وعائشة ومالك بن أنس وقول جماعة من أهل اللغة منهم: الكسائي ، والأخفش ، وأبي عبيد وغيرهم . (١) .

(١) انظر : "معاني القرآن" للفراء ١٩١/١ ، و"مفاتيح الغيب" الرازي ٦٠٢/٢

و"البحر المحيظ" لأبي حيان ٢٨٤/٣ ، و"إرشاد الفحول" للشوكاني ص ٢٣

و"الكشاف" للزمخشري ٥٢٩/١ ، و"تفسير القرطبي" ٢٥/٥

و"معاني القرآن" ٣٥١/١ ،

القول الثاني: أن الراسخين في العلم داخلون في العلم بالمتشابه وتأويله ، وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن والربيع بن أنس^(١) . وقد اعتمد الفريقان في القولين السابقين على دلالة (الواو) في قوله تعالى: "والراسخون في العلم" فأصحاب القول الأول يرون أن (الواو) للاستئناف ، فيكون الوقف في القراءة على قوله : (إلا الله) ، أما الفريق الثاني فيذهب إلى أن (الواو) للعطف أو الجمع ، فيكون الوقف عند قوله تعالى: (والراسخون في العلم).

أدلة القائلين بأن الواو للاستئناف:

(١) يرى فريق من العلماء أن الواو في نسق الآية للاستئناف في قوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) وما بعده استئناف كلام آخر ، وقد أشار المرادي إلى ذلك بقوله: "الواو" التي يكون ما بعدها جملة غير متعلقة بما قبلها في المعنى ولا مشاركة له في الإعراب"^(٢)

فلما كانت الواو للاستئناف والجملة التي بعدها غير مرتبطة بما قبلها كان معنى الآية: أنا لمتشابه لا يعلم تأويله إلا الله ، ثم ابتدأ بكلام جديد وقال : "والراسخون في العلم يقولون أمانا به" ، فيكون "الراسخون" مرتفعاً بـ "يقولون"^(٣)

(١) انظر : "زاد المسير" لابن الجوزي ١/٣٥٤ ، "تفسير القرطبي" ٥/٢٥٥

و"الرسالة التدمرية" لابن تيمية ص ٥٨

و"المكتفي في الوقف والابتداء" لأبي عمرو الداني ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٢) "الجنى الداني في حروف المعاني" ص ١٩١ . تحقيق طه محسن ، جامعة الموصل ١٣٩٦ هـ

(٣) انظر : "معاني القرآن" للفراء ١/١٩١ ، والبحر المحيط ٢/٣٨٤

(٢) كما استدلوا بقراءة ابن عباس ^(١) : " ويقول الراسخون في العلم آمنة به " وهذا يؤكد كون الواو للاستئناف

أدلة القائلين بان الواو للعطف :

احتجوا بأن (الواو) في "الراسخون" للعطف وهو لمطلق الجمع ، فالراسخون معطوف على اسم الجلالة ، كأنه قال : وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يعلمونه ، ويرون أن هذا الأسلوب شائع وسائغ في اللغة ، وتكون الجملة فيه حالا ، وقد ورد مثل هذا في القرآن الكريم في قوله تعالى في قسم الفبيء "للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون" إلى قوله : "والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين ءامنوا ربنا إنك رؤوف رحيم" ^(٢) وهم لا محالة داخلون في استحقاق الفبيء كالأولين والواو فيه للجمع ، ثم قال تعالى : " يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا " معناه : قائلين : ربنا اغفر لنا ولإخواننا ، كذلك قوله تعالى : "والراسخون في العلم" يعلمون تأويل ما نصب لهم الدلالة عليه من المتشابهة قائلين :ربنا آمنة به ، فصاروا معطوفين على ما قبله داخلين في حيزه ^(٣) .

(٢) أما قراءة ابن عباس فليس فيها حجة قاطعة لنفي العلم بالمتشابهة عند الراسخين ، لأنه يجوز أن يكون تقدير الآية على هذه القراءة : " وما يعلم

(١) وهي قراءة شاذة ، انظر : " الوقف والابتداء" لأبي عمرو الداني ص ١٤٠ . و " الدرر المنثور في التفسير بالمأثور" لجلال الدين السيوطي " ٩١١هـ" ٧/٢ . تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للبحوث والدراسات القرآنية الإسلامية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

(٢) الحشر ٨-٩

(٣) "أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية" د/ عبد القادر السعدي ص ١٤٧، دار عمار ، الأولى ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

تأويله إلا الله والراسخون في العلم ويقول الراسخون في العلم آمنا به" فتكون إعادة لفظ الراسخين بالإظهار لا بالإضمار بيانا للمعنى المراد ، لأن العرب تجيز استبدال الضمير بالظاهر توضيحا للمعنى إذا لم يكن في جملة واحدة ، فان كان في جملة واحدة لم يجز إلا في ضرورة الشعر ، ووضع الظاهر موضع المضمرة في هذه الآية ما لم يكن في جملة واحدة بل في جملتين متعاطفتين ^(١) بهذين الدليلين احتجوا بأن الواو في "والراسخون" للعطف وهي لمطلق الجمع ، وحينئذ يكون الوقوف عليها ، أي : وما يعلم تأويل المتشابه إلا الله والراسخون في العلم ، وهو ما مال إليه النحاس بقوله : "وهذا أحسن ما قيل فيه"^(٢)

أما أبو بكر الجصاص فبعد أن ذكر اختلاف العلماء حول دلالة الواو في الآية وهل هي للعطف أم للاستقبال؟ أخذ في سرد قوله حول دلالة هذا الحرف في سياق الآية على النحو التالي:

يقول : " والذي يقتضيه اللفظ على ما فيه من الاحتمال أن يكون تقديره : وما يعلم تأويله إلا الله ، يعني تأويل جميع المتشابه على ما بينا والراسخون في العلم يعلمون بعضه قائلين آمنا به كل من عند ربنا ، يعني ما نصب لهم من الدلالة عليه في بنائه على المحكم ورده إليه وما لم يجعل لهم سبيل إلى علمه من نحو ما وصفنا ، فإذا علموا تأويل بعضه ولم يعلموا البعض قالوا : آمنا بالجميع كل من عند ربنا ، وما أخفى عنا علم ما غاب عنا علمه إلا لعلمه بما فيه من المصلحة لنا ، وما هو خير لنا في ديننا ودنيانا وما علمنا وما

(١) السابق نفسه ص ١٤٨

(٢) إعراب القرآن ١/٣١٠

يعلما ألا لمصلحتنا ونفعنا فيعرفون بصحة الجميع والتصديق بما علموا منه
وما لم يعلموه " (١)

٢- كما يستدل الإمام الجصاص على جواز مجيء (يقولون) حالا من
(الراسخين) قبلها دون لفظ الجلالة فيقول : "معناه ، والراسخون في العلم
يعلمون تأويل ما نصب لهم الدلالة عليه من المتشابهة قائلين : ربنا آمانا به
فصاروا معطوفين على ما قبله داخلين في حيزه ، وقد وجد مثله في الشعر ،
قال يزيد بن مفرغ الحميري(٢):

فالريح تبكي شجوه والبرق يلمع في الغمامة

والمعنى: والبرق يبكي شجوه لامعا في الغمامة ، وإذا كان ذلك سائغا في اللغة
وجب حمله على موافقة دلالة الآية في وجوب رد المتشابهة إلى المحكم ، فيعلم
الراسخون في العلم تأويله بالمحكم على معناه" (٣) .

(٣) كما يستدل الإمام الجصاص من جهة أخرى بان (الواو) لما كانت
حقيقتها ومقتضاها الجمع والعطف ولا يجوز حملها على الابتداء إلا بدلالة ولا
دلالة توجب صرفها عن الحقيقة فوجب استعمالها على الجمع (٤)

من خلال النظر إلى الرأيين السابقين في دلالة (الواو) وهل هي للاستئناف أم
للعطف؟ يتبين للباحث صحة الأخذ بكلام القولين كل حسب الحاجة إليه ،
فالرأي الأول هو الأسلم ، والثاني مراد عند الحاجة وهو الأقوى من الناحية
اللغوية لما يأتي :

(١) السابق نفسه / ٢ / ٢٨٣-٢٨٤

(٢) انظر السابق ٢/٢٨٣

(٣) السابق ٢/٢٨٣

(٤) أحكام القرآن ٢/٢٨٣

أولاً : الأصل الحقيقي للواو إن تكون عاطفة مفيدة معنى الجمع والاشتراك واستعمالها بغير هذا المعنى يكون من باب المجاز كما نقل ذلك السيوطي عن ابن كيسان وابن مالك^(١) ، وحمل اللفظ على الحقيقة أولبان لم يصرفه صارف عنها ، وعلى هذا فجعل الواو في (والراسخون) للجمع أولى لعدم القرينة التي تصرفها الى معنى الاستئناف كما أشار الجصاص في كلامه .

ثانياً : تسميتهم راسخين في العلم يقتضي أنهم يعلمون أكثر من الحكم الذي يستوى في علمه جميع من يفهم كلام العرب ، وفي إي شيء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلا ما يعلم الجميع ؟ لكن المتشابه يتنوع ، فمنه ما لا يعلم البتة كأمر الروح والساعة مما استأثر الله بغيبه ، وهذا لا يتعاطى علمه أحد لا من الراسخين ولا من غيرهم إما ما يمكن حمله على وجوه في اللغة ومناح من الكلام ، في تأول ويعلم تأويله ، ويزال ما فيه مما عسى إن يتعلق به من تأويل غير مستقيم ، كقوله في عيسى : "وروح منه" الى غير ذلك ، فلا يسمى أحد راسخاً ألا بأن يعلم من هذا النوع كثيراً بحسب ما قدر له"

(١) انظر "تفسير القرطبي" ٢٨/٥-٢٩ بتصرف

النموذج الثاني:

قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ
وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) ^(١). المائدة - ٦

دللت هذه الآية علي وجوب غسل الأعضاء المذكورة فيها لمن أراد التطهير للصلاة. وقد حصل خلاف بين العلماء في ترتيب غسل هذه الأعضاء فذهب فريق منهم إلي أن الترتيب واجب وهو رأي الشافعية وأحمد بن حنبل ^(٢) وذهب الفريق الآخر إلي أن الترتيب غير واجب وهو رأي أبي حنيفة والثوري والليث والأوزاعي وداود الظاهري، وبه قال أصحاب مالك المتأخرون ^(٣).

الدليل النحوي:

احتج الفريق الأول بأدلة منها:

- ١- أن الفاء في قوله: "فاغسلوا" حرف عطف دال علي الترتيب وهو مذهب البصريين ^(٤) فإذا لزم الترتيب بين القيام للصلاة وغسل الوجه فإنه يلزم الترتيب في الأعضاء المذكورة بعده، لأنها معطوفة عليه ^(٥).
- ٢- ربطت (الفاء) جواب الشرط "فاغسلوا وجوهكم" بفعل الشرط "إذا قمتم" والجواب يجب أن يكون مرتباً بكل ما يحويه علي فعل الشرط ^(١).

(١) المائدة (٦).

(٢) انظر: "بداية المجتهد" ١/١٦، و"تفسير القرطبي" ٧/٣٥٥.

و"المهذب" للشريازي ١/٨١٦، و"المغنى شرح الخرقى" ١/٩١.

(٣) انظر: "تفسير القرطبي" ٧/٣٥٥، و"بداية المجتهد" ١/١٦.

و"التمهيد" لابن عبد البر ٢/٨١-٨٢، و"المحلى" لابن حزم ١/٧٧.

(٤) انظر: "الجني الداني" ص ١٢١.

(٥) انظر: "أحكام القرآن" للجصاص ٣/٣٦٨.

٣- ما ذهب إليه بعض النحاة من أن (الواو) قد تفيد الترتيب، وقد نقل ذلك عن قطرب وثلعب وآخرين^(٢) فقط عطفت الأعضاء في بقية الآيات بالواو، فحمل الترتيب علي معناها في العربية، ولذلك يقول الروماني: "وهذا يؤيد مذهب الشافعي في أن الواو يجوز أن ترتب"^(٣).

أما ما احتج به الفريق الثاني فهو علي الوجه التالي:

١- ذهب جمهور النحاة إلي أن الواو لا تفيد الترتيب بل هي لمطلق الجمع، لأنه إذا قيل: (قدم زيد وبكر) فقد دلت علي جمعهما في القوم ولم تدل علي ترتيب بين قDOMهما. قال سيبويه: "وليس في هذا دليل على أنه بدأ بشيء قبل شيء، ولا بشيء بعد شيء"^(٤).

وقال ابن جني: "فمعنى الواو الاجتماع ولا دلالة فيها علي المبدوء به"^(٥) وقد زاد المرادي وأبو حيان في إيضاح هذا المعنى في قولنا : (قدم زيد وبكر) بأنه يحتمل ثلاثة أوجه:

الأول: أن يكون قدما معاً.

والثاني: أن يكون المتقدم قدم أولاً.

الثالث: أن يكون المتأخر قدم أولاً^(٦).

(١) انظر: "تفسير القرطبي" ٣٥٥/٧.

(٢) انظر: "معاني الحروف" للرماني ص ٦٠، و"الجنى الداني" ص ١٨٨، و"ارتشاف الضرب" ص ٥٣٩.

(٣) انظر: "معاني الحروف" ص ٦٠.

(٤) "الكتاب" لسبويه ١١٠/٣، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٧٧م.

(٥) "اللمع في العربية" لابن جني ص ١٧٨، تحقيق د. سيف محمد شرف، الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٦) انظر "الجنى الداني" ص ١٨٨، و"ارتشاف الضرب" ص ٥٣٨.

و"شرح جل الزجاجي" لابن عصفور ٢٢٦ تحقيق د. صاحب أبو جناح، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

- إذن فيكون المقصود من الآية غسل جميع هذه الأعضاء من غير التفتات إلي تقديم بعضها علي بعض أو تأخيرها.
- ٢- مما يقوى أن (الواو) ليست للترتيب في أصلها قوله تعالى: (فكيف كان عذابي ونذر)^(١) والإنذار قبل العذاب، وقوله تعالى (واسجدي واركعي مع الراكعين)^(٢) والركوع قبل السجود^(٣).
- ومن ذلك قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : "لا تقولوا ما شاء الله، وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان"^(٤).
- فلولا أنها لا تقيد الترتيب لما نهى عن القول: ما شاء الله وشاء فلان، لأنها في هذا المثل تحتمل تقديم مشيئة العبد علي مشيئة الله.
- وذلك منهي عنه، ولو كانت فيه للترتيب لما نهى عن ذلك حيث لا يحصل فيه هذا الاحتمال^(٥).
- ٣- لما كانت (الواو) تدخل في باب المفاعلة دل ذلك على أنها تقيد ترتيباً، فإذا قلنا: تصالح زيد وخالد، فإنها تدل علي جمعهما في المصالحة دون الدلالة علي الترتيب بينهما^(٦).
- ٤- إذا سلمنا بأن (الفاء) في قوله: "فاغسلوا" تدل علي الترتيب بين إرادة الصلاة والغسل فإننا لا نسلم به في دلالة (الواو) في الأعضاء الأخرى علي أنها للترتيب، وإنما علي جهة الجمع حتى لا نعطل (الواو) عن

(١) القمر (١٦).

(٢) آل عمران (٤٣).

(٣) انظر: "شرح المفصل" ١٢/١.

(٤) الحديث أخرجه أبو داود في "سننه" كتاب الأدب، باب لا يقال خبثت نفسي، برقم (٤٩٨٠).

(٥) انظر: معاني الحروف للرماني ص ٥٩.

(٦) تفسير القرطبي ٣٥٥/٧.

معناها الأصلي وهو مطلق الجمع، فيكون المراد غسل الأعضاء مرتبة أو غير مرتبة^(١).

والذي يراه الإمام الجصاص بطلان قول القائلين بإيجاب الترتيب في الوضوء ، وأنه يجوز تقديم بعضها علي بعض على ما يرى المتوضئ ، واستدل الجصاص علي هذا المذهب بأدلة تقوم علي دلالة العطف بالواو ومدى دلالتها علي عدم وجوب الترتيب في الآية وهي:
أولاً: قوله تعالي: (قمتم إلى الصلوة فاغسلوا) يدل من ثلاثة أوجه علي سقوط فرض الترتيب.

الوجه الأول: مقتضى ظاهرها جواز الصلاة بحصول الغسل من غير شرط الترتيب، إذ كانت الواو هنا عند أهل اللغة لا توجب الترتيب كما نقل عن المبرد وثلعب، وقالوا: إن قول القائل: رأيت زيدا وعمراً بمنزلة قوله: رأيت الزيدتين ورأيتهما، وكذلك هو في عادة أهل اللفظ. ألا ترى أن من سمع قائلاً يقول: رأيت زيدا وعمراً لم يعتقد في خيره أنه رأى زيدا قبل عمرو، بل يجوز أن يكون رأهما معاً وجائز أن يكون رأى عمراً قبل زيد، فثبت بذلك أن الواو لا توجب الترتيب^(٢).

الوجه الثاني: من دلالة الآية في قوله تعالي: (وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلي الكعبين) ولا خلاف بين فقهاء الأمصار أن الرجل مغسول معطوفة في المعنى علي الأيدي وتقديرها: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم وامسحوا برؤوسكم، فثبت بذلك أن ترتيب اللفظ على هذا النظام غير مراد به ترتيب المعنى.

(١) انظر: روح المعاني ٢/٢٦٤.

(٢) "أحكام القرآن" ٣/٣٦٨-٣٦٩.

الوجه الثالث: قوله تعالى في نهاية الآية: (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) وهذا يدل علي سقوط إيجاب الترتيب، لأن في إيجابه إثباتا للحرج ونفياً للتوسعة. كما أن في قوله: "ليطهركم" فأخبر أن المراد حصول الطهارة بغسل الأعضاء وهو متحقق بالترتيب وبغيره^(١).

ثانياً: وفي دليله الثاني يقول الجصاص: "إذا سلمنا بأن الفاء توجب ترتيب غسل أعضاء الوضوء عند أرادة الصلاة أو القيام إلي الصلاة وجواز اعتبار هذا اللفظ فيما يقتضيه من الترتيب، فإن الواو لا توجب ذلك ويصير تقدير الآية: إذا قمت إلي الصلاة فاغسلوا هذه الأعضاء، فيصير الجميع مرتباً علي القيام وليس يختص به الوجه دون سائرهما إذا كانت الواو للجمع فيصير كأنه عطف الأعضاء كلها مجموعة بالفاء علي حال القيام فلا دلالة فيه علي الترتيب، بل تقتضي سقوط الترتيب"^(٢).

فمحمل مذهب أبي بكر الجصاص عدم وجوب الترتيب بين أعضاء الوضوء؛ لأنه لا دلالة في الآية علي ذلك وإنما مدلولها يشير إلي مطلق الجمع. وأزيد علي ما استدلل به فأقول: لكي تكون الواو للترتيب فلا بد من قرينة تصرفها عن معناها الحقيقي إلي معناها المجازي، ولا قرينة في الآية. وفي ذلك يقول ابن كيسان: "هي للمعية - أي الجمع - حقيقة، واستعمالها في غيرها مجاز^(٣)،

(١) السابق ٣/٣٦٩-٣٧٠.

(٢) أحكام القرآن ٣/٣٦٨-٣٦٩ - بتصرف

(٣) "التسهيل" لابن مالك ١٧٤. تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، مصر، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م. و"مع الهوامع" ١/١٢٩.

ويقول ابن مالك في نفس المعنى: "وتنفرد الواو بكون متبوعها في الحكم محتملاً للمعية بـرجحان"^(١).

وقد أشار المرادي إلي القرينة الصارفة عن معنى الجمع في الواو بقوله: "إن الواو لها معنيان: معنى اجتماع فلا تبالي بأيها بدأت نحو: اختصم زيد وعمرو، ورأيت زيدا وعمراً إذا اتحد زمان رؤيتهما، ومعنى افتراق بأن يختلف الزمن فالمتقدم في الزمان يتقدم في اللفظ ولا يجوز أن يتقدم المتأخر"^(٢).

فقد جعل الزمن قرينة لحمل الواو علي الترتيب، والفراء يرى أنها لا تفيد الترتيب إلا في موضع لا يجوز فيه الجمع^(٣) والآية الكريمة يجوز فيها الجمع، لأن أعضاء الوضوء تجمع كلها في الغسل حتى تتم الطهارة، ولا يجوز ترك واحد منها، فالواو في الآية للجمع بلا ترتيب.

(١) "معجم الهوامع" ١/١٢٩.

(٢) "الجنى الداني" ١٨٨-١٨٩.

(٣) السابق ١٨٨-١٨٩.

النموذج الثالث:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ۚ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ
مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ
مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ۗ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ
فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (. المائدة - ٩٥

اختلف الفقهاء في المراد بالمثل في هذه علي قولين:

القول الأول: قول ابن عباس: إن المراد بالمثل مثله في الصورة والهيئة ، ففي
الأروى بقرة، وفي الظبية شاة، وفي النعامة بعير، وهو قول سعيد بن جبير
وقتادة ومذهب مالك والشافعي ومحمد بن الحسن من الأحناف ، وذلك فيما له
نظير من النعم، أما ما لا نظير له كالعصفور ونحوه ففيه القيمة^(١).

القول الثاني: وهو قول عطاء ومجاهد وإبراهيم في المثل: إنه القيمة وهو
مذهب أبي حنيفة وأبي يوسف، ويشترى بالقيمة هديا إن شاء وإن شاء اشترى
طعاماً وأعطى كل مسكين نصف صاع، وهو اختيار الإمام أبي بكر
الجصاص^(٢).

الدلي النحوي:

احتج أصحاب القول الأول بأن المراد بالمثل المثل من حيث الخلقة وهو
المتعارف عليه بين الناس، ومن هنا اعتبرت الآية نصاً في إيجاب المثل من
النعم من حيث الخلقة والهيئة مستدلين علي ذلك بأن (من) في نص الآية

(١) انظر: "بدائع الصنائع" ١٩٩/٢، و"مغنى المحتاج" للخطيب الشربيني ٥٢٦/١. و"أحكام القرآن" للكبيا
الهراسي ١٠٩/٣، و"تفسير القرطبي" ١٩٤/٨.

(٢) انظر: "الاستنكار" لابن عبد البر ١٧/١٢. و"أحكام القرآن" لابن العربي ٦٦٥/٢. و"تفسير القرطبي"
١٩٤/٨، و"البحر المحيط" لابي حيان ٢٣/٤.

جاءت للبيان، وهذا المعنى قال به جمهور النحاة^(١) وقد جعلوا من شروط بيانها للجنس أن تكون بعد اسم جنس^(٢) وهذا الشرط متحقق في هذه الآية، لأن اسم الجنس فيها هو لفظ (مثل) وإلى هذا ذهب الزمخشري معللاً ذلك بأن اسم الجنس جاء فيها منكرأ فيكون قوله "من نعم، بياناً وتفسيراً لذلك المثل^(٣)، و(من) التي لبيان الجنس إن وقعت بعد اسم جنس منكر كانت مع مجرورها في محل شبه جملة صفة لذلك الاسم النكرة كما في هذه الآية، لأن المعنى: فجزاء مثل ما قتل هو نعم ، ومثله قوله تعالي: (يحلون فيها من أساور من ذهب)^(٤) أي أساور هي ذهب^(٥) وإن وقعت بعد اسم جنس معرف بأل الجنسية كانت بمنزلة اسم الموصول كقوله تعالي: (فاجتنبوا الرجس من الأوثان)^(٦) أي الذي هو الأوثان^(٧) ، وقد فسرها الرماني بأنها تقوم مقام الصفة في الإيضاح^(٨) لأنها بعد نكرة.

وعلي هذا يكون المراد من الآية: إن الفداء الذي هو النعم يكون مشابهاً للصيد في الصورة والهيئة، وقد نسب أبو حيان هذا الرأي لجمهور العلماء^(٩).
أما القول الثاني وهو قول الأحناف بأن (من) ليست لبيان الجنس وإنما هي للقيمة ، فإن أدلتهم يعرضها الإمام الجصاص في أحكامه علي النحو التالي:

(١) انظر : "شرح التصريح علي التوضيح" ٨/٢.

(٢) انظر: "همع الهوامع" ٣٤/٢.

(٣) "الكشاف" ٤٣٤/١.

(٤) الكهف (٣١).

(٥) "شرح التصريح" ٨/٢.

(٦) الحج (٣٠).

(٧) انظر : "تفسير النسفي" ١٠١/٣، مطبعة عيسى البابلي الحلبي، مصر، بدون تاريخ.

(٨) انظر : "معاني الحروف" للرماني ١٦٦.

(٩) انظر: "البحر المحيط" ٣٢/٣.

الدليل الأول: أنا المثل ورد في اللغة والشرع بمعنى القيمة وبمعنى النظير من جنسه، وبمعنى النظير من النعم، وأصول الشرع تقتضي إيجاب القيمة أو النظير من جنسه، واتفقوا علي أن النظير من جنسه غير مراد ، فوجب أن يكون المثل المراد بالآية هو القيمة^(١).

الدليل الثاني: القرائن في الآية. حيث يرى الجصاص أن (من) ليست للبيان في هذه الآية، لأنه قد وردت بعض القرائن تدل علي ذلك في نسق الآية وهي: القرينة الأولى: قوله تعالي (من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفرة طعام مساكين أو عدل ذلك صيام) فلما وصله بما ذكر وأدخل عليه حرف التخيير (أو) ثبت بذلك أن ذكر النعم ليس علي وجه التفسير للمثل. ألا ترى أنه قد ذكر الطعام والصيام جميعاً وليساً مثلاً من حيث الهيئة والخلفة، وأدخل (أو) بينهما وبين النعم ولا فرق إذا كان ذلك ترتيب الآية بين أن يقول: فجزاء مثل ما قتل طعاماً أو صياماً أو من النعم هدياً، لأن تقديم ذكر النعم في التلاوة لا يوجب تقديمه في المعنى، بل الجميع مذكور بلفظ واحد معاً. ألا ترى أن قوله (فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة)^(٢) لم يقتض كون الطعام مقدماً علي الكسوة ولا الكسوة مقدمة علي العتق في المعنى، بل الكل كأنه مذكور بلفظ واحد معاً، كذلك قوله تعالي: (فجزاء مثل ما قتل) كلام تام بنفسه وقوله: "من النعم يحكم به ذوا عدل منكم) يمكن استعماله علي غير وجه التفسير للمثل ، فلم يجز أن

(١) اتفق فقهاء الأمصار فيمن استهلك عبداً أن عليه قيمته، وحكم النبي -صلى عليه وسلم- علي معتق عبد بينه وبين غيره بنصف قيمته إذا كان موسراً ، وروي عن جماعة من الصحابة أنهم أوجبوا في الحمامة شاة ولا تشابه بين الحمامة والشاة في المنظر فعلمنا أنهم أوجبوها علي وجه القيمة.

(٢) المائدة (٨٩).

يجعل المثل مضمنا بالنعم مع استغناء الكلام عنه، لأن كل كلام فله حكم غير جائز تضمينه بغيره إلا بدلالة تقوم عليه سواه.

النموذج الرابع:

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (

المائدة-٦

من أركان الوضوء التي تحدثت عنها الآية مسح الرأس والواجب فيه مسح مرة واحدة وهو ما اتفق عليه الفقهاء، ولكنهم اختلفوا في المقدار الواجب مسحه منه. فمشهور مذهب مالك^(١) التعميم - أي مسح جميع الرأس - وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل^(٢) في الراجح عنه، وهو ما مال إليه الإمام ابن تيمية^(٣) وذهب آخرون إلي أن الواجب مسح ربع الرأس وهو قول أبي حنيفة^(٤) بناء على أن الباء للتبويض والربع بعض الرأس، وذهب فريق آخر إلي أن الواجب مسح ما يصح إطلاق المسح عليه ولو بضع شعرات وهو رأي الإمام الشافعي^(٥).

(١) انظر: "المدونة الكبرى" ١٢٤/١ و "مواهب الجليل شرح مختصر خليل" ٢٩٢/١.

(٢) انظر: "المغني" لابن قدامة ٩٣/١.

(٣) انظر: "مجموع الفتاوى" ١٢٤/٢١.

(٤) انظر: "بدائع الصنائع" ٤/١ و "بداية المجتهد" ١١/١ و "البنية شرح الهداية" ١١١/١، ١١٢.

(٥) انظر: "الأم" ٢٦/١ و "معنى المحتاج" ٥٣/١.

وخلاف الفقهاء السابق يعود إلي خلاف مشهور بين النحاة ومعربي القرآن حول معاني الباء وهي كثيرة^(١) وورد في قوله تعالى: (وامسحوا برءوسكم) أربعة منها، وهي:

الأول: الزيادة^(٢) والمراد: امسحوا رؤوسكم، وقد أجاز النحاة مجيئها زائدة للتأكيد، وذكروا من مواضع زيادتها في المفعول كالأية التي معنا، ومنه قوله تعالى: (فطفق مسحاً بالسوق والأعناق)^(٣) أي : طفق يمسح السوق وقوله تعالى: (وهزي إليك بجزع النخلة)^(٤) ونقل أبو حيان عن سيبويه والفراء أن العرب تقول: حز رأسه وبرأسه، ومسحت رأسه وبرأسه، ويريدون معنى واحداً^(٥). فلما جاز كون الباء الداخلة على الرؤوس زائدة ، كان الأمر بالمسح متسلطاً علي جميع الرأس يقول الباقرلي: "فظاهر النص يقتضي استيعاب الرأس بالمسح ولكن السنة وردت بـمسح ربعه، لأن العرب تعبر عن كل شيء، بـربعه"^(٦).

(١) انظر هذه المعاني في: "شرح الكافية" ٨٠٦/٢، وارتشاف الضرب ٦٩/٤. و"شرح الألفية" لابن الناظم ص ٦٣م، و"مغنى اللبيب" ١٤٢/١. و"الجنى الداني" ص ١٠١.

(٢) انظر هذا المعنى في "المحرر الوجيز" ١٦٣/٢، و"البحر المحيط" ٤٥١/٣، و"الدر المصون" ٢٠٩/٤، وفتح القدير" ١٧/٢ و"الإتقان" للسيوطي ٤٦٤/١.

(٣) ص (٣٣).

(٤) مريم (٢٥).

(٥) "البحر المحيط" ٤٥١/٣.

(٦) "كشف المشكلات" للباقرلي ٣٤٢/١.

الثاني: التبعية^(١) وهذا قول الشافعي، قال: "وكان معقولاً في الآية أن من مسح من رأسه شيئاً فقد مسح برأسه ولم تحتل الآية إلا هذا وهو أظهر معانيها.. فمعنى الآية أن من مسح شيئاً من رأسه أجزاءه"^(٢).

وقد رد بعض الفقهاء والنحاة القول بأن الباء تفيد التبعية ومن هؤلاء ابن العربي المالكي، قال: "ظن بعض الشافعية وحشوية النحوية أن الباء للتبعية، ولم يبق ذو لسان رطب إلا وقد أفاض في ذلك حتى صار الكلام فيها إجلالاً بالمتكلم، ولا يجوز ذلك في العربية"^(٣)، وقال أبو حيان: "وكونها للتبعية ينكره أكثر النحاة، حتى قال بعضهم: وقال من لا خبرة له بالعربية: الباء في مثل هذا للتبعية، وليس بشيء يعرفه أهل العلم"^(٤).

وقال ابن جني "فأما ما يحكيه أصحاب الشافعي - رضي الله عنه - من أن الباء للتبعية فشيء لا يعرفه أصحابنا ولا ورد به ولا ثبت"^(٥).
إلا أنه رغم ما سبق من رد النحاة كون الباء للتبعية فقد أثبت معنى التبعية للباء جملة من النحاة منهم: الأصمعي^(٦) وابن قتيبة^(٧) والزجاجي^(٨)

(١) انظر هذا المعنى في: "الدر المصون" ٢٠٩/٤، و"تفسير أبي السعود" ١٠/٣ و"البيضاوي" ١٢٩٩/٢ و"فتح القدير" ١٧/٢، و"الإتقان في علوم القرآن" ٤٦٤/١.

(٢) "الأم" ٢٦/١، و"أحكام القرآن" للشافعي ٤٢/١.

(٣) "أحكام القرآن" ٦٤/٢.

(٤) "البحر المحيط" لأبي حيان ٤٥١/٣ وانظر معه "التبيان في إعراب القرآن" ٤٢٢/١.

(٥) "سر صناعة الإعراب" ١٢٣/١، لابن جني، تحقيق: دكتور حسن هندواي دار القلم، دمشق، الأولى، ١٩٨٥م.

(٦) انظر رأيه في: "شرح الكافية" ٨٠٦/٢، و"ارتشاف الضرب" ٦٩٦/٤، و"التصريح" ٤٣/٣.

(٧) انظر: "تأويل مشكل القرآن" ص ٣٠١.

(٨) انظر: "حروف المعاني" ص ٤٧.

وأبو علي الفارسي^(١) وابن مالك^(٢) وابن الناظم^(٣) وابن هشام^(٤) ونسب ذلك إلى الكوفيين^(٥).

الثالث: الإصاق^(٦) وبه قال الزمخشري قال: "المراد إصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه"^(٧).

وهذا المعنى هو الذي ذكره سيبويه، ولم يذكر غيره وهو أصل معاني الباء، قال: "وباء الجر إنما هي للإلحاق والاختلاط، وذلك قولك: "خرجت يزيد" و(دخلت به) و"ضربته بالسوط، ألزقت ضربك إياه بالسوط" فما اتسع من هذا في الكلام فهذا أصله"^(٨).

فالباء عنده في الأصل للإصاق، وكل معنى من المعاني الأخرى مرتبطة بهذا المعنى، فهي للإصاق حقيقة ومجازاً، ولما كانت (الباء) في الآية تحتل هذا المعنى كان الواجب مسح ربع الرأس كما ذهب أبو حنيفة وأصحابه، لأن المسح آلتة اليد، فإذا ألصقت برأس أخذت ربه.

الرابعة: الاستعانة^(٩) ويذهب أصحاب هذا الرأي إلي أن في الكلام حذفاً وقلباً فالأصل: امسحوا رؤوسكم بالماء.

(١) انظر: "شرح الكافية" ٨٠٦/٢، و"الجني الداني" ص ١٠٦.

(٢) انظر: "شرح الكافية" ٨٠٦/٢.

(٣) انظر: "شرح الألفية" لابن الناظم ص ٢٦٣.

(٤) انظر: "معنى اللبيب" ١٤٢/١، و"أوضح المسالك" ١٣٦/٢.

(٥) انظر: "الجني الداني" ص ١٠٦.

(٦) انظر هذا الرأي في: "الكشاف" ٦٤٤/١، و"المحرر الوجيز" ١٦٣/٢. و"التيبان في إعراب القرآن"

٤٢٢/١، و"البحر المحيط" ٤٥١/٣. و"الدر المصون" ٥٩/٤، و"فتح القدير" ١/٢.

(٧) "الكشاف" ٦٤٤/١.

(٨) "الكتاب" ٢١٧/٤.

(٩) انظر هذا الرأي في "البرهان في علوم القرآن" ٧/٤ هـ و"الإتقان" ٤٦٤/١.

أما الإمام الجصاص فإنه يرى أنه الواجب في مسح الرأس هو بعضه متبعاً في ذلك إمام المذهب أبا حنيفة، وهذا الحكم مستند فيه إلى دلالة الباء علي التبعية أو الإلصاق فكلا المعنيين دالان علي البعضية يقول أبو بكر الجصاص: "وقوله تعالي: (وامسحوا برؤوسكم) يقتضي مسح بعضه ، وذلك لأنه معلوم أن هذه الأدوات موضوعة لإفادة المعاني فمتى أمكننا استعمالها على فوائد مضمنة بها وجب استعمالها علي ذلك ، وإن كان قد يجوز دخولها في بعض المواضع صلة للكلام وتكون ملغاة نحو (من) هي مستعملة علي معان منها التبعية ثم قد تدخل في الكلام فتكون ملغاة وجودها وعدمها سواء ، ومتى أمكننا استعمالها علي وجه الفائدة وما هي موضوعة له لم يجز لنا إلغاؤها فقلنا من أجل ذلك أن (الباء) للتبعية"^(١).

ثم يدل الجصاص علي هذا الرأي بقوله: "أنك إذا قلت : مسحت يدي بالحائط"، كان معقولاً مسحها ببعضه دون جميعه، ولو قلت: "مسحت الحائط" كان المعقول مسح جميعه دون بعضه فقد وضح الفرق بين إدخال الباء وبين إسقاطها في العرف واللغة فوجب إذا كان ذلك كذلك أن نحمل ذلك علي البعض حتى نكون قد وفينا الحرف حظه من الفائدة وأن لا نسقطه فتكون ملغاة يستوي دخولها وعدمها"^(٢).

ويختم الجصاص كلامه بما يوضح أنه لا فرق بين أن تكون (الباء) للتبعية أو الإلصاق في دلالتها علي التبعية بقوله : "والباء وإن كانت تدخل

(١) "أحكام القرآن" ٣/٣٤٤.

(٢) السابق ٣/٣٤٤.

للإصاق لا ينافي كونها في ذلك للتبعيض، فنستعمل الأمرين فيكون مستعملاً للإصاق في البعض المفروض طهارته...
 ويدل على أنه قد أريد بها التبعيض في الآية اتفاق الجميع على جواز ترك القليل من الرأس في المسح والاقتصار على البعض، وهذا هو استعمال اللفظ على التبعيض"^(١).

خاتمة

أبرزت النماذج الدور الفعال الذي تقوم به حروف المعاني في ربط الكلام بعضه ببعض، وتحديد المراد منه، والإبانة عن المعاني، فقد يتحمل الحرف أكثر من معنى مما قد يؤدي إلي اختلاف الحكم الفقهي المستنبط من الآية بناء على تلك المعاني، كما ظهر ذلك من خلال دلالة (الواو) في النموذج الأول، هل هي للاستئناف أم للعطف؟ مما أدى إلي اختلاف أهل العلم في حكم العلم بالمتشابه هل هو مما اختص الله سبحانه العلم به أم أن الراسخين في العلم داخلون في العلم بالمتشابه؟

وفي دلالة (من) اختلف الفقهاء في المراد بالمثل في قوله تعالى: "فجزاء مثل ما قتل من النعم" هل هو المثل في الصورة والهيئة أم هو المثل في القيمة؟ وذلك بناء على الخلاف النحوي لدلالة (من) هل هي لبيان الجنس، فيكون المراد جنس المقتول من النعم. أم المقصود من الجنس هنا قيمة ما يساويه المقتول من النعم. وعلى هذا جاءت نماذج البحث.

والله تعالى المستعان

(١) السابق ٣/٣٤٥ بتصرف يسير.

أهم مصادر البحث ومراجعته

- (١) البحر المحيط: لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، تحقيق/الشيخان: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الأولى: ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
- (٢) الإتيان في علوم القرآن: للإمام السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط مكتبة دار التراث، بدون تاريخ.
- (٣) أحكام القرآن: لابن العربي الملكي (٥٤٣هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- (٤) أحكام القرآن: لعماد الدين محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي ٥٠٤هـ، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، الأولى ١٤٠٣هـ، ١٩٨٢م.
- (٥) ارتشاف الضرب من لسان العرب: لأبي حيان الأندلسي (٧٤٥) تحقيق: الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- (٦) الاستنكار: لأبي محمد يوسف بن عبد البر (٤٦٣هـ). تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي دار قتيبة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- (٧) إعراب القرآن : لأحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٣٣٨هـ) تحقيق: زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد ، ١٣٩٧هـ.
- (٨) الأم: للإمام محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ)تحقيق الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء المنصورة ، الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- (٩) أوضح المسالك إلي ألفية ابن مالك: لابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ) تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل، بيروت ، الخامسة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- (١٠) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: لأبي بكر الكسائي، مطبعة شركة المطبوعات العلمية، الأولى، مصر ، ١٣٢٧هـ.
- (١١) البرهان في علوم القرآن: لمحمد بن بهادر الزركشي (٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

- ١٢) البناية شرح الهداية: لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني (٨٥٥هـ): دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- ١٣) التبيان في إعراب القرآن: لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري. تحقيق: علي محمد البجاوي مطبعة عيسى البابي الحلبي مصر بدون تاريخ.
- ١٤) التسهيل لعلوم التنزيل: لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي (٧٤١هـ) ضبط وتخرّيج، محمد سالم هاشم، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الأولى ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥م.
- ١٥) التسهيل لعلوم التنزيل: للإمام أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي (٧٤١هـ). ضبط وتصحيح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى ١٤١٥-١٩٩٥م.
- ١٦) التصريح بمضمون التوضيح: للشيخ خالد الأزهرّي (٩٠٥هـ) تحقيق: دكتور عبد الفتاح بحيري ، الأولى : ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ١٧) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن: لمحمد بن أحمد القرطبي، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ١٨) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦هـ) ، تحقيق: الدكتور احمد الخراط، دار القلم، دمشق، سوريا، بدون تاريخ.
- ١٩) زاد المسير في علم التفسير: للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي (٥٩٧هـ) ط المكتب الإسلامي بدون تاريخ.
- ٢٠) شرح الأشموني علي ألفية ابن مالك: مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، بدون تاريخ.
- ٢١) شرح التسهيل: لابن مالك، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن السيد، والدكتور محمد بدوي المختون، وهجر للطباعة والنشر، الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٢٢) شرح شافية ابن الحاجب: لرضى الدين الاسترابادي دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

- (٢٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ) تحقيق وعناية: يوسف الغوشي دار المعرفة، بيروت، لبنان، الرابعة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- (٢٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: لأبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود. وعلى محمد معوض، مكتبة العبيكان - الرياض الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- (٢٥) كشف المشكلات وإيضاح المعضلات: لعلي بن الحسن الباقولي تحقيق: دكتور محمد أحمد الدالي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق بدون تاريخ.
- (٢٦) المجموع شرح المذهب: للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق تعليق: محمد المطيعي، مكتبة الإرشاد جدة، المملكة العربية السعودية، بدون تاريخ.
- (٢٧) المحرر الوجيز تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد بن عبد الحق بن غالب بن عطية (٥٤٦هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- (٢٨) مشكل إعراب القرآن: لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق، دكتور حاتم صالح الضامن، بغداد، ١٩٧٣م.
- (٢٩) معاني الفراء: أحمد يوسف بخاتي، محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٣٧٤٥هـ - ١٩٥٥م.
- (٣٠) مفاتيح الغيب: للإمام محمد ضياء الدين الرازي، المطبعة المصرية، بولاق، مصر ١٢٨٩هـ.
- (٣١) الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق/ فخر الدين قباوة، ومحمد نديم.
- (٣٢) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور، دار الكتب العلمي، بيروت، لبنان، الثانية، ١٩٩١م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣-١٩٩٢.
- (٣٣) شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، بدون.

٣٤) الكتاب لسبويه، تحقيق الأستاذ/ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الثالثة ،
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٣٥) شرح الكافية لابن الحاجب، لرقى الدين الاسترابادي تحقيق/ أحمد السيد صقر، المكتبة
التقنية ، مصر ، بدون.

٣٦) معاني الحروف لأبي الحسن الرماني، تحقيق الدكتور/ عبد الفتاح شلبي، دار الشروق
للنشر، الثالثة ، ١٩٨٤م.

٣٧) همع الهوامع، لجلال الدين السيوطي ، تحقيق، د/ عبد العال سالم مكرم، دار البحوث
العلمية ، الكويت ١٣٩٩م - ١٩٧٩م.

الوظائف النحوية التي بنيت شروطها الصرفية على الصيغ الصرفية العاملة : دراسة تطبيقية في ديوان بشار بن برد

الباحث/ محمد عبدالفتاح محمد

يناير ٢٠١٥

الوظائف النحوية التي بنيت شروطها الصرفية على الصيغ الصرفية العاملة

دراسة تطبيقية في ديوان بشار بن برد

الباحث/ محمد عبدالفتاح محمد

تنقسم عناصر الكلام إلى عدد من الوظائف النحوية داخل الجملة مكونة الأبواب النحوية ، فكل كلمة تشغل بابًا نحويًا تكتسب رتبة ، وتتغير هذه الرتبة حسب علاقاتها الإسنادية مع غيرها .

والإسناد عبارة عن ضم إحدى الكلمتين إلى الأخرى على وجه الإفادة التامة^١ ، وهذا الإسناد إما أصلي أو غير أصلي وهذا الأخير هو إسناد المصدر واسمي الفاعل والمفعول والصفة المشبهة وهو ما سوف يسلط البحث الضوء عليه هنا ، فقد جعله النحاة ناقصًا ؛ لأنه لا يكون مع معموله جملة .

أما السامرائي فقد تناوله من حيث الفضلة والعمدة حينًا فعندما تقول: رأيت المنطلق غلامه ، فهو إسناد ناقص ؛ لأنه فاعل لاسم الفاعل الذي هو فضلة هنا وهو المفعول به . فيقول: (هو إسناد المصدر واسمي الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والظرف ؛ فإنها مع ما أسندت إليه ليست بكلام ولا جملة)^٢ ، ويسميه الإسناد الناقص وهو ما ذكر فيه أحد الطرفين ولم يذكر الطرف الآخر لا لفظًا ولا تقديرًا، وذلك نحو إعمال الوصف الرفع لا لكونه مسندًا بل لكونه وصفًا ... مثل قوله تعالى في: "ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها"^٣ فأهلها

^١ (الجملة العربية تأليفها وأقسامها ٢٤

^٢ (الجملة العربية تأليفها وأقسامها ص ٢٥

^٣ (سورة النساء الآية ٧٠

فاعل لاسم الفاعل الواقع نعتًا، فهذا مسند ؛ لأن الرفع فضلة وليس عمدة ، فهذا إسناد ناقص... أما قوله الفائز أخواه حاضر ؛ فأخواه فاعل للفائز الذي هو مبتدأ وخبره حاضر ؛ فالفائز مبتدأ ، وهو مسند إليه وحاضر مسند فهذا إسناد تام ؛ أما أخواه فهو فاعل لاسم الفاعل لا لكونه مسندًا بل لكونه اسم فاعل فكل من الفائز وأخواه مسند إليه غير أن الفائز له مسند وهو الخبر ، فهو إسناد تام وأخواه ليس له مسند فهو إسناد ناقص... ولا يتألف الكلام إلا من الإسناد التام ، فاسم الفاعل وغيره من الصفات لا تكون جملة مع مرفوعها إلا إذا تجرد لأن يكون مسندًا لهذا المرفوع^١

فقد تعامل مع الإسناد من باب الفضلة والعمدة في الآية فكلمة ظالم نعت والنعت فضلة ، ولما رفع فاعلاً أصبح الإسناد ناقصًا ، أليس ذلك تأويلًا فيه شيء من المبالغة التي لا تتفق مع قواعد العربية؟!، فهو في البداية جعل الإسناد الناقص الذي لا يكون مع مرفوعه جملة ، ثم يعود ليعترض على نفسه ليجعل الظالم أهلها إسنادًا ناقصًا والفائز أخواه إسنادًا تامًا لأنهما من باب العمدة والفضلة ، لا باب أن الوصف العامل والمصدر إسنادهما إلى معمولهما ناقص.

ويرى البحث أنه كان على السامرائي فقط أن ينظر إلى أن الوصف يتميز عن غيره من أقسام الكلم ؛ بأنه يسند إلى غيره ويسند غيره إليه في نفس الوقت، وهي خاصية التعدد الوظيفي التي تتميز بها الوصف فقد يكون مبتدأ ، ويرفع فاعلاً ، وقد ينصب مفعولاً وقد يكون صفة أو حالاً ويرفع وينصب أيضًا.

^١ (الجملة العربية ٢٦)

والإسناد تحكمه بعض الضوابط والشروط التي وضعها النحاة ؛ لتمييز

كل باب عن غيره ومن هذه الشروط:

أولاً: الشرط الصرفي.

ثانياً: الشرط النحوي .

ثالثاً: الشرط الدلالي.

أولاً: الشرط الصرفي.

أما عن الشرط الصرفي فقد تناول النحاة شروطاً صرفية من حيث الاشتقاق والجمود ، والتعريف ، والتنكير، والإفراد ، والتنثية ، والجمع وغيرها من الشروط التي وضعها النحاة في تناولاتهم للباب النحوي ، وكان من بين هذه الأبواب أبواب يشترط فيها أن تكون وصفاً أو مصدرًا.

(أ) شرط الوصف:

وضع النحاة شرط الوصف من الشروط لعدد من الأبواب النحوية منها:

(١)الحال

الحال وصف فضلة منتصب والوصف جنس يشمل الخبر والنعته والحال^١ فالوصف شرط الحال غالباً عند النحاة يبين هيئة ما قبله ؛ من فاعل، أو مفعول به، ويوقع في جواب كيف مفهم في حال كفراداً أذهب حتى جعله سيبويه ضرباً من المفعول فيه^٢

وقد يقصد بالوصف الذي هو جنس يشمل الخبر والنعته والحال ، وهنا الوصف النحوي ، يكون وصفاً للمبتدأ ، أو المنعوت ، أو لصاحب والغالب في ثلاثتها

(١) أوضح المسالك ٢/٢٤٩ وشرح ابن عقيل ٢/٢٤٣ وقطر الندى ٢٣٤ والنحو الوافي ٢/٣٦٣

(٢) راجع الكتاب ٢/١٤٨

الاشتقاق وهو ما يؤكد ابن عقيل في تناوله للحال: (وخرج بقوله فضلة الوصف الواقع عمدة نحو زيد قائم وبقوله للدلالة على الهيئة التمييز المشتق)^١، وقول ابن معط: (الحال بيان هيئة الفاعل أو المفعول بنكرة مشتقة)^٢، فيغلب في الحال أن يكون أحد المشتقات التي هي أقسام الوصف.

٢) النعت

النعت لا يكون إلا مشتقاً ، فهو النَّاعِ الْمُشْتَقُّ أو المؤول به^٣ فهوالتابع المقصود بالاشتقاق وضعاً أو تأويلاً^٤

وقال السلسيلي معلقاً على صاحب التسهيل : المقصود بالاشتقاق ولم يقل المشتقة حتى صار التعيين به أكمل من العلم به^٥، ورغم تأكيد النحاة اشتقاقية النعت وتأكيد سيبويه على ذلك حيث ضعف النعت غير المشتق، إلا أن ابن الحاجب قال بأنه شرط غالب لا دائم فيقول: (ولا فرق بين أن يكون مشتقاً أو غيره ، لكن لما كان الأكثر في الدلالة على المعنى في المتبوع هو المشتق، توهم كثير من النحويين أن الاشتقاق شرط حتى تأولوا غير المشتق بالمشتق ، هذا كلامه ،-يقصد كلام ابن الحاجب- اعلم أن جمهور النحاة شرطوا في الوصف الاشتقاق ، فلذلك استضعف سيبويه: مررت برجل أسد، وصفاً، ولم يستضعف: يزيد أسداً حالاً ، فكأنه يشترط في الوصف، لا الحال ، الاشتقاق ،

^١ (شرح ابن عقيل ٢/٢٤٢)

^٢ (الفصول الخمسون لابن معط تحقيق الطناحي ١٨٦)

^٣ (قطر الندى ٢٨٣)

^٤ (شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ٣/٣٠٦)

^٥ (شفاء العليل في إيضاح التسهيل محمد بن عيسى السلسيلي تحقيق عبدالله البركاتي ٢/٧٤٧)

وفي الفرق نظر، والنحاة يشترطون ذلك فيهما معاً، والمصنف لا يشترطه فيهما، ويكتفي بكون الوصف دالاً على معنى في متبوعه، مشتقاً كان، أو لا^(١)، وعليه فهناك شبه إجماع من النحاة على اشتقاقية النعت ولم أجد رأياً يوافق ابن الحاجب - حسب علم البحث- فابن مالك يقول:

وأنت بمشتق كصعب وذرب... وشبهه كذا وذو المنتسب

ويعلق ابن عقيل على ذلك بقوله: (لا ينعت إلا بمشتق لفظاً أو تأويلاً)^(٢)، فشرط الاشتقاق عند كثير من النحاة دائم لا غالب .

(٣) الخبر

يأتي الخبر مشتقاً كما يأتي جامداً فيقول ابن عقيل : (أما المفرد فإما أن يكون جامداً أو مشتقاً... وإن كان مشتقاً فذكر المصنف أنه يتحمل الضمير نحو زيد قائم أي هو هذا إذا لم يرفع ظاهراً^(٣)، وعندما يأتي الخبر مشتقاً لا بد في متعلقه من ضمير عائد على المشتق لأنه يعمل عمل فعله فإذا كان الخبر في الحقيقة للمبتدأ أسند إلى ضمير المبتدأ في المعنى نحو زيد قائم أي هو^(٤) فالخبر هو وصف للمبتدأ في المعنى والحال وصف لصاحب الحال ومعنى هذا أن الأصل في الخبر أن يكون أحد الأوصاف الخمسة ذلك بأن

^(١) شرح كافية ابن الحاجب للرضي ٢/٢٨٩

^(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٣/١٩٥

^(٣) شرح ابن عقيل ١/٢٠٥

^(٤) أسرار النحو كمال باشا شمس الدين أحمد سليمان تحقيق أحمد حسن صادق دار الفكر عمان ١٠٨،

الوصف حامل لجرثومة الحدث بدلالته على موصوف بالحدث وهذا الحدث صالح أن يكون مسندًا ويتحمل الضمير عكس الاسم^١.

ويميل البحث إلى أن الأصل في الخبر الاشتقاق ، ويستقر في أغلب ظني أن شرط الاشتقاق في هذه الوظائف الثلاثة غالب ، كما أن اشتراك هذه الوظائف الثلاثة في شرط الاشتقاق أدى إلى اشتراكها في عدد من الأحكام ، مثل أن ثلاثتها تأتي جملاً ؛ لأن الوصف مع معموله في حكم الجملة ، وإن لم يرفع فاعلاً نحوياً فقد اشتمل على فاعل صرفي .

٤) المبتدأ :

هو اسم أو بمنزلة ، مجرد عن العوامل اللفظية أو بمنزلة ، مخبر عنه ، أو وصف رافع لمكتفى به^٢ ، فقد يأتي المبتدأ اسماً وقد يأتي وصفاً مستغنياً بمرفوعه في الإفادة وإتمام الجملة^٣ . وإذا جاء وصفاً فله شروط وهي شروط عمل الوصف التي ذكرها النحاة وقدم البحث بعضاً منها في الفصل الأول، وشروط في خبره ؛ الذي أصبح فاعلاً سد مسد الخبر^٤.

ويشرح صاحب معاني النحو ذلك بقوله: (الضرب الثاني من المبتدأ وهو أن يكون المبتدأ وصفاً اعتمد على نفي أو استفهام واكتفى بمرفوعه نحو (أقائم الزيدان)... فإذا رفع ما بعده فله ثلاثة أحوال وجوب الخبرية وجواز الأمرين ، وذلك إن لم يطابق ما بعده تعينت ابتدائيته نحو (أقائم أخواك) ف(أقائم) مبتدأ

^١ (البيان في روائع القرآن ٤٢)

^٢ (أوضح المسالك ١/١٨٦)

^٣ (راجع النحو الوافي ١/٤٤٢)

^٤ (راجع شرح ابن عقيل ١/١٨٩ و ١/١٩٢)

و(أخواك) فاعل سد مسد الخبر ، ... وإن طابق الوصف ما بعده في غير الأفراد وهو التثنية والجمع تعينت خبريته نحو (أقائمان أخواك وأقائمون أخوتك) فالوصف فيهن خبر مقدم والمرفوع بعده مبتدأ مؤخر ، ولا يجوز أن يكون الوصف فيهن مبتدأ ، والمرفوع فاعلاً سد مسد الخبر ؛ لأن الوصف إذا رفع ظاهراً كان حكمه حكم الفعل في لزوم الأفراد في اللغة الفصحى^١

٥) التمييز

الأصل في التمييز أنه جامد فلا يقوم بوظيفة تركيبية في الجمل، ولكن يفهم من كلام ابن عقيل أنه قد يأتي مشتقاً في قوله: (وخرج بقوله فضلة الوصف الواقع عمدة نحو زيد قائم ، وبقوله للدلالة على الهيئة التمييز المشتق نحو لله دره فارساً فإنه تمييز لا حال على الصحيح ؛ إذ لم يقصد به الدلالة على الهيئة بل التعجب من فروسيته ، فهو لبيان المتعجب منه لا لبيان هيئته)^٢

هذه الأبواب الستة أدى اشتراكها في الشرط الصرفي هذا ، إلى كثرة التأويلات وتعدد الإعرابات .

ب) شرط المصدر:

كان المصدر شرطاً صرفياً أساسياً في بابين مهمين هما المفعول المطلق والمفعول لأجله ، كما ساعدت مرونة العربية على إتيان المصدر مبتدأ وخبراً ومفعولاً به ومضافاً إليه ، كما جاء المصدر حالاً وصفة ، فهو من الشروط التي فتحت الباب على مصراعيه أمام تعدد الإعراب على النحو التالي:

^١ (راجع معاني النحو ١/١٥٠)

^٢ (شرح ابن عقيل ٢/٢٤٢)

(١) المفعول المطلق (المصدر)

من الناحية من أطلق على باب المفعول المطلق باب المصدر فهو المصدر الفضلة^١ ، وهو المصدر المنتصب توكيداً لعامله أو بياناً لنوعه وعدده ، وهذا التأكيد للفعل بتكرار لفظة في صورة المصدر القياسي المنصوب ويكون المصدر عاملاً في المفعول المطلق مثل عجبت من ضريك زيذاً ضرباً وكذلك الوصف ضارباً زيد ضرباً . فهو هو المصدر المفسر للشيء العام مطلقاً بغير قيد.

(٢) المفعول لأجله

المفعول لأجله ما انتصب من المصادر لأنه عذر^٢ ، يبين سبب ما قبله ، ويشارك عامله في الوقت ، وفي الفاعل ، وفرق الناحية بينه وبين المفعول المطلق ؛ بأنه مصدر لا من لفظ العامل فيه ، مقارنة له في الوجود أعم منه جواباً لقائل يقول لم^٣؟

وهو عند الكوفيين والزجاج مطلق لفعل محذوف ، ويرد الرضي على الزجاج بقوله: (ولا يطرد له هذا جميع أنواع المفعول له، فان القعود ليس بياناً للجبن، ولا يقال: قعوده جبن إلا مجازاً، وكذا قولك، جنتك اصلاً لحالك، بالإعطاء أو النصح أو نحوه ، فإن المجيء ليس بياناً للإصلاح، بل بيانه الإعطاء أو النصح، كما صرحت به. ولعله يقدر في مثله: قعود جبن ومجئ إصلاح على حذف المضاف وهو تكلف.)^٤

^١ قطر الندى ٢٤٤

^٢ الكتاب ١٨٤/١ وراجع المقرب لابن عصفور ١٦٠/١

^٣ الفصول الخمسون ١٩٢

^٤ شرح كافية ابن الحاجب ٥٠٧/١

ثم يستخلص الرضي في نهاية القول رادًا على الكوفيين بقوله: (ومذهب البصريين أولى من الباقيين، لسلامته من الحذف والتقدير اللازمين لغيره).^١ والأصل في المفعول لأجله أن يسبق بحرف جر وحذفه توسعًا، وحذف الحرف يفتح الباب أمام الاحتمالات، فيجوز النصب على الحالية، وعلى المفعول لأجله وغيرهما، وهو مصدر؛ لأنه علة والعلة لا تكون إلا حدثًا.

٣) الحال

ذكر سيبويه بابًا في كتابه سماه باب ما ينتصب من المصادر لأنه حال^٢ وخرج سيبويه المصدر المعرف في موقع الحال على المفعولية المطلقة^٣، ويقول السامرائي في معاني النحو أن العدول بالمصدر عن الوصف في موقع الحال يكون لغرضين: (أولاً: المبالغة... ثانياً التوسع في المعنى؛ وذلك أنك إذا عبرت بالوصف فقد أردت معنى واحدًا... ولكن إذا عبرت بالمصدر اتسع المعنى وكسبت أكثر من قصد وغرض، فقد تكسب معنى المصدرية والحالية... فالمصدرية في هذا الباب لاتنافي الحال، بل الإتيان ههنا بلفظ المصدر يفيد ما يفيد المصدر مع زيادة فائدة الحال، فهو أتم معنى ولا تنافي بينهما)^٤.

واختلفوا فيه هل يقاس عليه أم لا؟؛ رغم كثرة ورود المصدر حالاً إلا أن سيبويه وابن يعيش ذهبا إلى أنه ليس بمقيس فسيبويه يقول: (وذلك قولك: قَتَلْتُهُ

^١ شرح الكافية ٥٠٩/١

^٢ الكتاب ٣٨٤/١

^٣ راجع الكتاب ٣٧٦/١

^٤ معاني النحو ٢٨٩/٢

صَبْرًا، وَلَقَيْتُهُ فُجَاءَةً وَمَفْاجَأَةً، وَكَفَاحًا وَمَكَافَحَةً، وَلَقَيْتُهُ عِيَانًا، وَكَلَّمْتُهُ مُشَافَهَةً، وَأَتَيْتُهُ رُكُضًا وَعَدْوًا وَمَشْيًا، وَأَخَذْتُ ذَلِكَ عَنْهُ سَمْعًا وَسَمَاعًا. وَلَيْسَ كُلُّ مَصْدَرٍ وَإِنْ كَانَ فِي الْقِيَاسِ مِثْلَ مَا مَضَى مِنْ هَذَا الْبَابِ يُؤْضَعُ هَذَا الْمَوْضِعُ؛ لِأَنَّ الْمَصْدَرَ هَهُنَا فِي مَوْضِعِ فَاعِلٍ إِذَا كَانَ حَالًا.^١

وعليه ابن عقيل حيث يقول : (وقد كثر مجيء الحال مصدرًا نكرة، ولكنه ليس بمقيس لمجيئه على خلاف الأصل)^٢، وجعله رأي سيبويه والجمهور.

أما المبرد فقد أجاز القياس عليه: (ومن المصادر ما يقع في موضع الحال فيسد مسده، فيكون حالًا؛ لِأَنَّهُ قَدْ نَابَ عَنِ اسْمِ الْفَاعِلِ، وَأَغْنَى غِنَاءَهُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: قَتَلْتَهُ صَبْرًا إِنَّمَا تَأْوِيلُهُ: صَابِرًا أَوْ مَصْبِرًا، وَكَذَلِكَ: جِئْتَهُ مَشْيًا؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: جِئْتَهُ مَاشِيًا فَالْتَقْدِيرُ: أَمْشَى مَشْيًا، لِأَنَّ الْمَجِيءَ عَلَى حَالَاتٍ، وَالْمَصْدَرُ قَدْ دَلَّ عَلَى فِعْلِهِ مِنْ تِلْكَ الْحَالِ وَلَوْ قُلْتُ: جِئْتَهُ إِعْطَاءً لَمْ يَجْزْ؛ لِأَنَّ الْإِعْطَاءَ لَيْسَ مِنَ الْمَجِيءِ، وَلَكِنْ جِئْتَهُ سَعْيًا، فَهَذَا جَيِّدٌ؛ لِأَنَّ الْمَجِيءَ يَكُونُ سَعْيًا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا} فَهَذَا اخْتِصَارٌ يَدُلُّ عَلَى مَا يَرِدُ مِمَّا يَشَاكِلُهَا)^٣، و جعل البعض القياس عليه مباح وهو رأي فوق صحته فيه تيسير وتوسعة وشمول^٤

ويستثنى ثلاثة أنواع جوزوا القياس فيها، الأول: ما وقع بعد خبر قرن بال الدالة على الكمال نحو أنت الرجل علمًا ... قَالَ أَبُو حَيَّانٍ وَعِنْدِي أَنْ

^١ (الكتاب ١/٣٧٠)

^٢ شرح ابن عقيل ٢/٢٥٣

^٣ (المقتضب ٢/٢٣٤)

^٤ (النحو الوافي ٢/٣٧٢)

النصب في هَذَا على التَّمْيِيز ... الثَّانِي مَا وَقَع بعد خبر يشبه به مبتدؤه نَحْو
أَنْتَ زُهَيْرٌ شِعْرًا ... قَالَ أَبُو حَيَّانَ وَالتَّمْيِيز فِيهِ أَظْهَرَ أَيضًا وَقَدْ نَصَّوْا عَلَى أَنَّهُ
تَمْيِيزٌ...الثَّالِثُ مَا وَقَع بعد أما نَحْوُ أما علما فعالم^١

وعليه فقد كثر مجئ المصدر حالاً رغم أن المصدر شرط صرفي
للمفعول المطلق والمفعول له ، والحال له شرط صرفي أن يكون مشتقاً ؛ مما
جعل سيبويه والرضي من بعده يخرجان بعض المصادر في باب الحال على
أنها مفعول مطلق.

(٤) النعت

كثر استعمال المصدر نعتاً" كما تقع الحال مصدرًا في مثل قولهم: "قم
قائماً" ، فيوصف بالمصادر أيضا كقولهم رجل عدل وصوم وفطر وزور ورضي،
وضرب هبر، وطعن نثر، ورمي سعر، ومررت برجل حسبك وشرعك وهدك
وكفيك وهمك ونحوك، بمعنى محسبك وكافيك ومهمك ومثلك.^٢

فالاشتراك في الشرط الصرفي يؤدي إلى تماس في وظائف نحوية كثيرة
، مما يفتح الباب أمام الاحتمالات والتعدد في الإعراب ، مثل الاشتراك بين
الحال والمفعول لأجله في مثل: جئتُك ماشياً وجئتُك مشياً ، ورغبة وراغباً ،
فالاشتراك الصرفي هو قناة تواصل مفتوحة تتواصل فيها كل الوظائف النحوية.

ثانياً الشرط النحوي :

وهو ما يتعلق بالعلامة الإعرابية ، والرتبة ، والفضلة والعمدة ، والحذف
والتركيب والإسناد، فالعلامة الإعرابية مثلاً جعلت قسماً كبيراً يشترك في الشرط

^١ (همع الهوامع ٢/٢٩٩)

^٢ (شرح المفصل ٢/٢٣٦)

الصرفي والنصب ، مثل المفعول المطلق والمفعول له يشتركان في ذلك ويدخل معهما المصدر الواقع حالاً ، وكذلك المصدر في موقع النعت المنسوب ، كل ذلك فتح الباب أمام التأويلات والتعليقات. تشترك وظائف الحال والمفعول المطلق و المفعول لأجله بشروط وجود حذف وتقدير ، كما في مثل قوله تعالى: (أفحسبتم أنا خلقناكم عبثاً) قيل هي مفعول لأجله ويجوز حالا وذلك ، لأن الحال يجوز أن تأتي مصدرا وهذا التجوز فتح الباب على مصراعيه أمام الاشتراك في الوظائف.

فالإعراب له دور كبير في تحديد الوظائف النحوية المختلفة ؛ لأنه لا يتوقف دور الإعراب على إجراء المركبات النحوية في مجاري المرفوعات والمنصوبات والمجرورات ، وإنما يشتمل أيضا الحذف والتركيب ، والإسناد ، وكل ما يتم بالعوامل النحوية المتنوعة من أفعال وحروف وأسماء ، وكذلك في كل الشروط النحوية.

كما أن الحال والنعت والخبر كل منها يقع مفردًا ، وجملة ، وشبه جملة ؛ مما زاد من فرص التعدد والاحتمال والتأويل نتيجة هذا التشابه بين هذه الأبواب.

ومن الشروط النحوية التي يتفق فيها كل من النعت والحال والخبر أن الأصل فيها المطابقة لصاحبها في الإفراد والتنثية والجمع وكذلك التنكير والتأنيث، فعنصر المطابقة من العناصر المهمة التي تزيد الصلة بين ثلاثتها.

أما شرط الفضلة والعمدة فقد استخدمه الزمخشري في التفريق بين الحال والظرف والمفعول حيث يقول: (شبه الحال بالمفعول من حيث أنها فضلة

مثله جاءت بعد مضي الجملة. ولها بالظرف شبه خاص من حيث أنها مفعول
فيها^١

ورد عليه ابن يعيش بقوله: (ولو كانت الحال مفعولةً، لجاز أن تكون
معرفةً. ونكرةً كسائر المفعولين. فلما اختصت بالنكرة، دلّ على أنها ليست
مفعولةً، وإذ قد ثبت أنها ليست مفعولة، فهي تُشبه المفعول من حيث إنّها تجيء
بعد تمام الكلام، واستغناء الفعل بفاعله، وأنّ في الفعل دليلاً عليها كما كان فيه
دليلٌ على المفعول، ألا ترى أنّك إذا قلت: "قمتُ"، فلا بدّ أن تكون قد قمتَ في
حالٍ من الأحوال، فأشبهه قولك: "جاء عبدُ الله راكباً" قولك: "ضربَ عبدُ الله
رجلاً"، ولأجل هذا السَّبه استحقت أن تكون منصوبةً.^٢

وأيا ما كان الأمر فكلا الرأيين فيه من المبالغة الكثير ؛ فرأي الزمخشري
قد يكون تناسى أن كل ما خلا المبتدأ والخبر والفعل والفاعل فهو فضلة ، فكيف
يشبه المفعول ولا يشبه غيره .

أما رأي ابن يعيش فقد أنكر أن تكون الحال مفعولة ، إلا أنه يذهب إلى
جعل الحال منصوباً لشبهه بالمفعول به في كذا وكذا، فلماذا يُنصب المفعول
المطلق والمفعول لأجله والتمييز وخبر كان واسم إن... إلخ
ومهما يكن الأمر فقد لعبت الشروط النحوية دوراً مهماً في التشابه
والتعدد في الأبواب النحوية.

^١ (المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري ص ٨٩)

^٢ (شرح المفصل ٤/٢)

ثالثا الشرط الدلالي أو المعنوي:

لما كان هناك اشتراك صرفي في بعض الوظائف وضعوا لكل وظيفة نحوية شروطاً دلالية تفرق بين الوظائف التي اشتركت في الشرط الصرفي فالدلالة قرينة فارقة بين الأبواب التي تشترك في الشرط الصرفي وبعض الشروط النحوية ، وقد استخدم ابن هشام الشرط الدلالي في إعرابه لكلمة السماوات في قوله تعالى : {خلق الله السَّمَاوَاتِ}¹ حيث يقول: (إن هناك أموراً اشتهرت بين المعربين مثل أن المفعول المطلق دائماً مصدر ...ومنها قَوْلُهُمْ فِي نَحْوِ {خلق الله السَّمَاوَاتِ} إن السَّمَاوَاتِ مفعول بِهِ وَالصَّوَابُ أَنَّهُ مفعول مُطلق لأن المَفْعُول المطلق مَا يَقَع عَلَيْهِ اسم المَفْعُول بِلا قيد نَحْوِ قَوْلِكَ ضَرَبْتَ ضَرْبًا ، وَالْمَفْعُول بِهِ مَا لَا يَقَع عَلَيْهِ ذَلِكَ إِلَّا مُقَيَّدًا بِقَوْلِكَ بِهِ كضَرَبْتَ زَيْدًا ، وَأَنْتَ لَوْ قَلْتَ السَّمَاوَاتِ مفعول كَمَا تَقُولُ الضَّرْبُ مفعول كَانَ صَحِيحًا ، وَلَوْ قَلْتَ السَّمَاوَاتِ مفعول بِهَا كَمَا تَقُولُ زَيْدٌ مفعول بِهِ لَمْ يَصِحَّ... إِيضاح آخر المَفْعُول بِهِ مَا كَانَ مُوجُودًا قَبْلَ الفِعْلِ الَّذِي عَمِلَ فِيهِ ثُمَّ أَوْقَعَ الفَاعِلُ بِهِ فِعْلًا ، وَالْمَفْعُولُ المطلق مَا كَانَ الفِعْلُ العَامِلُ فِيهِ هُوَ فِعْلٌ إِيجَادُهُ ، وَالَّذِي غَرَّ أَكْثَرَ النَّحْوِيِّينَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَنَّهُمْ يُمَثِّلُونَ المَفْعُولَ المطلق بِأَفْعَالِ العِبَادِ ، وَهَمَّ إِثْمًا يَجْرِي عَلَى أَيْدِيهِمْ إِتِّشَاءُ الأَفْعَالِ لَا الذَّوَاتِ ، فَتَوَهَّمُوا أَنَّ المَفْعُولَ المطلق لَا يَكُونُ إِلَّا حَدَثًا ، وَلَوْ مَثَلُوا بِأَفْعَالِ اللَّهِ تَعَالَى لظَهَرَ لَهُمْ أَنَّهُ لَا يَخْتَصُّ بِذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُوجِدٌ لِلأَفْعَالِ وَالذَّوَاتِ جَمِيعًا لَا مُوجِدَ لَهُمَا فِي الْحَقِيقَةِ سِوَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَمِمَّنْ قَالَ بِهَذَا

¹ جزء من آية سواء كانت آية العنكبوت ٤٤ {خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ} ، أو آية الروم ٨ (أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ

الَّذِي ذَكَرْتَهُ الْجُرْجَانِيَّ وَابْنُ الْحَاجِبِ فِي أَمَالِيهِ^١، فالسموات عنده مفعول مطلق لا مفعول به فالمفعول له يوجد قبل الفعل والمطلق مع الفعل والمفعول به بعد الفعل.

وكما أن هناك اشتراكًا في الشروط الصرفية والنحوية ، كان هناك اشتراك في الشروط الدلالية ، فالخبر والحال محكومًا عليهما ولكنه قصدي في الخبر تابع في الحال .

وبين الصفة والحال في الاتصاف بصفة على التبعية في الحال وعلى القصدي في الصفة وتتشابه الصفة والحال إلى حد كبير حتى أن الصفة إذا تقدمت انقلبت حالًا في اللفظة وليس المعنى فالحال صفة أيضا في المعنى.

والفرق بين الحال والصفة ، هو أن الصفة تفرق بين اسمين مشتركين في اللفظ والحال زيادة في الفائدة والخبر، وإن لم يكن للاسم مشارك في لفظه. ألا ترى أنك إذا قلت: مررت بزيد القائم ، فأنت لا تقول ذلك إلا وفي الناس رجل آخر اسمه زيد وهو غير قائم ، ففصلت بالقائم بينه وبين من له هذا الاسم وليس بقائم.

وتقول: مررت بالفرزدق قائمًا وإن لم يكن أحد اسمه الفرزدق غيره فقولك: قائمًا إنما ضمنت به إلى الإخبار بالمرور خبرًا آخر متصلًا به مفيدًا. فهذا فرق ما بين الصفة والحال، وهو أن الصفة لا تكون إلا لاسم مشترك فيه لمعنيين أو لمعان، والحال قد تكون للاسم المشترك والاسم المفرد، وكذلك الأمر في النكرة إذا قلت: جاءني رجل من أصحابك راكبًا إذا أردت الزيادة في الفائدة

^١ (المعني ٨٦٧)

والخبر، وإن أردت الصفة خفضت فقلت: مررت برجل من أصحابك راكب،
وقبيح أن تكون الحال من نكرة ؛ لأنه كالخبر عن النكرة والإخبار عن النكرات لا
فائدة فيها)^١

فابن السراج هنا يفرق بين الحال والصفة ، ويضع الخطوط الرفيعة
التي تفصل هذين المتماثلين.

وفي الحال والتمييز فرق وأصله في البيان ووقع الاشتراك ، فالحال
للهيئات والتمييز للذوات. كما يتشابهان في أن كلا منهما اسم نكرة فضلة
منصوب و فرق سيبويه بين الصفة والحال والتمييز بقوله: (واعلم أن الشيء
يوصف بالشيء الذي هو هو ، وهو من اسمه، وذلك قولك: هذا زيدٌ الطويل.
ويكون هو هو ، وليس من اسمه كقولك: هذا زيدٌ ذاهبًا. ويوصف بالشيء الذي
ليس به ولا من اسمه، كقولك: هذا درهم وزنًا، لا يكون إلا نصبًا)^٢

فهنا الحال يشترك مع عدد من الوظائف الأخرى حتى أن ابن جني
جعله ضربًا من الخبر^٣ ، فالحال خبر ثان في المعنى لا في اللفظ .

وجعله سيبويه شبيه الظرف كما أنه يشبه المفعول ، ومشابهته بالمفعول

الصحيح - عنده - أقوى لخلوه من حرف الظرفية من جاءني زيد راكبًا^٤

^١ (الأصول في النحو ٢١٤/٢)

^٢ (الكتاب ١٢١/٣)

^٣ (المحتسب ٣٠٧/١)

^٤ (المفردة بين الدلالة الوظيفية والتركيبية عند عبد القاهر مقال في مجلة القادسية الكويتية في الآداب والعلوم
التربوية العدد ١٠٢، د /تراث حاكم مالك الزيايدي

ورغم إحكام النحاة القواعد التي تحكم الأبواب النحوية ، ليستقل كل باب بنفسه عن غيره من الأبواب ، إلا أن هذه القواعد لم تشفع للنحاة ، فقد تداخلت الوظائف ، وتعانقت الأبواب في لُحمة يصعب معها الفصل ، فأصبح هناك توائم متماثلة لا يقدر على التمييز بينهما إلا ذو درية ودراية ، حتى أولئك النحاة الذين امتلكوا هذين الشرطين ، بل ومعهم براءة اختراع هذه الأبواب عز عليهم الفصل فاختلفوا وأولوا، وفتحوا الباب أمام التعدد وكثرة الاحتمالات الإعرابية.

(الوظائف النحوية في الديوان)

أولاً الحال:

وباستقراء هذه الوظائف في ديوان بشار وجد البحث أن الحال قد جاء في الديوان في (٣٤٧) ثلاثمائة وسبعة وأربعين موضعاً ، بين الحال الواقع وصفاً والحال الواقع مصدرًا ، والحال الواقع اسمًا جامدًا^١ . وكانت تفاصيلها كالتالي:

| الاسم الجامد | المصدر | اسم التفضيل | صيغ المبالغة | الصفة المشبهة | وصف المفعول | وصف الفاعل | الصيغة |
|--------------|--------|-------------|--------------|---------------|-------------|------------|----------------|
| ٢٧ | ٧٠ | - | ٨ | ١٦٦ | ٢٥ | ٥١ | العدد |
| %٧,٧٨ | %٢٠,١٧ | | %٢,٣١ | %٤٧,٨٤ | %٧,٢١ | %١٤,٦٩ | النسبة المئوية |

أولاً الواقع وصفاً :

مثل قوله:

^١ (ولم يحتسب البحث أخبار الأفعال الناقصة على رأي من احتسبها حالا رغم ميل البحث لهذا الرأي إلا أن البحث عند الإحصاء أثر الرأي الغالب .

مَا بَالُ عَبْدَةَ عَيِّي الْيَوْمَ صَابِرَةً * * * وَأَسْتُ عَنْهَا وَإِنْ شَطَّتْ بِصَبَّارٍ^١
 عَلَّقْتُ مِنْهِنَّ شَمْسَ الدَّجْنِ أَوْ قَمَرًا * * * غدا لنا لابسا درعاً وجلبابا^٢
 ترى قُرْظَهَا مُسْتَهْلَكًا دُونَ حَبْلِهَا * * * بِنَفْنَفِهِ مِنْ وَاضِحِ اللَّيْثِ أَجِيدًا^٣
 يخال البخل مفترضاً عليه * * * فيجمد مثل ما جمد الحديد^٤
 ذَكَرْتُ مِنْ هِقْلٍ عَدَا خَاضِبًا * * * أَوْ هَقْلَةٍ رِبْدَاءٍ لَمْ تَخْضِبِ^٥

ففي هذه الأبيات جاء الحال وصفا ففي البيت الأول ،استخدم الشاعر وصف الفاعل صابرة ، وجاء خبر ليس صبار صيغة مبالغة -وهوعندى حال أيضا- مسبوقة بحرف الجر الزائد. وفي البيت الثاني جاء الحال لابسا وصف فاعل أيضا. وفي البيت الثالث استخدم وصف المفعول مُسْتَهْلَكًا منصوبا على الحال ومثله البيت الرابع جاء وصف المفعول مفترضاً . وفي البيت الأخير جاء الوصف خَاضِبًا فى موقع الحال.

أما المصدر الواقع حالا:

فمثل قوله:

يُحْيِي بَعْضُنَا بَعْضًا جِهَارًا * * * كَأَنَّا لَا نُكَادُ وَلَا نُكِيدُ^٦
 لو دعاك الذي دعاني من الشو * * * قِي فُوقًا أَرَدْتِ بِي مَا أُرِيدُ^٧
 فراجع باسمها طرباً إليها * * * كما انصرف الذلول مع القياد^٨

١ (الديوان ١٦٨/٣ من البسيط

٢ (الديوان ٢٣٤/١ من البسيط

٣ (الديوان ٣١/٣ من الطويل

٤ (الديوان ١٩/٣ من الوافر

٥ (الديوان ١٧٢/١ من السريع وعروضه وضربه مطوي مكشوف

٦ (الديوان ١٥/٣ من الوافر وعروضه وضربه مقطوفان

٧ (الديوان ٢٠/٣ من الخفيف وعروضه وضربه صحيحان

وَإِذَا مَا مِتُّ فَأَبْكِي * * لطفًا في الباكيات^٢

في هذه الأبيات استخدم الشاعر المصدر في مثل هذه الأبيات موضع الحال فهذه المصادر فيها معنى الحال وزاد عليها معنى المصدر ، فجاءت المصادر جهارًا ، فواقًا ، وطربًا ، ولطفًا ، على الترتيب منصوبة على الحال. ومثله قوله:

يَسْهَرُ اللَّيْلَ كُلَّهُ * * نظرًا في العواقب^٣

الشاهد: حيث جاء المصدر نظرًا حالاً يصف حالة بشار في سهره الليلي ، ناظرًا في العواقب ، ويجوز أن تكون مفعولاً لأجله ، فهو يسهر لينظر في العواقب والاحتمال الأول أولى. أما الحال الجامد ففي مثل قوله :

فَعَشَ وَاحِدًا أَوْ صَلَ أَحَاكَ فَإِنَّهُ * * مُفَارِقُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ^٤

كُلْ أَمْرِي تَارِكٌ أَحْبَبْتَهُ * * وَصَائِرُ تُرْبَةٍ مِنَ الْبَلَدِ^٥

وَدَهْرُ الْمَرْءِ مُنْقَلَبٌ عَلَيْهِ * * فُنُونًا ، وَالنَّعِيمُ إِلَى انْقِلَابِ^٦

تَمَّتْ قَوَامًا وَعَمَّتْ فِي مَجَاسِدِهَا * * كَأَنَّهَا مِنْ جَوَارِي الْجَنَّةِ الْحُورِ^٧

في هذه الأبيات جاءت الأحوال الآتية اسمًا جامدًا وهي على التوالي: واحدًا ، تُرْبَةً ، فُنُونًا ، قَوَامًا ، فكلها أحوال جامدة استخدمها بشار في أبياته .

^١ (الديوان ٢٤/٣ من الوافر وعروضه وضره مقطوفان

^٢ (الديوان ج ٥٦/٢ من مجزوء الرمل

^٣ (ديوان بشار ١٨٩/١ من الطويل

^٤ (الديوان ٣٢٦/١ من الطويل

^٥ (الديوان ١٨٢/٢ من المنسرح وعروضه وضره مطوية

^٦ (الديوان ٢٧١/١ من الوافر

^٧ (الديوان ٢٢١/٣ من البسيط

ولكن للبحث وقفة مع البيت الثاني حيث إن صائراً هي المشتق من الفعل الناقص صار عند النحاة وهذه الأفعال ناقصة عندهم لأنها لم تكتم بمرفوعها، أما في نظر البحث فهي ناقصة الحدث وما دلت إلا على الزمان ، فكيف يعربون تربة هنا هل هي خبر الفعل الناقص (صائر) ؟ أم حال؟ و يرى البحث أنها حال.

ثانياً النعت:

وجاء الوصف نعتاً في في مائتين وتسعة وأربعين موضعاً وكثير في الغزل والمدح والهجاء وغيرها من الأغراض . وكانت تفاصيلها كالتالي:

| الاسم الجامد | المصدر | اسم التفضيل | صيغ المبالغة | الصفة المشبهة | وصف المفعول | وصف الفاعل | الصيغة |
|--------------|--------|-------------|--------------|---------------|-------------|------------|-------------------|
| ١٢ | - | ٢٧ | ٥٦ | ٨٨ | ٣٩ | ٢٧ | العدد |
| %٤,٨٢ | | %١٠,٨٤ | %٢٢,٥٠ | %٣٤,٣٤ | %١٥,٦٦ | %١٠,٨٤ | النسبة المئوية |

مثل قول بشار:

لا تلوما فإنها من نساء * * مشرفات يطرفن طرف الظباء^١
 وَكَفَّانِي أَمْرًا أَبْرَّ عَلَى الْبُحْلِ * * بِكَفِّ مَحْمُودَةٍ بَيَّضَاءَ^٢
 وَلَيْلَةَ نَحْسٍ جُمَادِيَّةٍ * * إِذَا نَسَمَتْ رِيحُهَا تَبْرُدُ^٣
 ومحترق الوديقة يوم نحسٍ * * من الجرزاء ظل له أوازُ^٤

^١ (الديوان ١/٣٣ من الخفيف

^٢ (الديوان ١/١٣٧ من الخفيف

^٣ (الديوان ٣/١٢٢ من المتقارب

^٤ (الديوان ٣/٢٤٩ من الوافر وعروضه وضربه مقطوفان

ففي الأبيات جاء النعت وصفاً وهي مشرفات ومحمودة ، وكذلك أبر ونحس ، وهذه الأمثلة كثيرة في الديوان .

وإن كان البحث لم يقع على مصدر في موضع النعت ، وجاء النعت جامداً على غير الأصل في مثل قوله:

عَنَيْتُ نَفْسًا غَيْرَ أَمْنَةٍ * * في غير فاحشةٍ ولا هجر^١

الشاهد: حيث جاءت كلمة غير صفة لنفس على غير الأصل في النعت وهو أن يكون مشتقاً.

ثالثاً المبتدأ والخبر:

أما المبتدأ والخبر فكثر مجيئهما في الديوان وصفاً وخاصة الخبر ، وقد جاء المبتدأ وصفاً في ستة وثلاثين موضعاً تقريبا مثل:

(عاقد - مبعوث - الجالب - أحول - معروفه - قائلة - مخير -

قروع - الجاعل - منتظر - خير - تلعباة)

مثل قوله:

فخيراً منك من لاخير فيه * * وخيراً من زيارتكم قعودي^٢

تجهز طال في النَّصْبِ النَّوَاءُ * * وَمُنْتَظَرُ النَّقِيلِ عَلَيَّ دَاءُ^٣

فجاء وصف التفضيل (خير) مبتدأ مرتين خبر الأول منهما الاسم

الموصول من وخبر الثاني المصدر قعودي ، ولم يتقدم على المبتدأ نفي أو

(^١ الديوان ٢٢٥/٣ من الكامل

(^٢ الديوان ١١٢/٣ من الوافر وعروضه وضربه مقطوفان

(^٣ الديوان ١٢٦/١ من الوافر وعروضه وضربه مقطوفان

استقهام^١ ، وهذا البيت شاهد أيضًا على مجئ الخبر مصدرًا . وفي البيت التالي جاء المبتدأ وصف فاعل وهو منتظر. وقد جاء المبتدأ مصدرًا في أربعة عشر موضعًا مثل قوله:

ولولا اصطناعي مالكا وابن مالك * * قديماً لما زلت به النعل في البجر^٢

لله ذكرة عاشق * * يدنو بها النائي المباع^٣

في نأيها وصب علي مبرح * * ودنوها شاف من الأوصاب^٤

الشاهد : حيث جاء المصدر في الأبيات في وظيفة المبتدأ ؛ ففي البيت الأول جاء المصدر اصطناعي مبتدأ ، وفي البيت الثاني وجد البحث المصدر ذكرة مبتدأ نكرة مؤخرًا خبره شبه الجملة المقدم عليه . وفي البيت التالي جاء المبتدأ (دنوها) مصدرًا، وخبره وصف الفاعل شاف وتعدى الوصف لمعموله بحرف الجر. أما الخبر فقد جاء وصفًا في مائتين وستة وسبعين موضعًا وكانت تفاصيلها كالتالي:

| الصيغة | وصف الفاعل | وصف المفعول | الصفة المشبهة | صيغ المبالغة | اسم التفضيل | المصدر |
|----------------|------------|-------------|---------------|--------------|-------------|--------|
| العدد | ٨٩ | ٣٦ | ١٠١ | ٢٦ | ١٩ | ٥ |
| النسبة المئوية | %٣٢,٢٥ | %١٣,٠٤ | %٣٦,٥٩ | %٩,٤٢ | %٦,٨٩ | %١,٨١ |

مثل قوله:

فأصبحت جاريةً بطنها * * ملآن من شتى فلم تُضرب^٥

^١ قيل أنه لا شاهد في فخير خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر واعترض ابن عقيل على مثل ذلك انظر شرح ابن عقيل ١٩٤/١

^٢ ديوان بشار ٢٧٩/٣ من الطويل

^٣ الديوان ٤٥/٣ من مجزوء الكامل

^٤ الديوان ٢٤٢/١ من الكامل

^٥ الديوان ١٧٢/١ من السريع

هَيْفَاءٌ مُقْبِلَةٌ عَجَزَاءٌ مُدْبِرَةٌ * * لَمْ تُجْفَ طَوْلًا وَلَا أُرْزَى بِهَا الْقَصْرُ^١
 فَإِنْ تَكُ نَاقِصًا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ * * فَمَا لَكَ فِي مَسَاءَتِنَا تَزِيدٌ^٢
 فعالك محمودٌ وأنت محسدٌ * * وهل تجد المحمود إلا محسدًا^٣
 شَتَانٌ بَيْنَكَ يَا قَبِيصَ وَبَيْنَهُ * * أَنْتَ الدَّمِيمُ وَلَسْتَ كَالْمَحْمُودِ^٤

في هذه الأبيات جاء الخبر وصفًا ، وهذه الأخبار هي على الترتيب (ملآن - هَيْفَاءٌ - عَجَزَاءٌ - نَاقِصًا - محمودٌ - محسد - الدَّمِيمُ) ، وجاء الخبر في البيت الأخير معرفًا على غير الأصل. أما الخبر المصدر فقد وقع في خمسة مواضع في مثل قوله:

وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ امْرِئٍ مَتَصَبِّحٍ * * بِمَا لَيْسَ فِيهِ ، وَالْوِدَادُ صَفَاءٌ^٥
 عَتَابُ الْفَتَى فِي كُلِّ يَوْمٍ بَلِيَّةٌ * * وَتَقْوِيمُ أَضْغَانِ النِّسَاءِ عَنَاءٌ^٦

ففي البيتين جاء المصدر (عناء) في البيت الأول وصفاء في البيت الثاني خبرًا، والأصل في الخبر أنه وصف وكثر مجيئه وصفًا على نحو ما تقدم.

رابعاً المفعول لأجله :

١ (الديوان ١٥٨/٣ من البسيط

٢ (الديوان ٩٩/٣ من الوافر

٣ (الديوان ٣٩/٣ من الطويل

٤ (الديوان ١١٠/٣ من الكامل

٥ (عند من قال بخبريتها

٦ (الديوان ١٥٣/١ من البسيط

٧ (الديوان ١٥٣/١ من البسيط

فقد جاء المصدر على الأصل مفعولاً له في اثنين وأربعين موضعاً ، ولم يأت المفعول لأجله غير المصدر في الديوان مثل قوله:

له نِعَمٌ في القَوْمِ لا يَسْتَثْبِيها * * جَزَاءٌ وَكَيْلُ التَّاجِرِ المُدِّ بِالمَدِّ ١

أَتَظْهَرُ رَهْبَةً وَتُسْرُ رَغْباً * * لَقَدْ عَدَّبْتَنِي رَغْباً وَرَهْباً ٢

مَقِيمٌ يَذِبُ المَشْرِكِينَ بِسيفِهِ * * حِفَاطاً وَقَدْ وَلى الأَحْمِيسُ وَعَرَدًا ٣

كَأَنَّ فُؤَادَهُ يَنْزِي حِذَاراً * * حِذَارِ البَيْنِ لو نَفَعِ الحِذَارُ ٤

ففي الأبيات جاء المفعول لأجله مصدرًا على الأصل مثل قوله: جَزَاءً، رَهْبَةً، رَغْباً، حِفَاطاً ، وَحِذَاراً ، وفي البيت الثاني جاءت صيغتا رهبة ورغباً في الشطر الأول مفعولاً له وفي الشطر الثاني حالاً.

خامسا المفعول المطلق:

أما المفعول المطلق فقد جاء في واحد وخمسين موضعاً^٥ ومن أمثلته

قوله:

أَرِيخِيَّ إِلَى المَحَامِدِ يَهْتَرُ * * اهْتِرَازَ المُهَنْدِ المُشْهُورِ ١

صَادِرَاتٍ ذَاتِ العِشَاءِ عَلَى الجَفْرِ * * سِرَاعاً لا بَلْ بَكْرِنِ بَكُورًا ٢

غَرَضاً إِلَيْكَ مِنَ أهْوَى غَرَضِ المَرِيضِ إِلَى الطَّيِّبِ ٣

١ (الديوان ٣٧/٤ من الطويل

٢ (الديوان ٩١/١ من الوافر

٣ (الديوان ٤٠/٣ من الطويل

٤ (الديوان ٢٤٨/٣ من الوافر

٥ (ولم يلتفت البحث إلى النائب عن المفعول المطلق واكتفى بالمفعول المطلق الصريح ، لأن البحث يهتم

بالصيغ العاملة فقط ، مثل قوله: اجهد الآنَ كُلَّ جَهْدِكَ فينا * * سترى ما يكونُ في شِوَالِ انظر الديوان ١٥٦/٤

٦ (الديوان ٢١٩/٣ من الخفيف

٧ (الديوان ٢٣٣/٣ من الخفيف

سَقِيًّا وَرَعِيًّا عَلَى مَا كَانَ مِنْ زَمَنٍ * * لِذَلِكَ الشَّخْصَ أُبْدِيَ الْبُخْلُ أَمْ جَادًا^٢
وَإِذَا سَأَلْتَ أَتَيْتَهَا * * ضَرَبَ الْأَمِيرُ طُلًّا الْأَعَادِي^٣

ففي الأبيات جاءت المصادر (اهْتِرَازَ - بَكُورًا - غَرَضَ - سَقِيًّا - ضَرَبَ) مفعولا مطلقًا ، وإن كان البيت الأخير يجوز أن يكون المصدر مفعولًا مطلقًا لفعل محذوف أو حالًا - في نظر البحث- . ولم يأت المفعول المطلق غير مصدر إلا في بيت واحد فقط -حسب رأي البحث - حيث جاءت كلمة ألوان مفعولًا مطلقًا في قوله:

فَعَنَّتْ الشَّرْبَ صَوْتًا مُؤْنِقًا رَمَلًا * * يُدْكِي السَّرُورَ وَيُبْكِي الْعَيْنَ أَلْوَانًا^٤

وهذا على رأي محقق الديوان فقد أعرب ألوانًا مفعولًا مطلقًا ، ولعله مثل رأي ابن هشام في إعراب السموات مفعولًا مطلقًا.

سادسا الفاعل:

جاء الفاعل وصفًا في واحد وستين موضعًا في الديوان مثل قوله:

عجبت فطمةً من نعتي لها * * هل يُجيدُ النعتَ مكفوفُ البَصَرِ^٥

وغابت اليوم عنك حاضنتي * * فالله لي اليومَ منك مُنتَصِرُ^٦

^١ (الديوان ١٩/٤ من مجزوء الكامل

^٢ (الديوان ١٤٧/٣ من البسيط

^٣ (الديوان ١١٩/٣ من الكامل

^٤ (الديوان ١٩٧/٤ من البسيط التام

^٥ (الديوان ٦٨/٤ من الرمل

^٦ (الديوان ١٧١/٣

فقد جاء الفاعل وصفا في الموضعين ، وهما على التوالي : وصف
المفعول (مكفوف) ووصف الفاعل (حاضنتي) .

وجاء الفاعل مصدرًا في ثلاث عشرة مرة وهي (جفاء^١ - نوح -
التلاقي - اعتكار - انفرادي - التناهي - سعي -نكره)
مثل قوله:

تأتي المقيم - وما سعى - حاجاته * * عَدَدَ الْحَصَى وَيَخِيبُ سَعْيَ الْخَائِبِ^٢
وَأَسْرُهُ ثَابِتٌ وَجَمُوعُ كَلْبٍ * * سَرَى بِحَمَامِهِمْ مَنَا اعْتِكَارُ^٣
مَنَعَ النَّوْمَ ذِكْرَهُ فَتَأْرَقُ * * ثُ لَذَكَرَى مِنْ شَادِنٍ مَخْضُوبٍ^٤
وهنا جاء المصدر في وظيفة الفاعل في قوله (سعي) و(اعتكار) و(نكره).
سابعاً: المفعول به:

وكذلك جاء المفعول به وصفا في اثنين وخمسين موضعاً ومن امثلته في الديوان
قوله:

سَتْرَى حَوْلَ سَرِيرِي * * حُسْرًا يَنْدُبُنْ لَطْمًا^٥
إِنْ كَانَ سَحْرًا دَعَوْتُ رَاقِيَةً * * أَوْ كَانَ سُقْمًا فَحَسْبِي الْوَصْبُ^٦
كَثُرَ الْحَمِيرُ وَقَدْ أَرَى فِي صُحْبَتِي * * مِنْهُنَّ أَقْمَرٌ مَنَعَجًا بِالرَّكَبِ^٧

١) مع العلم بتكرار بعض المصادر في وظيفة الفاعل أكثر من مرة مثل كلمة جفاء ، انفرادي، ونوح

٢) الديوان ١/١٩١

٣) الديوان ٣/١٥٥

٤) ديوان بشار ١/٢٩١ من الخفيف

٥) الديوان ٤/١٧٩

٦) الديوان ١/٢١٧

٧) الديوان ١/٣٨٧

ففي الأبيات جاء وصف المبالغة حسراً في البيت الأول ، ووصف
الفاعل راقية في البيت الثاني في وظيفة المفعول به. و أقمر منعجاً مفعولاً أرى،
فالأول وصف التفضيل والثاني وصف الفاعل. أما المصدر فقد وقع في وظيفة
المفعول به في ثمانية وعشرين موضعاً ومن أمثلته قول بشار:

فاترك مشاغبة الحبيب إذا أبى * * ليس المحبُّ على الحبيبِ بشاغِبِ^١

لا أستطيع احتمال الحب مهتجراً * * قد كنت أضعف منه غير مهتجر^٢

قد تبت مما كرهت فاحتسبي * * غُفْرانَ ما جئتُ غيرَ مُعْتَمِدِ^٣

يَخَوْفِي مَوْتَ الْمُحْتَبِينَ صَاحِبِي * * فَطُوبَى لَهُمْ سَيَقُومُوا إِلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ^٤

ففي الأبيات المصادر (مشاغبة - احتمال - غفران - موت) في

وظيفة المفعول به .

ثامنا التمييز:

أما التمييز فقد جاء جامداً في بضع مواضع ولم يقع البحث عليه مشتقاً في

الديوان وهذا مثاله:

يا أَطِيبَ النَّاسِ رِيقاً غيرَ مُخْتَبِرٍ * * إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ^٥

وَيَرْوِحُ أَطْوَلََهُمْ يَدَاً * * فِي فَعْلِهِمْ وَعَلَيْكَ شَاهِدُ^٦

فُضُولُ فَتَى أَسْحَى يَدَاً فِي سَبِيلِهَا * * ففَاضَتْ عِبَاباً أَوْ حَوَارِيَّ يَنْسِجُ^٦

^١ (الديوان ١/١٩١)

^٢ (الديوان ٣/٢٤٣)

^٣ ((الديوان ٣/٧)

^٤ (الديوان ٣/٣١٣)

^٥ (الديوان ٤/١٢٣)

^٦ (الديوان ٢/٢٥٣)

وهنا تجد ريقا ويدا وقعا تمييزاً وهما على الأصل في التمييز أنه جامد.
ومما تقدم تجد أن الصيغ العاملة لعبت دوراً مهماً في شكل الأبواب النحوية ، فقد ارتبط الوصف بأبواب مخصوصة ، واختص المصدر بأبواب أخرى، وجاءت أبواب أخرى لم يشترط فيها شرط الصيغة الصرفية ، وتقارضت هذه الصيغ الوظائف النحوية فيما بينها فجاء الوصف بدلا من المصدر ، وجاء المصدر بدلا من الوصف ، مما فتح الباب على مصراعيه للتعدد والتنوع بكل صورته أمام أرباب اللغة ، وكون مجالاً خصباً للنحاة في التفنن والترغيب النحوي .

الخاتمة

- ١- كانت الصيغ الصرفية العاملة من وصف ومصدر شرطاً صرفياً لبعض الأبواب النحوية. مثل النعت ، والحال ، والمفعول المطلق ، والمفعول لأجله.
- ٢- قد تتقارض الوظائف النحوية الشرط الصرفي فيما بينها ، فيأتي الحال مثلاً مصدرًا ويأتي المفعول لأجله، أو المفعول المطلق مشتقًا.
- ٣-كثر مجيء الحال وصفًا في الديوان ، كما جاء مصدرًا في عدد من المواضع ، وجاء جامدًا في مواضع أخرى.
- ٤- ولم يقف البحث على شواهد مجيء النعت مصدرًا في الديوان.
- ٥- جاء المفعول المطلق غير مصدر في موضع واحد في الديوان على غير الأصل.
- ٦- لم يأت التمييز مشتقًا في الديوان على حسب علم البحث.

النبر في اللغة الفارسية واللغة العربية من خلال أشعار الثورة الإيرانية ١٩٧٩م،
وأشعار الثورة المصرية ٢٠١١م (دراسة تقابلية)
الباحثة: هند فتح الباب أحمد فتح الباب

مقدمة:

يتناول البحث أحد أهم الفونيمات التطريزية ألا وهو؛ النبر والذي لم يحظ بقدر كبير من الدراسة في اللغة الفارسية مقارنة بما تناوله علماء اللغة والصوتيات في اللغة العربية، ويأتي هذا البحث في محورين:

المحور الأول: النبر في اللغة الفارسية من خلال أشعار الثورة الإيرانية ١٩٧٩م:

- ١- تعريف النبر.
 - ٢- وظائف النبر.
 - ٣- أنواع النبر.
 - ٤- مواضع النبر:
- نبر الاسم.
 - نبر الفعل.

المحور الثاني: النبر في اللغة العربية من خلال أشعار الثورة المصرية ٢٥ يناير ٢٠١١م:

- ١- تعريف النبر.
- ٢- وظائف النبر.
- ٣- أنواع النبر.
- ٤- مواضع النبر داخل الكلمة.

ثم الخاتمة ، وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته، وفهرس أهم المصادر والمراجع .

المحور الأول: النبر في اللغة الفارسية من خلال أشعار الثورة الإيرانية

١٩٧٩م

لم يكن للنبر قدر واسع من الدراسة اللغوية لدى اللغة الفارسية، فقد ظهر الاهتمام به مؤخرًا حينما تعرض له "المرحوم علي نقوزيرفي كتابه "أكسان تنيك" خلال العلامات الموسيقية، وخلفه حسن فؤادى الذى كتب مقالة عن النبر فى اللغة الفارسية من حيث التناغم اللفظى، ثم جاء الدكتور خانلرى لعرض النبر من الجانب الاصطلاحي، ومن بعده منصور اختيار عرفة من الجانب الصوتى فى كتابه "فونتيك از تكيه".^(١)

و"هناك اختلافات بين المقاطع والأخرى...ولكن بعض المقاطع تتميز عن المقاطع الأخرى بالنبر".^(٢)، فالنبر يعنى "إعطاء مقطع بين مقاطع متتابعة مزيدًا من الضغط أو العلو".^(٣)

متفقًا مع ذلك؛ تعريف الدكتور پرويزخانلربلنبر، وهو: "عندما نتلفظ بكلمة أو بعبارة فإن كل مقاطعها لا تؤدى بدرجة واحدة من الوضوح والبيان، بل يتضح مقطع أو عدة مقاطع أكثر من غيرها، وتكون نتيجة ضغط النفس؛ أى أن يخرج النفس بشدة أكبر فى أثناء نطق مقطع من عدة مقاطع متوالية".^(٤)

ولم يختلف تعريف العالم اللغوى جليل ساغروانيان عن التعريفات السابقة، فقد عرّف النبر قائلاً أنه: "وضوح لصوت فى كلمة، أو فى مقطع معين عن بقية الأصوات، أو المقاطع فى الكلام".^(٥)

^(١) فرهنج اصطلاحات زبان شناسى (موضوعى-توصيفى)، ص: ١٠٨.

^(٢) منابع: دانشكده ادبيات و علوم انسانی-دانشگاه اصفهانی / ١٣٥٤ هـ.ش، شماره ١٢، (بر رسيهائى جديد در مرد تكيه زبان فارسى).

^(٣) دستور زبان فارسى معاصر، ژيلبرلازار، ترجمة: ماهستى بحرين، نشر: هرمس، الطبعة الثانية، ١٣٨٩ هـ.ش، تهران، ص: ٤٨.

^(٤) أوزان الشعر الفارسى، د/پرويز نايل خانلرى، ترجمة: د/محمد نور الدين عبد المنعم، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨ م، ص: ١٤٤.

^(٥) فرهنج اصطلاحات زبان شناسى (موضوعى-توصيفى)، ص: ١٠٩.

وظائف النبر^(١):

١ - وظيفة التمييز:

علماء اللغة الأمريكيين يروا أنه وفقاً لاختلاف النبر فى الكلمة الواحدة ، يختلف معه المعنى ويتغير ، وبالتالي يظهر دور النبر التمييزى هنا، وعادة يكون هذا هو الدور الرئيسى الذى يلعبه النبر .

٢ - وظيفة التباين:

يقع النبر على جزء من الجملة ؛ وهذا يؤدى إلى اختلاف معنى الجملة كاملاً .

٣ - وظيفة التأثر:

ترتبط وظيفة التأثر للنبر بالتغيم ، فيقع النبر على جزء من الجملة مثل الدور التباينى للنبر .

٤ - وظيفة الثبات:

والفارسية ليست من تلك اللغات النبرية ، لأن النبر فيها متغير وليس ثابتاً .

٥ - وظيفة نحوية:

للنبر دور نحوى فى اللغة الفارسية؛ حيث إن كل اسم يقع النبر عليه تتغير نغمته .

أنواع النبر^(٢):

١ - النبر الرئيسى:

^(١)فرهنگ اصطلاحات زبان شناسى (موضوعى-توصيفى)، ص: ١٠٩: ١١١

^(٢)فرهنگ اصطلاحات زبان شناسى (موضوعى-توصيفى)، ص: ١١١: ١١٢.

إن النبر الرئيسى أقوى الأنواع ، ويرمز له الصوتيون بخط قصير مائل (')
يوضع فوق نواة المقطع ، أو الصوت الصامت الذى يسبق نواة المقطع المنبور ،
وهو مماثل لشكل الفتحة العربية كما فى المثال التالى:

| الترجمة | الكتابة الصوتية | الجملة | |
|--------------|-----------------|--------------|-----------------------|
| أنا الذى أرى | man kârdâram | من كار دارم | قبل إضافة علامة النبر |
| أنا الذى أرى | man'kârdâram | من 'كار دارم | بعد إضافة علامة النبر |

ووقع النبر على كلمة (كار) هنا لأنها منطوقة بارتكاز أكبر ، وتغيرت درجة تردد الذبذبات الصوتية ، لتصبح واضحة أكثر للسامع .

٢- النبر الثانوى :

وهو أضعف من النبر الرئيسى ...ويرمز له الصوتيون بالرمز (□) ، وهذا النوع يظهر فى اللغة الانجليزية كثيرا عن أى لغة أخرى .

٣- النبر الثالث(الضعيف):

النبر الثالث هو أضعف أنواع النبر ، ولم يحدد له رمز صوتى كالنوعين السابقين.

٤- وهناك نوع رابع يطلق عليه النبر التأكيدى^(١) :

وهو يظهر داخل سلسلة صوتية معينة ،مع ازدياد ضغط النفس ، وحدث تغيير فى ذبذبات الصوائت ، ورمز لها الصوتيون بخطان مائلان قصيران (")

^(١)فرهنگ اصطلاحات زبان شناسى (موضوعى-توصيفى)، ص: ١١١.

، ويوضع هذا الرمز فوق نواة المقطع ، أو الصوت الصامت الذي يسبق نواة المقطع المنبور ، كما فى المثال :

| الترجمة | الكتابة الصوتية | الجملة | |
|---------|-----------------|-----------|-----------------------|
| ذهيُتْ | mi-raftam | مى رقتم | قبل إضافة علامة النبر |
| ذهيُتْ | "mi-raftam" | "مى رقتم" | بعد إضافة علامة النبر |

فهى تتكون من ثلاثة مقاطع صوتية : الأول مقطع قصير مفتوح والثانى والثالث مقطعين متوسطين مغلقين ، ووقع النبر على المقطع الأول .

خصائص النبر^(١) :

١- شدة النبر:

النبر هو ازدياد شدة الصوت ، وارتفاع نغمته ، وامتداد مدته ؛ مما يؤدي إلى وضوح نسبي لصوت أو لمقطع من دون غيره من الأصوات أو المقاطع المجاورة ، أى يخرج النفس بشدة أكبر فى أثناء نطق مقطع من عدة مقاطع متوالية ، إذ إن العامل الأسمى فى هذا الموضع هو النفس فإن اصطلاح نبرة النفس مستخدم أيضاً.

٢-ذبذبات النبر:

يهتم هذا النبر بتغيير الذبذبات للكلمة الواحدة، وله دور مهم فى النبر الفارسي، فنتيجة التغيرات الذبذبية التى طرأت على الكلمة يحدث ارتفاع لأحد مقاطع

^(١)فرهنگ اصطلاحات زبان شناسى (موضوعى-توصيفى)، ص: ١١٣.

الكلمة من دون غيرها، وتكون النبرة نتيجة ارتفاع الصوت، أى أن ينخفض الصوت أكثر عند نطق أحد المقاطع، ويسمى هذا النوع بنبر الارتفاع أيضًا .

٣- ضغط النبر:

يعتمد هذا النبر على ضغط الهواء، بحيث يختلف مكان النبر داخل الكلمة باختلاف ضغط الهواء، وهذا متضح في اللغة الانجليزية، والتي تعتمد بشكل أكبر على ضغط الهواء أثناء نطق الكلمات .

٤- وصف النبر:

فالنبر يعمل على تأكيد معنى الكلمة ومدى المبالغة فيها ، فالنبر يعتمد على مدى قوة الامتداد والارتفاع للكلمة ، وعواملها فى المقام الأول .

مواضع النبر:

يقع النبر على وحدة صوتية داخل الكلمة الواحدة ، كما يمكن أن يقع النبر على كلمة واحدة داخل جملة مكونة من وحدات صوتية مختلفة ، و"النبر لا يقع على الصوت الصامت أبدًا؛ فهو مقتصر على الصوت الصائت فقط ، أى أن النبر يقع على نواة المقطع ، والتي تتكون من صائت واحد (١)".

النبر داخل الكلمة:

ويعد كتاب "صرف ونحو" الذى نُشر عام ١٨٥٢م باللغة الفرنسية ، للعالم اللغوى "الكساندر خوتشكو" *٢* أول كتاب يشمل الحديث عن النبر فى اللغة الفارسية محددًا أنواعه ، ويرى أن "النبر لا يخص الفعل فقط ، بل يخص أيضًا الأسماء

^(١) فرهنك اصطلاحات زبان شناسى (موضوعى-توصيفى)، ص: ١٠٩ .

^(٢) الكساندر خوتشكو: وفى مواضع أخرى قيل اسمه بطريقة أخرى (الكساندر شودزكو) وهو عالم آثار بولندى، له اكتشافات كثيرة فى منطقة جيلان شمال غرب ايران ، وهو أول عالم لغوى مستشرق تحدث عن النبر فى اللغة الفارسية .

البسيطة، المشتقة، المركبة، والصفات، المصادر، والأسماء المضاف لها
لواحق كلها منبورة^(١)."

أولاً: نبر الاسم:

يقع النبر في اللغة الفارسية على المقطع الأخير للأسماء البسيطة، والمشتقة،
والمركبة، والصفات البسيطة، والمشتقة، والمركبة، والمصادر، والأسماء التي
أضيف إليها لاحقة الجمع، سواء أكانت الكلمات طويلة أم قصيرة^(٢)، ويتبين
ذلك من خلال الوصف التطبيقي للكلمات الفارسية داخل أشعار الثورة الإيرانية
١٩٧٩م.

١- الأسماء البسيطة:

يقع فيها النبر على المقطع الأخير مثال ذلك:

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | الكلمة | |
|--------------------|------------------|-----------------|----------------------|--|
| بدون علامة النبر | ص ح ص/ص ح ح ص | zendân | زندان ^(٣) | |
| بإضافة علامة النبر | | zen'dân | زند'ان | |

^١ شناختنواي گفتار زبان فارسيكوارد آن در بازسازی وباز شناسرايانهاي گفتار، پاين نامه اتدكتري، گروه زبان شناسي، اسلامي محرم، دانشگاه تهران، ١٣٧٩ هـ.ش، ٣٠٤.

^٢ پژوهشهاي زبان وادبيات تطبيقي، مقاله تكيه در واژه هايروسوفارسي وتداخل آن ها از منظر زبان آموزانفارسي زبان، محمد رضا محمديهكار، دوره ١، شماره ٣، ١٣٨٩ هـ.ش، ص: ١٥٥.

^٣ (با هر نفسي مژدهديدار تو مناورد

در مدرسه، در بازار،

در مسجد، در ميدان

در زندان، در زنجير.)

الترجمة: حضرت بشرى رؤياكمع كل نفس

في المدرسة، في السوق

في الجامع، في الميدان

في السجن، في القيد.

شعر: آزادي، هوشنك ابتهاج، شعر نو از آغاز تا امروز، ٦٤٣.

فكلمة (زندان) تتكون من مقطعين هما: (CVC- CVVC) الأول مقطع طويل مغلق ، والثانى مقطع طويل مغلق ولأن الكلمة عبارة عن اسم بسيط لذلك يقع النبر على المقطع الأخير ، كما هو موضح فى الجدول السابق ملحوظة : (ان) الواقعة فى نهاية الاسم (زندان) أصلية داخل بنية الكلمة وليست لاحقة للجمع .

٢- الأسماء المشتقة: (صفة + لاحقة التفضيل):

تتكون صيغة التفضيل بإضافة اللاحقة التفضيل (تر) إلى الصفة ، وتتكون صيغة التفضيل المطلق من الصفة+ اللاحقة (ترين)^(١). "والتي يمكن أن تأتى مخففة أحياناً كأن تأتى (ترى) فقط ، ويقع النبر فيها على المقطع الأخير؛ كالاتى:

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | الكلمة | |
|-------------------|-----------------------|-----------------|-----------------------|--------------------------|
| حسن | ص ح ص | 'bah | به | الصفة بدون لاحقة التفضيل |
| الأحسن/ الأفضل | ص ح ص/ص ح /ص ح ح ص | bahtarin | بهترين ^(٢) | بدون علامة النبر |
| | | bahta'rin | بهترين | بإضافة علامة النبر |

^(١)فرهنگ زبان فارسى واعد ، الدكتور/عبد الوهاب علوب ، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان -

١٩٩٦، ط١، ص: ١٢-١٣ .

^(٢) (ابن جاودانصدای صداها

ابن بهترین سروش .)

الترجمة: هذا صوت الأصوات الأصوات الخالدة

هذا أفضل ملاك .

شعر: باران انقلاب ، طه حجازى ، انقلاب اسلامى در شعر شاعران ، ٧٥ .

فكلمة (بهترین) تتكون من ثلاثة مقاطع هي: (CVVC- CV- CVC) الأول: مقطع متوسط مغلق والثاني: مقطع قصير، والثالث: مقطع طويل مغلق، ولأن الكلمة عبارة عن صفة + لاحقة التفضيل - ليست مخففة - فهي أصلها (به = حسن) وأضيفت لها لاحقة التفضيل المطلقة (ترین) فأصبحت (بهترین) بمعنى الأحسن /الأفضل)؛ لذلك يقع النبر على المقطع الأخير بعد أن كان واقعاً على الصفة نفسها، كما هو موضح في الجدول السابق.

٣- الاسم + لاحقة الجمع (ان/ها):

"أداة الجمع في الفارسية هي اللاحقة (ها) منبورة تضاف إلى الاسم المفرد، و إذا دل على ذي روح يجمع بإضافة (ان)^(١)، ويظهر ذلك من خلال الأمثلة الآتية داخل أشعار الثورة الإيرانية:

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | الكلمة | |
|---------|-----------------------------|-----------------|-------------------------|--------------------|
| مجرم | ص ح/ص ح ص/ص ح ص | tabah'kâr | تبهكار | الاسم مفرداً |
| مجرمين | ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص | tabahkârân | تبهكاران ^(٢) | بدون علامة النبر |
| | | tabahkârân | تبهكاران | بإضافة علامة النبر |

^(١) فرهنك زبان فارسی واعد، الدكتور/عيد الوهاب علوب، ص: ٤-٥ .

^(٢) (بخت تبهكاران شد واژگون از ما .)

الترجمة: حظ/نصيب المجرمين انقلب بفضلنا

شعر: بانگ آزادی، حمید سیزاوی، انقلاب اسلامی در شعر شاعران، ٩٩ .

كلمة (تبهكاران) مكونة من أربعة مقاطع هي: (CV-CVC-CVV-CVVC) الأولى: مقطع قصير، والثاني: مقطع قصير مغلق، والثالث: مقطع متوسط مفتوح، والرابع: مقطع طويل مغلق، ولأن الكلمة عبارة عن اسم (تبهكار=مجرم)+لاحقة الجمع (ان) لتصبح (تبهكاران=مجرمين)؛ لذلك يقع النبر على المقطع الأخير وهو (ران) بعد أن كان واقعاً على المقطع الأخير من الاسم نفسه (كار) قبل إضافة لاحقة الجمع، كما هو موضح في الجدول السابق.

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | الكلمة | |
|---------|-----------------------|-----------------|-----------------------|--------------------|
| بندقية | ص ح/ص ح ص ص | to'fanḳ | تفنگ | الاسم مفرداً |
| بنادق | ص ح/ص ح ص ص /ص ح ح | tofanḳhâ | تفنگها ^(١) | بدون علامة النبر |
| | | tofanḳ'hâ | تفنگها | بإضافة علامة النبر |

كلمة (تفنگها) مكونة من أربعة مقاطع هي: (CV-CVC-CV-CVV) الأولى: مقطع قصير، والثاني: مقطع متوسط مغلق، والثالث: مقطع قصير، والرابع: مقطع متوسط مفتوح، ولأن الكلمة عبارة عن اسم (تفنگ=بندقية)+لاحقة الجمع (ها) لتصبح (تفنگها=بنادق)؛ لذلك يقع النبر على المقطع الأخير وهو (ها) بعد أن

(١) (شبی که پایانش، طلوع دیگر داشت

تفنگها در دست، جنازه ها بردار .)

الترجمة: ليلة كان لنهايتها بداية أخرى

فالبنادق فالأيدى والنعوش محمولات .

شعر: شب انقلاب، بهمن صالحی، شعر امروز - دفتر غزل - ، ساعد نیکومحمدی رضا ومحمد باقری،

كان واقعًا على المقطع الأخير من الاسم نفسه (فانگ) قبل إضافة لاحقة الجمع ، كما هو موضح في الجدول السابق .

٤- الاسم + علامة النداء:

إذا لحق الاسم أداة نداء (الف آخر) ، فإن النبر يقع على المقطع الأخير^(١) ، كما في المثال:

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | الكلمة | |
|--------------------|------------------|-----------------|---------------------|--|
| الاسم مفردًا | ص ح /ح/ص ح أم | mâ'der | مادر ^(٢) | |
| بدون علامة النبر | ص ح /ح/ص ح يأماء | mâderâ | مادرا | |
| بإضافة علامة النبر | ص ح /ح/ص ح ح | mâde'râ | مادرا | |

٥- العدد + اللاحقة النسبية للعدد:

يقع النبر على المقطع الأخير من العدد ، غير أنه عندما تضاف لاحقة النسبية العددية (م) أو (مِين) سيقع النبر على اللاحقة العددية كـمقطع أخير للكلمة

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | الكلمة | |
|--------------|------------------|-----------------|--------------------|-------|
| العدد مفردًا | ص ح ص | 'du | 'دو ^(٣) | اثنين |

^(١) تكويه در زبان فارسی ، غلامعلی امیر نوری - گوینه رادیو ، منابع/ رادیو ۱۳۸۲ هـ.ش ، شماره ۱۷ ، سال سوم ، شماره هفدهم ، ص: ۳۱ .

^(٢) (بايدگلوئى مادر خود را

او بانگ رود رودبوسوز انيم.)

الترجمة: لابد أن صباح ابن عزيز من حلق أمه أحرقتنا .

شعر: شعری برانجنگ، قیصر امین پور ، انقلاب اسلامی در شعر شاعران ، ۲۹ .

^(٣) (به سوى دشمنديرينه

دو باره حمله ماغازيم)

الترجمة: نستهل الهجوم ثانية ، في اتجاه خصم جديد .

شعر: در چار راه شهادت ، طاهره صفار زاده ، انقلاب اسلامی در شعر شاعران ، ۶۷ .

| | | | | |
|-------------------------------|------|------|------------------|--------|
| بإضافة لاحقة العدد النسبية | دوم | dum | ص ح /ص/ ص ح ص | الثانى |
| بإضافة النبر | 'دوم | 'dum | | |

العدد(دو) مكونة من مقطع واحد: (CVV) هو:مقطع متوسط مفتوح ، ووقع النبر على العدد ،وإذا أُضيفت لها لاحقة النسبة العددية تظل مقطعًا واحدًا ،ويبقى موضع النبر مكانه كما هو موضح فى الجدول السابق .

٦- السابقة الإيجابية (bâ+الصفة):

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | الكلمة | |
|--------------------------|-----------------------------|-----------------|-------------------------|--|
| الصفة | ص ح /ح/ ص ح ص ص | mâ'heşm | ما'خضم | |
| بإضافة السابقة الإيجابية | ص ح /ح/ ص ح ح/ص ح ص ص | bâmâheşm | با ما خضم | |
| بإضافة النبر | | bâmâ'heşm | باما'خضم ^(١) | |

كلمة(ماخضم) مكونة من مقطعين هما: (CVV-CVCC) الأول:مقطع متوسط مفتوح ، والثانى: مقطع طويل مزدوج الإغلاق ، ولأن الكلمة عبارة عن صفة (خضم=عدو) فيقع النبر على المقطع الأخير ، وأضيفت له السابقة الإيجابية (با) ؛ويظل النبر على المقطع الأخير، كما هو موضح فى الجدول السابق .

٧- السابقة المنفية (الصفة + ن/بى):

(١) (رو سبيدى باد مارا اندرين ميدان " حميد" زان سبهكارى كه باما خضم دون داردهمى .) الترجمة: فعار علينا يا "حميد" ما يفعله ذلك الخضم فينا من سوء، فى هذا الميدان .
شعر: جنگ از مون ، حميد سزاوى ، ديوان «كاروانسيده» ، ٣٢.

يقع النبر في الصفات على المقطع الأخير للكلمة ، وإذا أُضيفت إليها السوابق المنفية يتغير التركيب المقطعي للكلمة ،بينما يظل النبر على ذات المقطع الأخير لها؛ كما هو موضح في الأمثلة الآتية من خلال أشعار الثورة الإيرانية:

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | الكلمة | |
|-----------|------------------|-----------------|----------------------|------------------------|
| عزيمة | ص ح ح ص | 'yâz | 'ياز | الصفة |
| بلا عزيمة | ص ح / ص ح ح ص | nayâz | نِياز ^(١) | بإضافة السابقة المنفية |
| | | na'yâz | نِياز | بإضافة النبر |

كلمة (ياز) مكونة من مقطع واحد هو: (CVVC) الأول: مقطع طويل مغلق ، ولأن الكلمة عبارة عن صفة (ياز=عزيمة) فيقع النبر على المقطع الأخير ، وأضيفت لها السابقة المنفية (ن)، ويتغير التركيب المقطعي للكلمة إلى مقطعين هما: (CV- CVVC) ؛ويظل النبر على المقطع الأخير، كما هو موضح في الجدول السابق .

٨- الأسماء المركبة:

هناك أسماء بسيطة، ويقع فيها النبر على المقطع الأخير -كما هو موضح سابقاً بالأمثلة- كما يمكن أن تتكون كلمة من هذه الأسماء البسيطة لتصير اسماً مركباً ، وفي هذه الحالة يقع النبر على المقطع الأخير من الاسم البسيط الثاني باعتبارهما كلمة واحدة الآن ، والأمثلة الآتية توضح ذلك من خلال أشعار الثورة الإيرانية:

(١) (دلها اجازه داسته باشند

هرجا نياز داشته باشند

بشکنند .)

الترجمة: قد امتلكوا القلوب

ولكنهم ينكسرون حينما لا يمتلكون العزيمة .

شعر: روزنا گزیر ، قیصر امین بور ، گزینہ اشعار ، ٦٤.

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | الكلمة | |
|---------|--|-----------------|--------------------------|------------------------------|
| الشهادة | ص ح/ص ح ح/ص ح ص | šahâdat | شهادت | الاسم البسيط الأول |
| بيت | ص ح ح/ص ح ص | hâ'nah | خانته | الاسم البسيط الثاني |
| صحيفة | ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/ح ص ح ص | šahâdathâ'nah | شهادتخانه ^(١) | الاسم المركب بإضافة النبر |

كلمة (شهادت=الشهادة) اسم بسيط وقع عليه النبر على المقطع الأخير ولأنها تتكون من ثلاثة مقاطع فقد وقع النبر على المقطع الثالث، وكلمة (خانه=بيت) اسم بسيط أيضًا وقع النبر على المقطع الأخير فيه (المقطع الثاني) ، وحينما تجمع الاسمان البسيطان داخل كلمة واحدة لتصير اسمًا مركبًا هو (شهادت خانه=بيت الشهادة) وقع فيه النبر على المقطع الأخير فقط مرة واحدة .

٩- الصفة البسيطة:

يقع النبر في الصفات البسيطة على المقطع الأخير كما في الأمثلة الآتية:

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | الكلمة | |
|---------|------------------|-----------------|---------------------|------------------|
| مضىء | ص ح ح/ص ح | rušan | روشن ^(٢) | بدون علامة النبر |

^(١) عيد را گو باز گرد از کوچهاشهرما

كاینشهادتخانههردمعیدخونداردهمی.

الترجمة: فقل للعید يعود من بین أزقة مدینتنا ،

فبیت الشهادة هذا یدمی فی أعقاب کل عید .

شعر: جنگ از مون ، حمید سبزاوی ، دیوان «کاروانسپیده» ، ٣١.

^(٢) (چیانکه خون زمان در رگ زمین جاری است

همیشه نام تو روشن به ذهن دوران است.)

الترجمة: وكما أن دم الزمان یجری فی عروق الأرض

یبقى اسمك مضیء دائمًا فی ذهن الزمان .

| | | | | |
|--------------------|---|--------|------|--|
| | ص | | | |
| بإضافة علامة النبر | | ru'šan | روشن | |

فكلمة (روشن) تتكون من مقطعين هما: (CVV- CVC) الأول متوسط مفتوح والثاني متوسط مغلق ، ولأن الكلمة عبارة عن صفة بسيطة؛ لذلك يقع النبر على المقطع الأخير كما هو موضح في الجدول السابق .

١٠ - الصفة المشتقة:

ويقع فيها النبر على المقطع الأخير ، كما في الأمثلة الآتية:

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | الكلمة | |
|------------|-----------------------------|-----------------|------------------------|--------------------|
| مدمرة | ص ح/ص ح ح ص/ص ح | wirânḳar | ويرانگر ^(١) | بدون علامة النبر |
| | | wirân'ḳar | ويرانگر | بإضافة علامة النبر |
| خراب/تدمير | ص ح/ص ح ح ص/ص ح ص/ص ح | wirânkardan | ويران كردن | مشتقة من المصدر |

فكلمة (ويرانگر = مدمرة) تتكون من ثلاثة مقاطع هي: (CVV- CVVC-CVC) الأول: مقطع متوسط مفتوح ، والثاني: طويل مغلق ، والمقطع الثالث: متوسط

شعر: صدای خون تو ، نصر الله مردانی ، دیوان " قیام نور " ، شعر امروز - دفتر غزل - ، ساعد نیکو محمدی رضا و محمد باقری ، ٩١ .

(١) (بر سر ویرانه هانجنگویرانگر، غراب.)
الترجمة: وذلك هو غراب فوق أنقاض الحرب المدمرة .
شعر: جنگ از مون ، حمید سبزوئی ، دیوان «کاروانسپیده» ، ٣١ .

مغلق، ولأن الكلمة عبارة عن صفة مشتقة من المصدر (ويرانگر=خراب/تدمير)؛ لذلك يقع النبر على المقطع الأخير كما هو موضح فى الجدول السابق .

١١- الصفة المركبة:

والتي تتكون من كلمتين فى الأساس هما منفصلين ، ويقع فيها النبر على المقطع الأخير ، والأمثلة الآتية توضح ذلك:

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | الكلمة | |
|---------------|------------------|-----------------|------------------------|----------------------------|
| أسود | ص ح/ص ح ح ص | se'yâh | سياه | الكلمة الأولى |
| أمر/عمل/صناعة | ص ح/ص ح ح ح | kâ'ri | كارى | الكلمة الثانية |
| سئ | ص ح/ص ص ح ح ص | seyâhkâ'ri | سيهكارى ^(١) | الصفة المركبة بإضافة النبر |

كلمة (سياه=أسود) اسم بسيط وقع عليه النبر على المقطع الأخير (المقطع الثانى)*^٢ ، وكلمة (كارى=أمر) ووقع النبر فيها على المقطع الأخير (الثانى) ، وحينما تجمع الاسمان البسيطان داخل كلمة واحدة لتصير صفة مركبة هي (سيهكارى=سئ) ووقع فيه النبر على المقطع الأخير فقط مرة واحدة .

(١) (رو سبيدى باد مارا اندرين ميدان "حميد"

زان سيهكارى كه با ما خصم دون داردهمى).
الترجمة: فعار علينا يا "حميد" ما يفعله ذلك الخصم فينا من سوء ، فى هذا الميدان .

شعر: جنگ از مون ، حميد سبزاوى ، ديوان «كاروانسبيده» ، ٣٢ .

(٢) كلمة سياه أصلها كتابةً (سياه) وحذفت الألف تخفيفاً للتسهيل ؛ ومع ذلك فإن الألف منطوقة ، لذلك فإن الكتابة الصوتية لا تختلف مع حدوث التخفيف للألف ، وبالتالي فهى مكونة من مقطعين وليس واحدًا فقط ، وبالتالي فإن النبر يقع على المقطع الثانى .

١٢- المصدر:

يقع النبر في المصادر على المقطع الأخير ، كما في الأمثلة الآتية:

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | الكلمة | |
|---------|--------------------|-----------------|----------------------|------------------------|
| تحطم | ص ح/ص ح ص/ص ح ص | šakastan | شكستن ^(١) | المصدر |
| | | šakas'tan | شكستن | المصدر بإضافة النبر |

المصدر (شكستن = تحطم) مكون من ثلاثة مقاطع (CV-CVC) (CVC هم: الأول: مقطع قصير والثاني : مقطع متوسط مغلق ، والثالث أيضًا متوسط مغلق، ووقع عليه النبر على المقطع الأخير (الثالث) .

ثانيًا: نبر الفعل:

تقع النبرة (التركيز الصوتي) في الأزمنة على المقطع الأخير من المصدر المرخم؛ ما عدا في حالة زمن المستقبل^(٢).

*الفعل الماضي:

(١) (شب شهادت بود شب مسلسلها
شروع پیروزی ، نهایت پیکار
شکستن آهن ، گستن زنجیر .)
الترجمة: فقد كانت ليلة الشهادة ، ليلة الرشاشات
بداية النصر ، ونهاية المعركة
وتحطم الحديد ، وتفكك السلاسل .
شعر : شب انقلاب ، بهمن صالحی ، شعر امروز - دفتر غزل - ، ساعد نیکومحمدی رضا ومحمد باقری ،
٨٠ .
(٢) فرهننگ زبان فارسی واعد (فارسی- عربی) ، دكتور: عبد الوهاب علوب ، ص: ٢١ .

١) ففي صيغة الفعل الماضي البسيط(المطلق) يكون فيها النبر على ما قبل الآخر*١* ومع ذلك يخرج عن هذه القاعدة بعض الشواذ، وتتضح القاعدة وشواذها في الأمثلة الآتية من خلال كلمات أشعار الثورة الإيرانية:

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | بإضافة النبر | مثال | تركيب الفعل | زمن الفعل |
|---------|---------------------|-----------------|--------------|----------------------|---|------------------|
| بحثنا | ص ح ص/ص ح ح ص | gos'tim | جستيم | جستيم ^(٢) | المصدر المرخم+نهايات الأفعال(م،ى،-، ،يم،يد،ند) | الماضي المطلق |

المصدر (جستن=أن يبحث)تم تصريفه في زمن الماضي المطلق مع الضمير نحن(ما) ليصير شكله(جستيم)مكونًا من مقطعين(CVC-CVVC) هما:مقطع متوسط مغلق ،والثاني:مقطع طويل مغلق ،ووقع النبر على المقطع قبل الأخير أى المقطع الأول .

• في حالة تصريف الماضي البسيط(المطلق)مع المفرد الغائب:

١) تكيه در زبان فارسي، غلامعلي امير نوري، گوينده راديو ، ص:٣٣.

٢) (در كوچه تو را جستيم

بربام تو را خوانديم

آزادى!

آزادى!

آزادى! .)

الترجمة: في حارتك بحثنا

على سطحك نادينا

الحرية!

الحرية!

الحرية!

شعر: آزادی ، هوشنگ ابتهاج ، شعر نو از آغاز تا امروز ، ٦٤٥.

يقع النبر في الفعل المصروف في زمن الماضي المطلق مع المفرد الغائب (او)
في نهاية الفعل^(١)؛ مثل:

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | بإضافة النبر | مثال | تركيب الفعل | زمن الفعل |
|---------|------------------|-----------------|--------------|----------------------|---|------------------|
| أمطر | ص ح/ص ح ص | bâ'rid | باريد | باريد ^(٢) | المصدر المرخم+نهايات الأفعال(م،ى)،- ،يم،يد،ند) | الماضي المطلق |

المصدر (باريدن=أن يمطر) تم تصريفه في زمن الماضي المطلق مع الضمير نحن(او) ليصير شكله (باريد) مكوناً من مقطعين هما (CVV-CVVC):الأول:مقطع متوسط مفتوح ، والثاني:مقطع طويل مغلق ، ووقع النبر على المقطع الأخير .

(٢) في صيغة الفعل الماضيالاستمراري يكون فيها النبر على السابقة (مى)

٣ مثل:

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | بإضافة النبر | مثال | تركيب الفعل | زمن الفعل |
|--------------|-------------------|-----------------|--------------|-------------------|---|----------------------|
| كانت تملك | ص ح ح/ص ح ص | meidâšt | مى داشت | مى داشت (٤) | السابقة(مى)+الم صدر المرخم+نهايات | الماضي الاستمراري |

(١) تكيه در زبان فارسي، غلامعلي امير نوري، گوينده راديو ، ص:٣٣.

(٢) (باران انقلاب كه باريد

سيل عظيم مردم .)

الترجمة: مطر الثورة الذي أمطر

فيضان عظيم من الشعب.

شعر: باران انقلاب ، قيصر امين بور ، انقلاب اسلامي در شعر شاعران ، ٧٥ .

(٣) تكيه در زبان فارسي، غلامعلي امير نوري، گوينده راديو ، ص:٣٣.

(٤) (اما اگر ستاره زبان مى داشت

چه شعرها كه از بدشيمى گفت

| | | | | | |
|--|--|--|--|--|-----------------------------------|
| | | | | | الأفعال (م، ي، - ، يم، يد، ند) |
|--|--|--|--|--|-----------------------------------|

المصدر (داشتن=أن يملك) تم تصريفه في زمن الماضي لاستمراري مع الضمير (او) ليصير شكله (مى داشت) مكونًا من مقطعين هما (CVV-CVVCC) هي: الأول: مقطع متوسط مفتوح، والثاني: مقطع مديد مزدوج الإغلاق، ووقع النبر على المقطع الأول.

٣- في صيغة الفعل الماضي النقلي يكون فيها النبر على آخر جزء أصلي في الفعل (أى على اسم المفعول)^(١)، مثل:

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | بإضافة النبر | مثال | تركيب الفعل | زمن الفعل |
|---------|--------------------------------|-----------------|--------------|------------------------------|---|---------------|
| وقف | ح ص ح/ص ح/ص ح ص | estâ'de'ast | استاده است | استاده است ^(٢) | اسم المفعول من المصدر المرخم+الرابطة (ا) ^(١) النهايات (م، ي، ست، يم، يد، ند) | الماضى النقلي |

گو باتر از زبان من گنگ .
الترجمة: لكن؛ لو كانت النجوم تملك لسانًا
لكانت قد قالت شعرًا كثيرًا من شر الليل
فلساني عاجزًا عن القول .
شعر: شعري برای چنگ، قیصر امین بور، انقلاب اسلامی در شعر شاعران، ١٩ .
^(١) تکیه در زبان فارسی، غلامعلی امیر نوری، گوینده رادیو، ص: ٣٣.
^(٢) اینجا
دیوار هم
دیگر پناهپشت کسی نیست
کاین گوردیگری است که استاده است
در انتظار شب .
الترجمة: هاهنا
جداری
حتى مأمّن ظهري اختفی
كأن تكون واقفًا في قبرٍ منتظرًا لليل .
شعر: شعري برای چنگ، قیصر امین بور، انقلاب اسلامی در شعر شاعران، ١٧ .

المصدر (استادن=أن يقف) تم تصريفه في زمن الماضىالنقلى مع الضمير (او) ليصير شكله(استاده است) مكوناً من أربعة مقاطع (CVC-CVV-CV-CVCC) هي:الأول:مقطع متوسط مغلق ، والثانى:مقطع متوسط مفتوح ، والثالث: مقطع قصير ،والرابع:مقطع طويل مزدوج الإغلاق ، ووقع النبر فيه على المقطع الرابع أى المقطع الأخير من الفعل الأصلي .

(٣) فى صيغة الفعل الماضى البعيد يكون فيها النبر على آخر جزء أصلى فى الفعل(أى على اسم المفعول)^(١) ، مثل:

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | بإضافة النبر | مثال | تركيب الفعل | زمن الفعل |
|--------------|----------------------------|-----------------|--------------|-----------------|---|---------------|
| كانت قد ضاعت | ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص | bar'de bud | بر'ده بود | برده بود (٢) | اسم المفعول من المصدر المرخم+الماضى البسيط من الفعل(بودن)+ النهايات (م،ى،-، يم، يد، ند) | الماضى البعيد |

المصدر (بردن=أن يقف) تم تصريفه في زمن الماضى البعيد مع الضمير (او) ليصير شكله(برده بود) مكوناً من ثلاثة مقاطع (CVC-CV-CVVC) هي:الأول:مقطع متوسط مغلق ، والثانى:مقطع قصير ، والثالث: مقطع طويل مغلق ، ووقع النبر فيه على المقطع الثانى المقطع الأخير من الفعل الأصلي .

(١) تكيه در زبان فارسى، غلامعلى امير نورى، گوينده راديو ، ص:٣٣.

(٢) (اين زن كه بود

كه بانگ" خوانگرو" محلى را

از باد برده بود؟).

الترجمة: من هذه المرأة التي تصيح

"خوانگرو" منطقتى قد ضاعت من ذاكرتى؟.

شعر: اين سبزشرخ كيست ، قيصر امين بور ، انقلاب اسلامى در شعر شاعران ، ٣٩ .

٤) في صيغة الفعل الماضالشكى يكون فيها النبر على آخر جزء أصلى
في الفعل (أى على اسم المفعول)^(١)، مثل:

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | بإضافة النبر | مثال | تركيب الفعل | زمن الفعل |
|-----------------|------------------------------------|-----------------|--------------|-----------------------|---|------------|
| قد يكونوا ملكوا | ص ح ح ص/ص ح/ص ح ح ص/ص ح ص | dâštebâšnad | داشتهباشند | داشته باشند (٢) | اسم المفعول من المصدر المرخم+باش+ النهايات (م،ى،-، يم، يد، ند) | الماضالشكى |

المصدر (داستن=أن يملك) تم تصريفه في زمن الماضالشكى مع الضمير (ایشان)، ليصير شكله (داشته باشند) مكونًا من أربعة مقاطع (CVVC-CV-) CVVC-CVC هي: الأول: مقطع طويل مغلق، والثاني: مقطع قصير، والثالث: مقطع طويل مغلق، والمقطع الرابع: متوسط مغلق، ووقع النبر فيه على المقطع الثانى المقطع الأخير من الفعل الأصلى .

***الفعل المضارع:**

(١) المضارع الالتزامى (الشكى):

(١) ويقع فيه النبر على آخر الكلمة^(٣)، مثل:

(١) تكيه در زبان فارسى، غلامعلى امير نورى، گوينده راديو، ص: ٣٣.

(٢) (آن روز ناگزير كه مايد

روزي كه عابران خميده

يك لحظه وقت داشته باشند

تا سر بلندباشند

وأفتاب را.)

الترجمة: ويجىء ذلك اليوم الإجمارى

اليوم الذى كان سخرية المشاة

فقد يكونوا امتلكوا لحظة، طالما اعتلوا القمة والشمس.

شعر: روزنا گزير، قيصير امين بور، گزينه اشعار، ٥٩.

(٣) تكيه در زبان فارسى، غلامعلى امير نورى، گوينده راديو، ص: ٣٣.

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | بإضافة النبر | مثال | تركيب الفعل | زمن الفعل |
|---------|------------------|-----------------|--------------|--------------------------|---|----------------------|
| ينهض | ص ح/ح/ص ح ص | hi'zad | خيزد | خيزد (^١) | باء الزينة+ المادة الأصلية من المصدر+ النهايات (م،ى،د، يم، يد، ند) | المضارع الالتزامى |

المصدر (خاستن=أن ينهض) تم تصريفه فى زمن المضارع الالتزامى مع الضمير (او)، ليصير شكله(خيزد) مكوناً من مقطعين (CVV-CVC) هى:الأول:مقطع متوسط مفتوح،والثانى: مقطع متوسط مغلق ، ووقع النبر فيه على المقطع الثانى المقطع الأخير من الفعل

٢) المضارع المستمر:

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | بإضافة النبر | مثال | تركيب الفعل | زمن الفعل |
|---------|--------------------|-----------------|--------------|---------------------------|---|-----------------------|
| ترى | ص ح/ح/ص ح/ح/ص ح | 'meibini | 'مبيني | مبيني (^٢) | مى+المادة الأصلية من المصدر+ النهايات | المضارع الاستمرارى |

المصدر (ديدن=أن يرى) تم تصريفه فى زمن المضارع الاستمرارى مع الضمير (تو) إليه، ليصير شكله(مبيني) مكوناً من ثلاثة مقاطع (CVV-CVV-CVV)

(^١) (بارى دگرزخشمبياخيزد .)

الترجمة: الحكاية باختصار ، ينهض حارس الغضب مرة أخرى .
شعر: باران انقلاب ، طه حجازى ، انقلاب اسلامى در شعر شاعران ، ٨٧ .

(^٢) (وسوگوارى ما را مبينى .

عظيم ترين)

الترجمة: ونريك عزاءنا الأعظم

شعر: در چار راه شهادت ، طاهره صفار زاده ، انقلاب اسلامى در شعر شاعران ، ٦٣ .

كلها:مقطع متوسط مفتوح ، ، ووقع النبر فيه على المقطع الأول على السابقة الاستمرارية(مى) .

*فعل الأمر:

يقع النبر فى آخر الكلمة إذا لم يسبقه الباء المؤكدة ، أما إذا جاءت قبل الفعل فيقع عليها النبر *^١ ، مثل:

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | بإضافة النبر | مثال | تركيب الفعل | زمن الفعل |
|---------|---------------------------------|-----------------|---------------|----------------------------------|--|-----------|
| صدقونى | ص ح ح /ص ح ص/ص ح /ص ح ح ص | 'bâvar konid | 'باور كنيد | باور كنيد (^٢) | المادة الأصلية من المصدر فقط مع(تو) أما إذا جاء مع (شما) فيضاف للمادة الأصلية النهاية (يد) | الأمر |

المصدر (كردن=أن يعمل) تم تصريفه فى صيغة فعل الأمر مع الضمير (شما) إليه ، ليصير شكله(باور كنيد) مكونًا من أربعة مقاطع (CVV-CVC-CV-CVVC) هى:مقطع متوسط مفتوح، والثانى: مقطع قصير، والثالث: مقطع قصير، والرابع: مقطع طويل مغلق، ووقع النبر فيه على المقطع الأخير .

*النفى والنهى فى الأفعال:

(^١) تكيه در زبان فارسى، غلامعلى امير نورى ،گوينده راديو ، ص:٣٣.

(^٢) (باوركنيد

من بادوچشم مات خودم ديدم

كه كودكنيز ترس خطر تندمى دويد .)

الترجمة: صدقونى

لقد رأيت نفسى يعيونى ميتًا

كطفل يجرى خائفًا من الخطر

لكنه لا يملك رأسًا .

شعر : شعرى برانجنگ ، قيصر امين بور ، انقلاب اسلامى در شعر شاعران ، ٢٥ .

إذا أُضيفت للأفعال سابقة النهى/ma/ أو سابقة النفى/na/ يقع عليها النبر*^١ ،
فهى حروف قوية لذلك يقع عليها*^٢ ، مثل:

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | بإضافة النبر | مثال | تركيب الفعل | زمن الفعل |
|------------|------------------|-----------------|--------------|--------------|---------------------|-----------|
| كان لايملك | ح/ص ح ح ص ص | 'nadâst | 'نداشت | نداشت (٣) | سابقة النفى+فعلماضى | ماضى منفى |

المصدر (داشتن=أن يملك) تم تصريفه فى صيغة فعل ماضى مع سابقة النفى (ن) إليه ، ، ليصير شكله(نداشت) مكوناً من مقطعين (CV-CVVCC) هما: مقطع قصير، والثانى:مقطع مديد مزدوج الإغلاق، ووقع النبر فيه على المقطع الأول على سابقة النفى .

*السابقة(نَ للنفى)+السابقة(مى الاستمرارية):

إذا اجتمعت السابقة/mi/ و /na/ فى فعل واحد ، يقع النبر على المقطع الأول*^٤ ، مثل:

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | بإضافة النبر | مثال | تركيب الفعل | زمن الفعل |
|---------|------------------|-----------------|--------------|-----------------|-----------------------------------|-----------------------|
| لم يظهر | ح/ص ح ح ص ص | 'naminemud | 'نمى نمود | نمى نمود (٥) | سابقة النفى+سابقة الاستمرارية+فعل | ماضياستمرار ى منفى |

(١) دستور زبان فارسى از دیدگاه رده شناسى ، شهرزاد ماهوتیان ،ص: ٣٠٧ .

(٢) تکیه در زبان فارسى، غلامعلى امیر نوری ،گوینده رادیو ، ص:٣٣ .

(٣) (که کودكى ز ترس خطر تندمى دويد

اما سرى نداشت! .)

الترجمة: طفل يجرى خائفاً من الخطر

لكنه لا يملك رأساً .

شعر : شعري برانجنگ ، قيصير امين بور ، انقلاب اسلامى در شعر شاعران ، ٢٥ .

(٤) دستور زبان فارسى از دیدگاه رده شناسى ، شهرزاد ماهوتیان ،ص: ٣٠٧ .

(٥) (خشم بزرگ مردم را

باور نمى نمود .)

المصدر (نمودن=أن يظهر) تم تصريفه في صيغة فعل ماضياستمراري مع سابقة النفي (ن) إليه ، ، ليصير شكله (نمی نمود) مكوناً من أربعة مقاطع (CV- CVV-CV-CVV-CVC) هي:مقطع قصير ،والثاني: مقطع متوسط مغلق،والثالث:مقطع قصير ، والمقطع الرابع: متوسط مغلق، ووقع النبر فيه على المقطع الأول على سابقة النفي .

*الفعل في المستقبل:

في حالة صيغة المستقبل ،تقع النبرة على المقطع الأخير من الفعل المساعد (خواه)؛ أى على حرف الهاء *^١ ،مثل:

| الترجمة | الكتابة المقطعية | الكتابة الصوتية | بإضافة النبر | مثال | تركيب الفعل | زمن الفعل |
|------------|---------------------------------|-----------------|-----------------|--------------------|--|-----------|
| سوف أعلقها | ص ح ح ص ص/ص ح ح/ص ح ح ص ص | 'hāhmāviht | 'خواهم آويخت | خواهم آويخت (٢) | خواه+النهايات+ المصدر المرخم من المصدر | المستقبل |

المصدر (آويختن=أن يعلق) تم تصريفه في زمن المستقبل مع الضمير (من)، ليصير شكله (خواهم آويخت) مكوناً من ثلاثة مقاطع (CVCC-CVV-CVCC) هي:الأول: مقطع مزدوج الإغلاق، والثاني: متوسط مفتوح ، والثالث: مقطع مديد مزدوج الإغلاق ، ووقع النبر فيه على المقطع الأول .

الترجمة: وظلمه للشعب بشدة

لم يظهر صدقه .

شعر: باران انقلاب ، طه حجازي ، انقلاب اسلامي در شعر شاعران ، ٧٩ .

(١) تكيه در زبان فارسي، غلامعلي امير نوري ،گوينده راديو ، ص:٣٣ .

(٢) (وين حلقه بازو را

در گردنمغرورت

خواهم آويخت.)

الترجمة: وهذه حلقة ساعدك

سوف أعلقها

في رقبة مغرور .

شعر: آزادي ، هوشنك ابتهاج ، شعر نو از آغاز تا امروز ، ٦٥١ .

المحور الثاني: النبر في اللغة العربية من خلال أشعار الثورة المصرية ٢٠١١م

تخلو الدراسات اللغوية العربية من بحوث عند العلماء العرب القدامى ، حول قيم النبر وقواعده ووظائفه ، فلم يستعمل العلماء العرب مصطلح النبر: stress بهذا المعنى ، على الرغم من وروده في بحوثهم الصوتية ، للدلالة على تحقيق نطق الهمزة عند بنى تميم^(١).

فالنبر هو: المكافئ الاصطلاحي للهمز عند العرب ، وإن كليهما يتطلب نشاطاً متحدًا من أعضاء النطق : الرتتان ، عضلات الصدر ، أقصى الحنك ، الشفتان ، اللسان؛ مما يؤدي إلى تعاضم مساحة السعة في الذبذبات الصوتية^(٢). فالنبر هو :أحد الفونيمات فوق التركيبية ، ولا يدخل مباشرة في تركيب البنى اللغوية ، لكنه يفضى إلى أغراض المتكلمين النطقية ، من قوة وضعف ومن شدة وليونة ، تقتضى طاقة وجهًا عضليًا^(٣).

وقد اختلف مفهوم النبر عند المحدثين عن القدماء، فقد احتوت الدراسات الصوتية الحديثة تعريفات مختلفة لهذه الظاهرة ، فيرى الدكتور/كمال بشر: بما أن المقاطع الصوتية تعين الدارس على تحديد ظاهرة النبر بدقة ، فإن المقاطع الصوتية تتفاوت في النطق قوةً وضعفًا ، فالصوت أو المقطع المنبور ينطق ببذل طاقة أكثر نسبيًا ، ويتطلب من أعضاء النطق مجهودًا أشد ، مثل كلمة (ضَرَبَ) التي ينطق مقطعها الأول بارتكاز أكبر من المقطعين الثاني والثالث^(٤) .

(١) الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، د/حسام البهنساوى، ص: ١٧٦.
 (٢) علم الصرف الصوتي (MORPHO- PHONOLOGY)، الدكتور/عبد القادر عبد الجليل-أستاذ مشارك/جامعة آل بيت-سلسلة الدراسات اللغوية -دار: أزمنة ، ط ١، ١٩٩٨م، ص: ١١٣.
 (٣) علم الصرف الصوتي (MORPHO- PHONOLOGY)، الدكتور/عبد القادر عبد الجليل ، ص: ١١٣.
 (٤) الأصوات العربية، د/كمال محمد بشر، ص: ٢١٠.

متقفاً معه تعريف الدكتور/أنيس موضحاً كيفية نطقه، والذي قال فيه أن: النبر عبارة عن نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد حيث تنشط عضلات الرئتين عند النطق بمقطع منبور نشاطاً كبيراً، كما تقوى حركات الوترين الصوتيين وتقتربان أحدهما من الأخرى، ليسمحاً بتسرب أقل مقدار من الهواء، فتعظم لذلك سعة الذبذبات، ويترتب عليه أن يصبح الصوت عالياً واضحاً في السمع -هذا في حالة الأصوات المجهورة- أما في حالة الأصوات المهموسة، فيبتعد الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر أكثر من ابتعادها مع الصوت المهموس غير المنبور، وبذلك يتسرب مقدار أكبر من الهواء^(١) وعرفه د/أحمد مختار عمر أنه "القوة أو الجهد النفسى الممنوح لنطق مقطع معين؛ يُسمع أوضح من باقى المقاطع"^(٢).

وظائف النبر^(٣):

- ١- التفريق بين المعانى .
- ٢- الدلالة على معانٍ إضافية، كالتأكيد ويسمى النبر حينئذ *emotional stress*.
- ٣- يساعد الكلمة أو الوحدة المنبورة، لأن تتباين عن الوحدات الأخرى، من النوع ذاته الموجود فى الكلام.

(١) الأصوات اللغوية، د/إبراهيم أنيس، ص: ١٦٩، وانظر أيضاً: الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، د/حسام البهنساوى، ص: ١٦٨.

(٢) دراسة الصوت اللغوى، د/أحمد مختار عمر، ص: ٢٢٠.

(٣) انظر: الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، د/حسام البهنساوى، ص: ١٧٠: ١٧٢.

أنواع النبر^(١):

نبر الكلمة، يمكن أن ينقسم بحسب الشدة والقوة إلى نوعين اثنين:

١- النبر الرئيسى (الأول) ويرمز له بالرمز: '_ ' فوق قمة المقطع أو ذروته

أى فوق الحركات ، قصيرة أم طويلة.

٢- النبر الثانوى ويرمز له بالرمز: '" ' فوق قمة المقطع أو ذروته ،أى

فوق الحركات القصيرة أو الطويلة كذلك .

مواضع النبر الرئيسى^(٢):

أولاً: يكون النبر الرئيسى الكلمة على المقطع الأخير ،إذا كان هذا المقطع

من النوع الرابع: (ص ح ح ص)المديد المغلق،أو من النوع الخامس: (ص ح

ص ص)الزائد الطويل المغلق.ولا يمكن أن يوجد هذان المقطعان فى اللغة

العربية الفصحى إلا فى حالتين:

١) فى حالة التقاء الساكنين على حدهما(كما يقول العلماء العرب)أى إن

الصامت الأخير فى نهاية المقطع ، هو نفسه الصامت الأول فى بداية المقطع

التالى.

٢) فى حالة الوقف .

ومثال ذلك من خلال أشعار الثورة المصرية ٢٠١١م:

| الكلمة | بإضافة النبر | الكتابة الصوتية | الكتابة المقطعية |
|---------------------|--------------|-----------------|------------------|
| ذليل ^(٣) | ذليل | da'lil | ص ح/ص ح ح ص |

(١) الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتى الحديث، د/حسام البهنساوى، ص: ١٧٩.

(٢) الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتى الحديث، د/حسام البهنساوى، ص: ١٨٠: ١٨٥.

(٣) رغم أن العمرَ منكسرٌ ذليلٌ

لا تعجبنى

إن صار وجه الشمس .

تتكون الكلمة من مقطعين (CV-CVVC) هما: الأول: مقطع قصير ، والثاني: مقطع مديد مغلق ، وقد وقع النبر على المقطع الأخير .

| الكلمة | الكتابة الصوتية | الكتابة المقطعية |
|-----------------------------|-----------------|-----------------------|
| طَلَقَتَيْنِ ^(١) | ṭalqatayn | ص ح /ص /ح /ص ح ص ص |

تتكون الكلمة من ثلاثة مقاطع (CVC-CV-CVCC) هي: الأول: مقطع طويل مغلق ، والثاني: مقطع قصير ، والثالث: مقطع زائد طويل ، وقد وقع النبر على المقطع الأخير .

ثانياً: يكون النبر على المقطع قبل الأخير ، إذا لم تكن منتهية بالنوعين السابقين ، وذلك في الحالات الآتية:

(١) إذ كان المقطع قبل الأخير طويلاً والمقطع الأخير قصيراً:

| الكلمة | بإضافة النبر | الكتابة الصوتية | الكتابة المقطعية |
|-----------------------|--------------|-----------------|------------------|
| غَدْرٍ ^(٢) | 'غَدْرٍ | 'gadre | ص ح /ص /ح |

تتكون الكلمة من مقطعين (CVC-CV) هما: الأول: مقطع طويل مغلق ، والثاني: مقطع قصير ، وقد وقع النبر على المقطع قبل الأخير .

قصيدة: ثمن الرصاصة يشتري خبزاً لنا ، الشاعر: فاروق جويده ، منتدى فاروق جويده ، ص: ١ .
[<http://Kanoun.roo7.biz/T10287-topic>]

(١) (دَمٌ يَجْرِي جَدِيدٌ !

كُلُّ لَحْظَةٍ شَهِيدٌ

وَدَوَى طَلَقَتَيْنِ ! .)

قصيدة: غاش ومغشوش ، الشاعر: حسن طلب ، ديوان : إنجيل الثورة وقرآنها(ثلاثية شعرية) ، الطبعة الأولى ٢٠١١ ، ص: ١٠١ .

(٢) (لَكِنَّا أَفْلَتْنَا

مِنَ غَدْرِ الْقَتَاصَةِ ..

نَجَانًا مِنْ نَجَى .)

قصيدة: زوار وثور ، الشاعر: حسن طلب ، ديوان : إنجيل الثورة وقرآنها(ثلاثية شعرية) ، الطبعة الأولى ٢٠١١ ، ص: ١٤٢ .

| الكلمة | بإضافة النبر | الكتابة الصوتية | الكتابة المقطعية |
|--------------------------|--------------|-----------------|----------------------|
| سَلْبُوكٌ ^(١) | سَلْبُوكٌ | sala'buka | ص ح/ص ح/ص ح ح/ص ح |

تتكون الكلمة من أربعة مقاطع (CV-CV-CVV-CV) هي: الأول: مقطع قصير ، والثاني: مقطع قصير ، والثالث: مقطع طويل مفتوح ، والرابع: مقطع قصير ، وقد وقع النبر على المقطع قبل الأخير .

(٢) إذا كان المقطع قبل الأخير طويلاً والمقطع الأخير طويلاً مثله:

| الكلمة | بإضافة النبر | الكتابة الصوتية | الكتابة المقطعية |
|------------------------|--------------|-----------------|-----------------------------|
| للضحايا ^(٢) | للض'حايا | lelḍa'hâyâ | ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح ح |

تتكون الكلمة من أربعة مقاطع (CVC-CV-CVV-CVV) هي: الأول: مقطع طويل مغلق ، والثاني: مقطع قصير ، والثالث: مقطع طويل مفتوح ، والرابع: مقطع طويل مفتوح ، لذلك وقع النبر على المقطع قبل الأخير .

| الكلمة | الكتابة الصوتية | الكتابة المقطعية |
|-----------------------|-----------------|------------------|
| أشلائى ^(٣) | ʾašlâʾi | ص ح ص/ص ح/ص ح ح |

(١) (سلبوك يا وطنى وكانوا غمة نشوا الفساد وصاحبوا إذعانى .) قصيدة: فى ميدان التحرير ، الشاعر: محمد رفيق السنوسى المنفلوطى ، صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية العدد (٣٩) ذو الحجة ١٤٣٢ هـ ، نوفمبر ٢٠١١ م ، ص: ٥٤ .

(٢) (هل ما يراه الناس ضحكى أم بكأيا؟! الخوف يحفر حول قصر ك ألف قبر للضحايا.) قصيدة: شكوى الفلاح الفصيح ... إلى فرعون مصر ، الشاعر: فاروق جويده ، ص: ٤ .

[<http://Kanoun.roo7.biz/T10287-topic>]

(٣) (قد مزقوا جسدى .. وداسوا أعظمى

ورأيت أشلائى على الأبواب .)

قصيدة: هذا عتاب الحب للأحباب ، الشاعر : فاروق جويده ، ص: ٤ .

[<http://www.adab.com>]

[<http://www.adab.com>]

تتكون الكلمة من ثلاثة مقاطع (CVC-CVV-CVV) هي: الأول: مقطع طويل مغلق ، والثاني: مقطع طويل مفتوح ، والثالث: مقطع طويل مفتوح ، وقد وقع النبر على المقطع قبل الأخير .

٣) إذا كان المقطع قبل الأخير قصيرًا ، والأخير قصيرًا مثله:

| الكلمة | بإضافة النبر | الكتابة الصوتية | الكتابة المقطعية |
|-------------------------|--------------|-----------------|------------------|
| تَرْكُضٌ ^(١) | تَرْكُضٌ | tar'qodo | ص ح ص/ص ح/ص ح |

تتكون الكلمة من ثلاثة مقاطع (CVC-CV-CV) هي: الأول: مقطع طويل مغلق ، والثاني: مقطع قصير ، والثالث: مقطع قصير ، وقد وقع النبر على المقطع قبل الأخير .

| الكلمة | بإضافة النبر | الكتابة الصوتية | الكتابة المقطعية |
|-------------------------|--------------|-----------------|----------------------|
| نُضْمَدٌ ^(٢) | نُضْمَدٌ | noḏm'medo | ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح |

تتكون الكلمة من أربعة مقاطع (CV-CVC-CV-CV) هي: الأول: مقطع قصير ، والثاني: مقطع طويل مغلق ، والثالث: مقطع قصير ، والرابع: مقطع قصير ، لذلك وقع النبر على المقطع قبل الأخير .

ثالثًا: يقع النبر على المقطع الثالث من الآخر ، في الحالات الآتية:

١) إذا كان المقطع الثالث الآخر قصيرًا متلواً بقصيرين:

(١) حينما كانت خيول المجد

تَرْكُضٌ فِي رِحَابِكُ .

قصيدة: الشعب المصري ، الشاعر: إبراهيم إبراهيم حجاج ، خواطر عاشق مصر ، ص: ٣ .

[<http://www.forsanhaq.com/showthead.php?t=212906>]

(٢) ونَحْنُ كَنَّا بِيَدِ

نُضْمَدُ الْجَرَحَى .

قصيدة: حياض مريب ، الشاعر: حسن طلب ، ديوان : إنجيل الثورة وقرآنها (ثلاثية شعرية) ، الطبعة الأولى ٢٠١١ ، ص: ١٣٤ .

| الكلمة | بإضافة النبر | الكتابة الصوتية | الكتابة المقطعية |
|-----------------------|--------------|-----------------|-----------------------|
| سَقَطَ ^(١) | 'سَقَطَ | 'saqat̪a | ص / ح / ص / ح / ص / ح |

تتكون الكلمة من ثلاثة مقاطع (CV-CV-CV) من نوع المقطع القصير، لذلك وقع النبر على المقطع الأول .

| الكلمة | بإضافة النبر | الكتابة الصوتية | الكتابة المقطعية |
|----------------------|--------------|-----------------|---------------------------|
| اشتعل ^(٢) | اشتعل | ʔeʃ'ta:ala | ص / ح / ص / ح / ص / ح / ح |

تتكون الكلمة من أربعة مقاطع (CVC-CV-CV-CV) هي: الأول: مقطع طويل مغلق، والثاني: مقطع قصير، والثالث: مقطع قصير، والرابع: مقطع قصير، لذلك وقع النبر على المقطع الثاني.

(٢) إذا كان المقطع الثالث من الآخر قصيرًا متلوًا بقصير وطويل:

| الكلمة | بإضافة النبر | الكتابة الصوتية | الكتابة المقطعية |
|----------------------------|--------------|-----------------|---------------------------|
| يُطارِدُنِي ^(٣) | يُطارِدُنِي | yoṭā'redoni | ص / ح / ص / ح / ص / ح / ح |

تتكون الكلمة من خمسة مقاطع (CV-CVV-CV-CV-CV) هي: الأول: مقطع قصير، والثاني: مقطع طويل مفتوح، والثالث: مقطع قصير، والرابع: مقطع قصير، والخامس: مقطع طويل مفتوح لذلك وقع النبر على المقطع الثالث.

(١) سقطَ النظامُ وقام شعْبُ صامد يعلو لمصرَ بشامخ البنيان .
قصيدة: في ميدان التحرير، الشاعر: محمد رفيق السنوسا المنفلوطي، صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية العدد (٣٩) ذو الحجة ١٤٣٢ هـ، نوفمبر ٢٠١١ م، ص: ٥٣ .

(٢) رَدُّنَا مَعَهُمْ
وأعدنا التُّرْدَادَ .. وزدنا
حتى اشتعل الميدانُ بمن فيه ..
قصيدة: زوار وثور ، الشاعر: حسن طلب ، ديوان : إنجيل الثورة وقرآنها (ثلاثية شعرية) ، الطبعة الأولى ٢٠١١ ، ص: ١٤١ .
(٣) أسلمتُ نفسي للطريق .. ولم أزل أجرى ..
يطاردُنِي قناع .. ثم يصفعني قناع .
قصيدة: الأرض قد عادت لنا ، الشاعر: فاروق جويده ، مدونة مصر ٢٥ يناير ، ص: ٣ .

| الكلمة | بإضافة النبر | الكتابة الصوتية | الكتابة المقطعية |
|----------------------------|--------------|-----------------|-------------------------|
| انْتَقَصْتُ ^(١) | انْتَقَصْتُ | en'tafadat | ص ح ص/ص ح /ص ح/ص ح ص |

تتكون الكلمة من أربعة مقاطع (CVC-CV-CV-CVC) هي: الأول: مقطع طويل مغلق ، والثاني: مقطع قصير ، والثالث: مقطع قصير ، والرابع: مقطع طويل مغلق ، لذلك وقع النبر على المقطع الثاني.

٣) إذا كان المقطع الثالث من الآخر طويلاً متلواً بقصيرين:

| الكلمة | بإضافة النبر | الكتابة الصوتية | الكتابة المقطعية |
|-------------------------|--------------|-----------------|------------------|
| يَهْتَفُ ^(٢) | يَهْتَفُ | 'Yahtefo | ص ح ص/ص ح/ص ح |

تتكون الكلمة من ثلاثة مقاطع (CVC-CV-CV) هي: الأول: مقطع طويل مغلق ، والثاني: مقطع قصير ، والثالث: مقطع قصير ، لذلك وقع النبر على المقطع الأول.

| الكلمة | بإضافة النبر | الكتابة الصوتية | الكتابة المقطعية |
|----------------------------|--------------|-----------------|---------------------|
| طَوَّارِيَّ ^(٣) | طَوَّارِيَّ | ʔa'wâre>a | ص ح/ص ح /ص ح/ص ح |

(١) (لم يركعوا لمواكب الطغيان.. لم يستسلموا كانوا رجالا عندما انتفضت حشود الفجر.. قاموا يهدرون .) قصيدة: إلى كل جلال طغي ، الشاعر : فاروق جريدة ، ص: ١ .
[http://hassanheha.forumn.org/t9204-topic]

(٢) (قم يا أحسن

واشهد شعبيك يهتف باسمك.)

ملحمة: تمرّد ، الشاعر: حسن طلب ، ص: ١ .

[http://www.vbralakoba>net/t138528.html]

(٣) (كان يلقنه الهواء

حتقاءقوانينطواريء،)

قصيدة: يختصر الضباب .. يُعْتَوُّنُ المسافة ، الشاعر: إيهاب خليفة ، جريدة: القيس ، الأحد 10 ربيع الأول ١٤٣٢ هـ - ١٣ فبراير ٢٠١١ - السنة ٣٩ - العدد ١٣٥٤٦ .

تتكون الكلمة من أربعة مقاطع (CV-CVV-CV-CV) هي: الأول: مقطع قصير ،
والثاني: مقطع طويل مفتوح، والثالث: مقطع قصير ، والمقطع الرابع: مقطع قصير أيضاً
، لذلك وقع النبر على المقطع الثاني.

٤) إذا كان المقطع الثالث من الآخر طويلاً: متلواً بقصير وطويل:

| الكلمة | بإضافة النبر | الكتابة الصوتية | الكتابة المقطعية |
|----------------------------|--------------|-----------------|---------------------------|
| تَصَدَّعْتُ ^(١) | تَاصَدَّعْتُ | ta'ṣadda'at | ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص |

تتكون الكلمة من أربعة مقاطع (CV-CVC-CV-CVC) هي: الأول: مقطع قصير ،
والثاني: مقطع طويل مغلق، والثالث: مقطع قصير ، والمقطع الرابع: مقطع مغلق
، لذلك وقع النبر على المقطع الثاني.

| الكلمة | بإضافة النبر | الكتابة الصوتية | الكتابة المقطعية |
|----------------------------|--------------|-----------------|---------------------------|
| تَشَرَّدُوا ^(٢) | تَاشَرَّدُوا | ta'šarradu | ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح |

تتكون الكلمة من أربعة مقاطع (CV-CVC-CV-CVV) هي: الأول: مقطع قصير ،
والثاني: مقطع طويل مغلق، والثالث: مقطع قصير ، والمقطع الرابع: مقطع مفتوح
، لذلك وقع النبر على المقطع الثاني.

(١) (تهاوت قلاع الإستبداد

تصدعت صروح الجلاذ .)

قصيدة: الشعب المصري ، الشاعر: إبراهيم إبراهيم حجاج ، خواطر عاشق مصر ، ص: ٢ .

[<http://www.forsanhaq.com/showthead.php?t=212906>]

(٢) (حتى الصغار تشردوا بين الأزقة..

يبحثون عن الطعام.)

قصيدة: شكوى الفلاح الفصيح... إلى فرعون مصر ، الشاعر: فائق جويبة ، ص: ٢ .

[<http://Kanoun.roo7.biz /T10287-topic>]

٥) كما يقع النبر على المقطع الثالث قبل النبر الأول، وإذا كان هذا المقطع

المذكور، يكوّن مع اللذين يليانه، فيقعان بينه وبين النبر الأولى، مثل:

| الكلمة | بإضافة النبر | الكتابة الصوتية | الكتابة المقطعية |
|--------------------------|--------------|-----------------|------------------------------|
| المقهورين ^(١) | 'المقهورين' | 'almaqhu'rin | ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ح ص |

تتكون الكلمة من أربعة مقاطع (CVC-CVC-CVV-CVVC) هي: الأول: مقطع طويل مغلق، والثاني: مقطع طويل مغلق، والثالث: مقطع طويل مفتوح، والمقطع الرابع: مديد مغلق، لذلك وقع النبر على المقطع الأول والأخير.

| الكلمة | الكتابة الصوتية | الكتابة المقطعية |
|---------------------------|-----------------|------------------------------|
| 'المفسدون' ^(٢) | 'almofse'dun | ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ص ح ح ص |

تتكون الكلمة من أربعة مقاطع (CVC-CVV-CV-CVVC) هي: الأول: مقطع طويل مغلق، والثاني: مقطع طويل مغلق، والثالث: مقطع قصير، والمقطع الرابع: مديد مغلق، لذلك وقع النبر على المقطع الأول والأخير.

رابعاً: يقع النبر على المقطع الرابع من الآخر، إذا كان الأخير طويلاً والرابع من الأخير قصيراً، وبينهما قصيران:

١- (لكن ضحايا الساحة
ظلوا فوق ثراها بيتسمون
ويمدون سوا عدهم
بوصايا الوطن المعزولة
من أحلام البسطاء
ومن غضب المقهورين.)

قصيدة: مشاهد من ملحمة الثورة، الشاعر: أحمد سويلم، الإثنين ٦ يونيو ٢٠١١م، ص: ٤.
[www1.youm7.com/story/2011/./429049] الثورة قصيدة... أحمد سويلم.

(٢) (كم عشت أصرخ بين أشباح الظلام.. متى بفيق النائمون
أرض يضاجعها الفساد.. وساد فيها المفسدون .)

قصيدة: إلى كل جلد طغي، الشاعر: فاروق جويده، ص: ٢.
[http://hassanheha.forumn.org/t9204-topic]

وفى هذه الحالة يغلب فى المقطع الأخير أن يكون تنوينًا أو إضمارًا أو إشباعًا ،ولا يقع النبر على مقطع يسبق هذا الرابع من الآخر ،وفى هذه الحالة من النبر تعد من الحالات النادرة الوقوع فى اللغة العربية.

مواضع النبر الثانوى:

تتحصر مواضع النبر الثانوى على الكلمة أو الكلمات التى تزيد على مقطعين ، حيث يقع النبر ، بعد تمتع المقطع بالنبر الأولى الرئيسى..ومواضع النبر الثانوى فى الكلمة العربية تتنوع وتتعدد على الوجه الآتى^(١):

أولاً: يقع النبر الثانوى على المقطع الذى قبل المقطع المنبور نبرًا رئيسيًا ، إذا كان المقطع الثانوى طويلًا من النوع الرابع : (ص ح ص ص) ،وهى نادرة .

ثانيًا: يقع النبر الثانوى على المقطع الذى بينه وبين المقطع المنبور نبرًا رئيسيًا مقطع آخر ، إذا كان المقطع الثانوى المنبور ، يكون مع الذى يفصل بينه وبين المقطع المنبور نبرًا رئيسيًا أحد الأنساق الآتية:

(١) مقطع طويل+مقطع طويل؛مثال ذلك:

| الكلمة | إضافة النبر بنوعيه: الرئيسىوالثانوى | الكتابة الصوتية | الكتابة المقطعية |
|------------------------------|--|-----------------|---------------------|
| النَّحْرِيْرُ ^(٢) | "النَّحْرِيْرُ" | "attah'rir" | ص ح ص /ص ح ص /ص ح ص |

(١) الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتيالحديث،د/حسام البيهناوى ،ص: ١٨٥:١٨٧.

(٢) (توَدُّ لو أَنَّ بالإعدام عاقبكم

فاض إلى (ساحة التحرير) يُنتسبُ .)

قصيدة:المكنتب ، الشاعر: محمد فايد عثمان ،عنوان الكتاب:ركعتان للعشق وضوءهما دم ،للشعر:محمد فايد عثمان،الطبعة الأولى،١٤٣١هـ - ٢٠١١م ، السبت :٢٤/٥/٢٠١١م ،ص:٤٦ .

تتكون الكلمة من ثلاثة مقاطع (CVC-CVC-CVVC) هي: الأول: مقطع طويل مغلق ، والثاني: مقطع طويل مغلق ، والثالث: مقطع مديد مغلق ، لذلك وقع النبر الرئيسي على المقطع الأخير ، ووقع النبر الثانوي على المقطع الأول

(٢) مقطع طويل+مقطع قصير؛ ومثال ذلك:

| الكلمة | بإضافة النبر بنوعيه: الرئيسي والثانوي | الكتابة الصوتية | الكتابة المقطعية |
|---------------------------|--|-----------------|-----------------------|
| المُخَيِّف ^(١) | "المُخَيِّف" | "\almo'hif" | ص ح /ص /ح /ص ح ح ص |

تتكون الكلمة من ثلاثة مقاطع (CVC-CV-CVVC) هي: الأول: مقطع طويل مغلق ، والثاني: مقطع قصير ، والثالث: مقطع مديد مغلق ، لذلك وقع النبر الرئيسي على المقطع الأخير ، ووقع النبر الثانوي على المقطع الأول .

ثالثاً: يقع النبر الثانوي على المقطع قبل المنبور نبراً رئيسياً ، إذا كانت المقاطع الثلاثة السابقة لهذا المقطع المنبور نبراً رئيسياً تكون نسقاً في صورة:

(مقطع طويل + مقطع قصير + مقطع قصير أو طويل) ولم توجد في اللغة إلا على أوزان معينة.

رابعاً: لا يقع النبر الثانوي على المقطع الرابع السابق للمقطع المنبور نبراً رئيسياً .

(١) وَنَشَرْتَ أَشْرَعَتِي تُحَلِّقُ تَنْتَشِي

على أجوازٍ مُنْحَنِي الدربِ المَخِيْفُ .

قصيدة: العباءة ، الشاعر: محمد فايد عثمان ، عنوان الكتاب: ركعتان للعشق وضوءهما دم ، للشعر: محمد فايد عثمان، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١١ م ، السبت: ٢٨/٥/٢٠١١ م ، ص: ٥٣ .

خاتمة:

بان من العرض السابق ما يلي:

- ١- لم يحظ النبر بدراسة مفردة قديماً سواء في اللغة الفارسية، أو على مستوى اللغة العربية .
- ٢- ولم يختلف تعريف النبر في اللغة الفارسية عما هو في اللغة العربية، فهو عبارة عن: وضوح لصوت في كلمة ، أو في مقطع معين عن بقية الأصوات ، أو المقاطع في الكلام، حيث إن المقاطع الصوتية تتفاوت في النطق قوةً وضعفاً .
- ٣- اتفقت اللغتان أيضاً في وظائف النبر اللغوية من حيث التمييز بين المعانى والدلالة على معانٍ إضافية كالتأكيد ومساعدة الكلمة أو الوحدة المنبورة ، لأن تظهر عن الوحدات الأخرى ، من النوع ذاته الموجود في الكلام .
- ٤- اختلفت اللغتان في أنواع النبر ، حيث اتفقا في نوعين هما :
 - النبر الرئيسي .
 - النبر الثانوى .
- ٥- أما اللغة الفارسية فقد تميزت عنها بنوعين آخرين هما :النبر الضعيف ،والنبر التأكيدى .
- ٦- اختلفت اللغتان من حيث تحديد مواضع النبر داخل الكلمة:

*حيث اهتمت اللغة الفارسية بالكلمة صرفياً من حيث كونها اسماً أم فعلاً ، أم كانت ضميراً أو أداة استفهام ،فلا يتأثر النبر بنوع المقاطع الصوتية الموجودة

فى الكلمة الواحدة سواء أكان المقطع الأخير خفيف أم كان ثقیلاً، ولا بعدد مقاطع الكلمة.

*أما اللغة العربية فقد اهتمت بالكلمة من حيث التركيب المقطعى لها ، ولم تنظر إلى نوع الكلمة .

لذلك فقد تميزت اللغة الفارسية بالتميز فى دراسة النبر من خلال عدة نقاط مختلفة عنها فى الدراسة الفونيمية للنبر فى اللغة العربية.

المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع الفارسية:

- ١- أوزان الشعر الفارسى ، د/پرويز نايل خانلرى ، ترجمة:د/محمد نور الدين عبد المنعم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨م .
- ٢- دستور زبان فارسى معاصر ، ئيلبرلازار ، ترجمة : ماهستى بحرين، نشر:هرمس ، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ.ش، تهران .
- ٣- فرهنك زبان فارسى واعد ، الدكتور/عبد الوهاب علوب ، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان -١٩٩٦، ط١.
- ٤- منابع: دانشكده ادبيات وعلوم انسانى - دانشگاه اصفهانى /١٣٥٤هـ.ش ،شماره ١٢،(بر رسيهاى جديد در مرد تكيه زبان فارسى).

ثانياً: المراجع العربية:

- ١- الأصوات اللغوية ، د/إبراهيم أنيس ، دار النهضة العربية ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٦١م
- ٢- الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث ، أ.د: حسام الدينساوى ، الطبعة الأولى، القاهرة،(٢٠٠٥م).

- ٣- دراسة الصوت اللغوى ، د/أحمد مختار عمر، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-
القاهرة، ١٩٩٧م - ١٤١٨هـ .
- ٤- علم الصرف الصوتى (MORPHO- PHONOLOGY)، الدكتور/عبد القادر عبد
الجليل-أستاذ مشارك /جامعة آل بيت-سلسلة الدراسات اللغوية -دار:أزمنة ، ط١
١٩٩٨م .